JANE AUSTIN

2020

1.1.2020

كبرياء وهوى

جاين أوستن

ترجمة
تغريد فياض

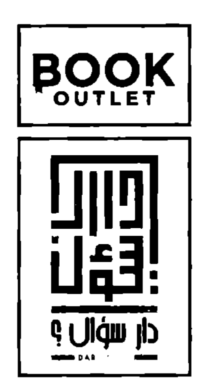


جاين أوستن

كبرياء وهوى

رواية

ترجمة: تغريد فياض



كبرياء
وهوى

الطبعة الأولى، 2019
عدد الصفحات: 305
القياس: 5 .14 × 5 .21

دار سؤال للنشر
لبنان - بيروت
النويري - شارع سيدي حسن - بناية غلاييني - الطابق السادس
ص.ب: 58-360-11
هاتف: 608782 3 00961 - 883687 81 00961

www.darsoual.com
@darsouall2014
dar_souaal@outlook.com
Dar Soual

مقدمة

نشر توماس ايجرتون، الناشر الخاص بالروائية جاين أوستن، رواية «كبرياء وهوى» لأول مرة في ١٣ يناير ١٨١٣، في ثلاث مجلدات. ولسوء حظّها قررت جين أوستن أن تبيع حقوق نشر روايتها «كبرياء وهوى» لايجرتون، بالرغم من أنها كانت قد تعاملت مع ناشرها بطريقة مختلفة في روايتها الأولى التي نُشرت، والتي كانت بالحصول على عمولة محددة مسبقاً من إيراد بيع كتابها، مع إبقاء حقوق النشر لها. وقد كلّفها بيع حقوق النشر لروايتها خسارة مادية كبيرة، لأن الرواية حققت نجاحاً تجارياً كبيراً وصدرت طبعتها الثانية في نوفمبر ١٨١٣، ثم صدرت الطبعة الثالثة في عام ١٨١٧.

بدأت جاين أوستن في تأليف الرواية عام ١٧٩٦، وانتهت من آخر فصولها في أكتوبر ١٧٩٧، وقد كُتبت وقتها بعنوان مختلف وهو «الإنطباع الأول». وأرسل والدها في ذلك الوقت رسالة إلى توماس كادل، بائع الكتب المعروف، ليسأله عما إذا كان مهتماً بقراءة مخطوطة كتاب ابنته الجديدة. لكن كادل رفض العرض.

اتخذت الرواية لاحقاً في عام ١٨١٢، عنوانها الذي عُرفت به وهو «كبرياء وهوى»، حيث قامت أوستن بتغييره بعد إضافتها لبعض التعديلات المهمة على الرواية وقتها.

من المقدر أن هناك أكثر من ٢٠ مليون نسخة قد بيعت من هذه الرواية حتى الآن، ومن المذهل أنها لازالت تتصدر الكثير من قوائم أعلى نسبة قراءة حول العالم، خصوصاً بعد ظهور الكثير من الأفلام والمسلسلات التلفزيونية التي أُنتِجت في القرن الماضي بناءً على نص الرواية.

المجلد الأول

الفصل الأول

إنها حقيقة معروفة عالمياً أن الرجل الأعزب والذي يمتلك ثروة، لا بد أنه بحاجة إلى زوجة.

ومع ذلك فالقليلون فقط هم الذين يعرفون حقيقة مشاعر ووجهة نظر ذلك الشخص، فترى بعض العائلات الموجودة في المحيط الذي ينتقل إليه حديثاً، تعتبره ملكية مُستحقّة لإحدى بناتها، كزوج مستقبلي.

- «عزيزي السيد بينيت، هل تعلم أنه أصبح هناك مستأجر جديداً أخيراً في منزل نيثرفيلد بارك القريب في الحي؟» هذا ما أخبرَت به السيدة بينيت زوجَها. ثم أكدَّتْ الأمر بأن السيدة لونغ كانت في زيارتها منذ وقت قليل، وهي من أخبرَتْها بذلك.

وحين لاحظتْ عدم إجابته على سؤالها، قالت له بنفاذ صبر: «ألا تريد أن تعرف من هو المستأجر الجديد؟».

فأخبرها أنه لا يمانع معرفة ذلك طالما رغبَتْ هي في التحدث. وكانت هذه إشارة كافية للسيدة بينيت للإسترسال في الحديث.

- «لقد أخبرتني السيدة لونغ أن المستأجر الجديد هو شاب غني من شمال إنجلترا، وقد جاء يوم الإثنين في عربة فاخرة لرؤية المنزل هناك، وأعجبه

المكان على الفور بحيث طلب من السيد موريس مالك المنزل أن يحصل عليه قبل فترة الأعياد، وأنه سيرسل بعضاً من خدمه للمنزل في نهاية الأسبوع القادم».

- «وما اسم هذا الرجل، وهل هو متزوج أم أعزب؟»

- «يدعى السيد بينغلي، وهو أعزب. يا للروعة يا عزيزي! أعزب ويمتلك ثروة كبيرة، من المؤكد أنَّ دخله السنوي يصل إلى أربعة أو خمسة آلاف جنيه استرليني. يا له من شيء رائع بالنسبة لبناتنا!».

- «ولكن كيف يا عزيزتي يؤثر ذلك على بناتنا؟».

- «يا عزيزي السيد بينيت، كيف لا تستطيع ربط الموضوع؟ ألا تعلم أنني أفكر في أنه سيتزوج واحدة منهن؟».

- «وهل تظنين أنّ هذا هو الغرض من مجيئه للإستقرار هنا؟»

- «إن كان هذا غرضه أم لا، غير مهم بالنسبة لنا، المهم هو أنه يجب أن يقع في غرام إحدى بناتنا، ولذلك يجب أن تسرع في زيارته بمجرد وصوله».

- «يا عزيزتي لا أرى أيّ مناسبة تسمح لي بهذه الزيارة، لكن من الممكن أن تذهبي مع البنات لزيارته. أو أن ترسليهنَّ بمفردهن، وهو ما قد يكون فكرة أفضل. لأن جمالك يضاهي جمال بناتك، ولذلك من الممكن أن يختارك أنت كزوجة».

- «آه يا عزيزي أنت تغازلني بذلك، صحيح أنني كنت أتمتع بجمال كبير، لكن الآن ومع كوني أماً لخمس فتياتٍ شابات، فإنني لا أفكر بجمالي، بل أفكّر بالطريقة التي أُزوِّج بها بناتي. وأيضاً يا عزيزي يجب أن تذهب أنت بنفسك لزيارة السيد بينغلي حين وصوله».

- «ولكن هذا الموضوع لن ينجح معي، أؤكد لك ذلك».

- «فكّر في بناتك يا عزيزي، وكم هو رائع لو أصبح ذلك المنزل الفخم ملكاً لإحداهن! أتعلم أنَّ السيد ويليام والليدي لوكاس مصممَين على الذهاب إلى هناك لزيارته لنفس السبب، مع أنهما في العادة لا يزوران أيّ قادم جديد؟ في الحقيقة يا عزيزي يجب أن تبدأ أنت بالزيارة، حتى نستطيع بعدها أن نقوم أنا والبنات بزيارته».

- «لا شك أنّكِ شديدة الحرص يا عزيزتي، لكني واثق أن السيد بينغلي سوف يكون سعيداً بزيارتك أنت له، وسوف أرسل له معك بعض الكلمات التي توضحُ له أنني أوافق على زواجه بأيّ واحدة يختارها من بناتي، مع أنني أعتقد أنني سأعمد على توجيهه ليختار حبيبتي ليزي».

- «لا تفعل ذلك أبداً، لأنَّ ليزي ليستِ أفضل من أخواتها بأي شيء، فهي ليست بجمال جاين، أو بمرحِ ليديا، لكنّكَ أنت دوماً تفضلها على البقية».

- «كلا، ليست هذه هي الحقيقة، فبقية بناتنا لا يمتلكن أيّ أفضلية على ليزي، بل هنَّ في الحقيقة سخيفاتٍ وجاهلاتٍ كغيرهنَّ من الفتيات، لكنَّ حبيبتي ليزي تمتلك الذكاء وسرعة البديهة التي لاتمتلكها أخواتها».

- «سيد بينيت، كيفَ تتكلم بهذه الطريقة السيّئة عن بناتك؟ إنّك تحب أن تغيظني فقط، وليس لديك أي شفقة على أعصابي المتعبة دوماً».

- «بالعكس يا عزيزتي، إنني أحترم وأقدّر أعصابك بشكلٍ كبير لأنهم أصحابي منذ وقت طويل، فلقد سمعتك تذكرينهم طوال الوقت الذي عشته معك، أي لمدة عشرين سنة على الأقل».

- «آااه منك، إنّك لا تعرف جيداً ما الذي أعانيه».

- «لكن يا عزيزتي، أتمنى أن تتغلبي على مرضك، وأن تعيشي لتشاهدي

الكثير من الشبان الأثرياء العُزَّاب يتوافدون لبلدتنا».

- «لا أظن أنَّ ذلك سيجدي نفعاً، حتى لو جاء عشرون شاباً بمثل تلك المواصفات ما دمتَ لن تزور أيّاً منهم».

- «تأكدي يا عزيزتي بأنه لو جاءَ عشرون شاباً مثل السيد بينغلي، فإنني سوف أزورهم جميعا».

كانت شخصيةُ السيد بينيت مزيجاً غريباً من صفات عديدة، فهو ذكيٌ وسريع البديهة، ومرِح بشكلٍ ساخر، متحفّظ وهوائي متقلّب المزاج مما يجعله غير جديرٍ بالإعتماد عليه، ولكن طوال فترة زواجه مع السيدة بينيت والتي امتدت لثلاثٍ وعشرينَ سنة، لم تكن كافية حتى تتمكن السيدة بينيت من فهم واستيعاب شخصية زوجها، يمكن القول أنّ طريقة تفكيرها محدودة وغير قابلة للتطوّر، بحيث أنها تفهم الأمور كما تراها بشكلٍ متزمّت و صارم، فمعلوماتها كانت محدودة في الحياة، وهي متقلّبة المزاج، وغالباً تدّعي أنَّ أعصابها مرهقة، وتوحي أنّها ستنهار بمجرد أن تواجه أي موقفٍ لا يتناسب مع رأيها وموقفها.

من هنا، كانت المهمةُ الأساسية للسيدة بينيت فى الحياة، وشغلها الشاغل هو تزويج بناتها الخمس، أما تسليتها الوحيدة فكانت الزيارات الإجتماعية ومعرفة آخِر أخبار سكان البلدة.

الفصل الثاني

كان السيد بينيت من أوائل المترقّبين لوصول السيد بينغلي إلى البلدة، وكان ينوي أن يقوم بزيارته حتى لو لم يخبر زوجته السيدة بينيت بنيَّته تلك، حتى اللحظة الأخيرة لقيامه بالزيارة.

حصل الأمرُ المرجو بأسهلِ الطرق فجأة، حين كانت ابنته الثانية اليزابيث ترتّبُ وتزينُ إحدى القبعات، فأخبرها فجأة: «أرجو يا عزيزتي ليزي أن تعجِب هذه القبعة السيد بينغلي!».

ردَّتْ السيدة بينيت بعصبية وازدراء: «نحنُ لسنا في موقفٍ يسمحُ لنا بمعرفة ما الذي سيعجب السيد بينغلي أو لا، بما أننا لن نقوم بزيارته أساساً».

تدخلَّتْ اليزابيث وقالت: «لكن يا أمي أنتِ نسيتي أننا سنلتقيه في المناسبات العامة، حتى إنّ السيدة لونغ قد وعدت بتقديمنا له في أي مناسبة عابرة».

- «أنا لا أصدقُ أبداً أن السيدة لونغ سوف تقوم بذلك، بما أنَّ لديها ابنتي أخ، فهي لن تقومَ بتقديمكنّ له بدلاً منهما، كما أنها امرأةٌ أنانيةٌ ومنافقة، لذا لا أثقُ بها أبداً».

تدخَّلَ السيدُ بينيت وقال: «أنا أيضاً لا أصدّقها ولا أثقُ بها، ومن الجيّد لك

أنك عرفت أنها لن تقدّم لك تلك الخدمة جزافاً».

حاولَت السيدة بينيت ألاّ تردّ على زوجها بما أنها عاهدَتْ نفسها على ذلك لأنّها غاضبة منه، ولكنّها لم تستطع أن تلتزم بذلك وألا تتكلم، فبدأت في تعنيف إحدى بناتها حين سمِعتها تسعلُ، وقالت لها: «بالله عليك يا كيتي، توقفي عن هذا السعال، إرحمي أعصابي التي لم تعد تحتملَ هذه الأصوات».

يردُّ السيد بينيت: «في الحقيقة إنّ كيتي ليس عندها أيُّ فطنةٍ بخصوص توقيت سعالها، فهي تختار الأوقات السيئة لتقوم بذلك!».

فترّد كيتي بغضب: «إنني لا أستمتع بهذا السعال».

ثم يسألُ السيد بينيت ابنته ليزي: «متى يحينُ موعد الحفل الراقص الذي ستشاركين فيه يا ليزي؟».

– «إنّه خلال أسبوعين، يا أبي».

تتدخَّل أمها مرة ثانية: «نعم صحيح، هذا صحيح، خصوصاً أنَّ السيدة لونغ لن تأتي إلا قبل الحفل الراقص بيوم واحد، أي أنها نفسها لن تكون قد تعرَّفَت على السيد بينغلي لتقدَّمه لإليزابيث».

– «إذاً يا عزيزتي بإمكانك أن تفعلى هذا بنفسك بدلاً من صديقتك، وتقدّميها للسيد بينغلي».

– «مستحيل! هذا مستحيل سيد بينيت، كيف ذلك وأنا شخصياً لا أعرفه، فكيف سأقوم بتعريفه وتقديمه لأيّ أحد.... كم أنت ساخر وتحبُ إغاظة الآخرين!».

– «يُعجبني حذرك وتعقلك يا عزيزتي، إنّ التعرف على شخصٍ ما خلال أسبوعين هو صعب بالتأكيد، لأنها فترةٌ قليلة، وأيّ شخص لن يستطيع أن

يتعرّف على حقيقة هذا الرجل في مدة اسبوعين فقط، لكن بالتأكيد إذا لم نغامر ونقوم بذلك ، فإن شخصاً آخر سيقوم به، ولا بدّ أن السيدة لونغ وبنات أخيها متحفّزات للقيام بهذا، ولا بدّ أنها تفكر بالتصرّف عملاً بالمقولة:

- «إذا كنت لا تريدين شيئاً ما، فإنني أحقُّ بالحصول عليه)».

حدَّقت الفتيات بوالدهن لدى قوله هذه الكلمات، أما السيدة بينيت فأخذت تقول: «هراء، هذا كلّه هراء!».

ردّ السيد بينيت بصوت عال: «وما معنى تعجُّبك هذا من كلامي واستهزائك به؟ هل تعنينَ أن كل الجهود التي تقوم بها السيدة لونغ، لتعريف السيد بينغلي ببنات أخيها، هو هراء ولامعنى له؟ أنا لا أوافقك الرأي في هذا، ما رأيك يا ماري؟ خصوصاً لأنّك شابة عميقة التفكير وتقرئين كتباً رائعة، وتقتبسينَ منها بعض العبارات الحكيمة».

حاولت ماري بأن ترد على أبيها بطريقةٍ عقلانية، لكنّها لم تستطع، فأكمل السيد بينيت كلامه قائلاً: «وفي انتظار أن ترتبَ ماري أفكارها، دعونا نعود للكلام عن السيد بينغلي».

صرخت السيدة بينيت: «لقد سأمتُ من سيرة السيد بينغلي».

- «كم يؤسفني ذلك يا عزيزتي، لأنني لو كنت علمت ذلك قبل أن أقوم بتلك الزيارة للسيد بينغلي هذا الصباح، لما كنت سأقوم بها، لكننا الآن لن نستطيع التهرَّب من التعرف إليه بما أنني قد قمت بزيارته في الحقيقة».

ابتسمَ السيدُ بينيت حينما رأى وقع المفاجأة الكبير على زوجته وبناته، وهو ما كان يريده بالضبط، لكنَّ السيدة بينيت فاقت بناتها في ذلك، وبمجرد تغلبها على فورة الفرح تلك، بدأت بالقول أنّ هذا هو في الحقيقة ما توقعت حدوثه منذ البداية، وقالت لزوجها: «كم هو رائع منك يا عزيزي أن تقومَ بتلك

الزيارة، ومع ذلك كنتُ أعتقدُ أنني يجب أن أقنعك بالقيام بها، أنا متأكدة أنك تحب بناتك كثيراً، ولن تتجاهل مثل تلك الزيارة والتعرّف على السيد بينغلي، والان يا عزيزي كم أنا سعيدة بذلك، في الحقيقة فإنها كانت بادرةً جميلة ولطيفة، بأن تقوم بزيارة السيد بينغلي هذا الصباح دون أن تذكر شيئاً من ذلك لنا حتى هذه اللحظة».

ردّ السيد بينيت بتوجيه الكلام لابنته: «حسناً يا كيتي، بإمكانك أن تسعلي الآن كما يحلو لك عزيزتي»، ثم غادر الغرفة بعد أن سئم من نوبات غضب زوجته التي لا تنتهي.

قالت السيدة بينيت بعد مغاردة زوجها:

- «أيتها الفتيات كم أنتنَّ محظوظات بهذا الأب الرائع! لا أدري كيف يمكنكنَّ ردّ الجميل له ولي أيضاً بهذا الاهتمام طوال حياتكنَّ، لأنني مقتنعة بأنّه ليس من السهل أبداً التعرّف على أشخاص جُدُد كل يوم، ولكننا لأجلكنّ مستعدان للقيام بأيّ شيء، والآن يا حبيبتي ليديا، وبالرغم من أنّك الأصغر بين أخواتك، جهِّزي نفسك لتكوني شريكة السيد بينغلي في الحفل الراقص القادم»

ردَّتْ ليديا باعتداد: «ليس عندي أيّ شك في ذلك أمّي، لأنه بالرغم من أنني الأصغر، إلا أنني الأطول بين أخواتي».

وأمضت السيدةُ بينيت وبناتها بقيةَ الأمسية في التحدث عن السيد بينغلي، ومتى قد يقوم بردّ زيارة السيد بينيت، وما هو الوقت المناسب لدعوته للعشاء؟.

الفصل الثالث

لم تستطع السيدة بينيت ولا حتى بمساعدة بناتها الخمسة أن تستدرج زوجها ليعطي أوصافاً وافية عن السيد بينغلي. حاولت أن تحاصره بمختلفِ أنواعِ الأسئلةِ سواءً كانت الاسئلة مباشرة أو غير مباشرة، لكن محاولاتها باءت بالفشل ولم تستطع الحصول من زوجها على أي تفصيلٍ عن شكلٍ ومظهر السيد بينغلي. واضطرّت أن تقبلَ بوصف السيدة لوكاس -جارتها المحدودة القدرات في الوصف- عن السيد بينغلي. أُعجبت السيدةُ بينيت وبناتها الخمس بكلماتِ السيدة لوكاس عن السيد بينغلي، حين أخبرَتهن أنَّ السيد ويليام كان سعيداً جداً حين قابله، وحسب قول السيد ويليام فإن السيد بينغلي كان شاباً وسيماً بشكل لافت، يتمتعُ بجاذبية كبيرة، وبأنه سوف يكون بصحبة عدد كبير من معارفه في الحفل الراقص القادم. كان هذا الكلام عن السيد بينغلي رائعاً جداً بالنسبة للفتيات الخمس وأمهنّ، حيث أن اهتمام السيد بينغلي بالحفل الراقص لتلك الدرجة، يدلُّ على على أنّ قلبه متاحُ ومستعدُ للوقوع في الحب، بحسب ما دررجت عليه العادة في ذلك الوقت.

قالت السيدةُ بينيت لزوجها: «لو كنتُ أستطيع أن أرى إحدى بناتي سعيدةً ومستقرة في نيذرفيلد، وأن تحصل بقية بناتي على زواجٍ مضمونٍ مثلها، فإنّ ذلك سوف يكون أقصى أمنياتي».

بعدَ بضعة أيامٍ قام السيدُ بينغلي برد الزيارة للسيدِ بينيت. وجلسَ معه لمدة عشر دقائقٍ في مكتبه، وقد كان يُمنّي نفسه برؤية بنات السيد بينيت الجميلات، واللاتي سمعَ الكثير عن جمالهن، لكنه لم يقابل غير والدهن. ولقد كانت الفتيات أكثر حظاً منه، حيث استطعنَ أن يراقبنه من النافذة العلوية للمنزل حين كان يهمّ بالأنصراف ممتطياً جواده الأسود ومرتدياً معطفاً أزرقاً.

سرعان ما تلقى السيد بينغلي دعوة رسمية للعشاء من السيد بينيت، ولكن لسوء حظ السيدة بينيت التي كانت قد خططت لعشاءٍ فاخر يظهر أفضل قدراتها كربَّة منزل ممتازة، فإن السيد بينغلي اعتذر عن قبولها لأنه كان مضطراً للمغادرة إلى لندن في اليوم التالي. ولكن السيدة بينيت لم تقتنع بهذا العذر، واستغربت مغادرته منزله الجديد بهذه السرعة وهو بالكاد وصل إليه. وبالغت السيدة بينيت في مخاوفها حيث أنها تصوّرت أنّه من الممكن أن يبقى في حال ترحالٍ دائم وعدم استقرار بحيث أنّه لن يستقر في بلدتهم أبدا.

حاولت السيدة لوكاس أن تهدئ من مخاوفها، وأخبرتها بأن السيد بينغلي اضطر للذهاب إلى لندن فقط ليحضر مجموعة من المقربين إليه ليحضروا معه الحفل الراقص، وأتبعت تقريرها بأن السيد بينغلي سوف يحضر إثنتي عشر سيدة وسبعة رجال معه لحضور الحفل الراقص.

إستاءت الفتياتُ كثيراً لسماع أن هذا العدد الكبير من السيدات سوف يحضر مع السيد بينغلي. لكن قبل الحفل بيوم شعرنَ بالارتياح، عندما علمنَ أنّه أحضر نصف هذا العدد فقط معه، أخواته الخمس، وابن عمه. لكن السَيد بينغلي في الحقيقة عندما وصل للحفل الراقص، دخل مع أربعة أشخاص فقط، أختيه، زوج الأخت الكبرى، وشاب آخر.

كان السيد بينغلي شاباً وسيماً مهذباً، جميل الملامح وخلوق. وأُختيْ السَيد بينغلي كانتا سيدتين لطيفتين، ويبدو عليهما أنهما من أصلٍ نبيل. أما زوج

الأخت الكبرى السيد هيرست، فلم يكن يبدو عليه أنّه من أصل نبيل مثل عائلة السيد بينغلي. ولكنَّ صديقه السيد دارسي سرعان ما اجتذب انتباه الجميع في المكان بوسامته وطول قامته وبأصله النبيل، وخلال خمس دقائق من دخوله تناقل الجميع خبر أن دخله السنوي هو ١٠ آلاف جنيه استرليني. بدأ الحاضرون من الرجال بالقول أنّه رجل بكل معنى الكلمة، أمّا السيدات فاعتبرنه شديد الوسامة، وبأنه حتى أكثر وسامة من السيد بينغلي. انجذب له الجميع بشكلٍ كبير حتى منتصف الأمسية، ولكن ما أن بدأت أخلاقه السمجة والفجّة تتضح لهم، حتى انقلب الجميع عليه وفقد شعبيته الجارفة.

إكتشف الحضور بأن السيد دارسي رجلٌ مغرور ومتفاخر بنفسه، يظنُّ أنّه أفضل ممن حوله، وبأنه من الصعب إرضائه، وبذلك فقدَ اهتمام وتعاطف الحضور، لدرجةِ أنَّ كل أملاكه القيّمة في ديربي شاير، لم تشفع له عندهم، وسرعان ما ابتعد عنه الجميع ونبذه، واعتبروا أنه لا يمكن مقارنته بصديقه السيد بينغلي ذي الأخلاق العالية.

سرعان ما تعرف السيد بينغلي على أهم الأشخاص الحاضرين في الحفل الراقص، فحاول أن يكون مرحاً ومنطلقاً، وشاركَ في جميع الرقصات، وكان مستمتعاً الى درجة أنّه تضايق حين انتهى الحفل الراقص مبكراً، فبادر الى اخبار الحضور بأنه سوف يقيم حفلاً راقصاً خاصاً به في منزله في نيذرفيلد. وبهذه الصفات المحببة تفوّق السيد بينغلي كثيراً على صديقه السيد دارسي، الذي لم يشارك سوى برقصتين، واحدة مع السيدة هيرست أخت بينغلي الكبرى، والثانية مع أخت بينغلي الصغرى. ورفضَ أن يتعرّف بأي فتاة أو سيدةٍ متواجدة في الحفل الراقص. وقضى الأمسية بأكملها في التجول في القاعة والتحدث نادراً إلى احدى أخوات السيد بينغلي.

قرَّر الجميع هناك أن السيد دارسي هو رجل متكبّر، وبأنه يُعتبر شخصاً

منفّراً للجميع. بل ومن أسوء الرجال في هذا المجال. وتمنّى الجميع لو أنه لا يحضر مرة ثانية أبداً. وكانت السيدة بينيت هي الأكثر في الشعور بالاشمئزاز نحوه، والتي تحوّل كرهها له إلى موضوع شخصي، حينما أهان إحدى بناتها.

لقد اضطرت اليزابيث بينيت لأن تجلس وأن لا تشارك في الرقص طوال رقصتين من رقصات البرنامج، بسبب ندرة الشبّان في الحفل. استطاعت اليزابيث من مكان جلوسها القريب نسبياً من السيد دارسي، سماع المحادثة بين السيد دارسي والسيد بينغلي، حين أتى الأخير بعد أن قطع رقصته، ليشدّد على السيد دارسي، بأنه يجب أن يشارك في الرقص وقال له: «تعال يا دارسي لتشارك في الرقص، فأنا لا أحب أن أراك واقفاً لوحدك هكذا بشكل سخيف، من الأفضل لك أن ترقص».

أجابه السيد دارسي بعنفوان: «لن أفعل ذلك بالطبع! أنت تعرف جيداً كم أكره أن أرقص ما لم أكن على معرفة وثيقة بالشخص الذي سيشاركني الرقص، وفي حفلٍ كهذا، فإن ذلك الأمر غير ممكن. إن أختيك الاثنتين مشغولتان بالرقص، ولا يوجد أي امرأة هنا غيرهما جديرةٌ بأن أراقصها، دون الإحساس بأن ذلك عقابٌ كبير لي في الوقوف بجانبها».

- «لن أكون صعب الإرضاء مثلك يا دارسي، لأنني أقسم بشرفي أنني لم أرَ هذا العدد من الفتيات الجميلات اللطيفات، كما رأيتُ في هذا الحفل. وهناك الكثيرات منهنَّ اللواتي يتمتعنَّ بجمال غير عادي».

- «إنك ترقص مع أجمل فتاةٍ في هذا الحفل يا بينغلي». وكان يعني بذلك الإبنة الكبرى للسيد بينيت، والتي كان ينظرُ إليها في تلك الأثناء.

- «آاه، إنها أجمل فتاة رأتها عيْناي! ولكن هناك إحدى أخواتها والتي تجلس خلفك الآن، وهي جميلة جداً وجذابة. دعني أطلب من شريكتي في الرقص

أن تقدّمك لها».

- «من هي بالضبط التي تتكلم عنها؟»، وأدار السيد دارسي رأسه وتطلع حوله ورأى اليزابيث، ونظرَ في عينيها لدقيقة، ثم أدار وجهه وقال ببرود لصاحبه السيد بينغلي: «إنها مقبولة، ولكنّها ليست جميلة بشكل كافٍ لتغريني بالرقص معها. ثم أنني لستُ في مزاجٍ جيدٍ يسمحُ لي بأن أتنازل للتعرف على شابّات لا يلفتن نظرَ بقية الشبان! من الأفضل لك أن تعود لتتابع رقصكَ مع شريكتك وتستمتع بابتساماتها، بدلاً من اضاعة وقتك معي!».

سمعَ السيدُ بينغلي نصيحة صديقه السيد دارسي، وعاد للرقص مع أختِ اليزابيث. ومشى السيد دارسي من المكان. أمّا اليزابيث، فبقيت في مكانها وأحسّت بعدم التعاطف نهائياً مع السيد دارسي. وحتى أنها أخبرت صديقاتها بما حدث وما سمعته، بشكلٍ ساخر، حيث أنّها لم تكن تهتم أبداً للتفاصيل السخيفة، بل تسخر منها.

مرّت الأمسية بشكل لطيف على كافةِ أفرادِ عائلةِ بينيت، وفرحت السيدةُ بينيت كثيراً، لأن السيد بينغلي وأهلُه قد أُعجبوا بابنتها الكبرى واهتموا بها. رقصَ السيدُ بينغلي مع جاين بينيت لرقصتين، كما أن أختيه عاملتاها بلطفٍ واهتمامٍ كبيرين. وكان هذا مدعاة فخرٍ لجاين كما كان شيئاً تتفاخر به أمّها تماماً. وأحسَّت اليزابيث بسعادة أختها جاين الكبيرة. وبالنسبة لأختهما ماري فقد كانت سعيدةً جداً لأنها قُدّمت للآنسة بينغلي على أنّها أكثر فتاة ذات إنجاز في الحي. أما كاثرين وليديا فلقد كانتا فخورتين بأنهما لم يبقيا أبداً بدون شريك للرقص خلال الحفل. وكان هذا هو الشيء الأكثر أهمية بالنسبة لهما. ولذلك رجعَ جميع أفراد أسرة بينيت لمنزلهم في لونغ بورن بتفاؤلٍ ومزاجٍ جيدٍ، معتبرين أنفسهم من أكثر السكان أهميّة

وجدتِ الفتياتُ وأمهنَّ أنَّ الوالدَ السيد بينيت مازال مستيقظاً، وجالساً

يقرأ في كتاب، بانتظارهن دون أن يهتم لتأخره عن وقت نومه. كان يشعر بالفضول ليعرف ما الذي حدثَ في الحفل، خصوصاً بعد كل الآمال الكبيرة التي علّقتها زوجته على الساكن الجديد في القرية. في الحقيقة كان يتمنى أن تخيب توقّعات وآمال زوجته. لكنّه سمع منهن قصّةً مغايرة لما كان يعقده من آمال.

بدأتِ السيدةُ بينيت بالتحدث لزوجها بمجرد دخولها المنزل: «آه يا عزيزي، لقد كانت أمسيةً شديدةَ الروعةِ وكانَ الحفلُ الراقصُ ساحراً، كم كنت أتمنى لو كنتَ معنا. لقد أُعجبَ الجميع بابنتنا الكبرى جاين! كم كان هذا رائعاً! لقد أثنى الجميعُ على جمالها. كما كان هذا رأي السيدُ بينغلي أيضاً، بحيث رقصَ معها مرتين. فكّر في هذا جيداً يا عزيزي. لقد طلبها للرقص مرّتين، وقد كانت الفتاة الوحيدة التي طلبها للرقص مرتين في الحفل.
في الحقيقة، هو طلب من الآنسة لوكاس أن تراقصه في بداية الحفل. لقد أحسستُ بالغضب لذلك، لكنّها لم تعجبه أبداً. هي لا تعجب أحداً كما تعلم. ولكنّه ما إن رأى ابنتنا جاين وهي ترقص، حتى انجذب إليها وفُتن بها، ولذلك سألَ عنها، وطلب أن يُعرّف بها. ثم رقصَ معها، وبعد أن رقص مع عدةِ فتيات غيرها عاد ليرقص معها مرة ثانية».

ردّ السيد بينيت بغضب: «أرجوكِ أن تكفّي عن ذكرِ أسماء اللواتي رقصنَ مع السيد بينغلي، فلو كان عنده أدنى شفقة بي، لما كان رقصَ مع أحدٍ آخر غير ابنتي».

- «يا عزيزي أنا سعيدة جداً به، فهو شديد الوسامة، كما أنَّ أختيه سيدتان جميلتان جداً وشديدتي الأناقة، فأنا لم أرَ في حياتي فساتين أنيقة كمثل فساتينهنَّ، بل إنَ الدانتيل على فستان أخته الكبرى السيدة هيرست...».

هنا قاطعها السيد بينيت مرة أخرى، حيث أنّه لا يطيق أن يسمع التفاصيل

السخيفة. لذلك أُجبرت السيدة بينيت على تغيير الحديث في اتجاهٍ آخر، وتكلمت بمرارة ومبالغةٍ عن وقاحة وقلة ذوق السيد دارسي، صديق بينغلي، الصادمة في الحفل. وقالت لزوجها: «لكنني أؤكد لك أنّ ليزي ابنتنا لم تخسر شيئاً بعدم اهتمامها أو تواصلها مع السيد دارسي، لأنّه رجلٌ وقحٌ وغير مقبول اجتماعياً، بل وفظيع جداً. وكان أيضاً مغروراً ومتعالياً، بحيث أن الجميع هناك كرهوا التعامل معه. أخذ يمشي هنا وهناك بغرور، دون أن يكترث أحد للرقص معه. ليتك كنت هناك يا عزيزي لتلقنه درساً صعباً كعادتك. لقد كرهتُ ذلك الرجل تماماً».

الفصل الرابع

عندما أصبحت جاين مع أختها اليزابيث لوحدهما، أفصحت لاليزابيث عن إعجابها الشديد بالسيد بينغلي الذي كانت لم تظهره حتى تلك اللحظة.

- «إنه تماما الشاب الذي تحلم به كل فتاة، عقلاني، مرِح، مفعم بالحيوية، إنّه لمن النادر أن يرى المرء أشخاصاً بهذه الصفات المبهجة، إنه سلسٌ جداً ونبيل الأصل في نفس الوقت».

أكملت اليزابيث بقولها: «إنه أيضاً وسيم، وهذا صفة مهمة جداً في الشاب، ولذلك فإنّ السيد بينغلي كامل الأوصاف».

- «لقد سعدتُ جداً وأحسستُ بالفخر حين دعاني للرقصِ في المرةِ الثانية، ففي الحقيقة لم أكن أتوقعُ ذلك، لقد كانت مجاملة رائعة لي».

- «لكنني توقعت ذلك يا جاين، حتى لو لم تنتبهي لذلك، وهذا هو الفرق بيني وبينك فأنا أتوقع إمكانية حدوث المجاملات، أمّا أنتِ فلا تتوقعين ذلك، بل تتفاجئين بها. وكيف لا يفعل ذلك، وأنت كنتِ أجمل بخمسِ مراتٍ من أي فتاة كانت موجودة في الحفل. صحيحٌ أنّه لطيفٌ جداً، ولذلك أسمحُ لكِ بالتودد اليه، فهو أفضلُ بكثير من شبابٍ أغبياء كنتِ قد أُغرمت بهم في الماضي». -عزيزتي جاين.

في الحقيقة جاين أنتِ عندكِ استعداد كبير لمحبةِ أيّ شخص بشكل عام، حيث أنّك لا تجدين أي خطأ في أي شخص أبداً، كلّ الناس هم لطفاء وجديرين بالمحبة بنظرك، لم أسمعك أبداً تتكلمين بشكل سيءٍ عن أي إنسان في حياتي».

- «لا أحبُّ أن أتسرع في الحكم على الأشخاص، ولكنني ايضاً أقولُ ما أعتقده صحيح».

- «أعلمُ ذلك يا جاين، وهذا هو بالضبط ما يُحدثُ المعجزة. حيث أنّك باحساسك الجيّد، تكونين كأنّك عمياءٍ عن أخطاء وتفاهات الآخرين- أن تكوني صريحة دون أي غرض أو تكلّف، وأن تركزي على الجيّد فقط في شخصيات الآخرين، بل وتحسّني من ذلك الجيّد فيهم، وأن لا تذكري السيء فيهم أبداً- كل تلكَ الصفات هي مُلككِ فقط يا عزيزتي. ولذلك فإنك أحببتِ أُختَي السيد بينغلي أيضاً، أليس كذلك؟ مع أن أخلاقهما ليست كأخيهما تماماً».

- «كانَ ذلك صحيحاً في البداية، لكن ما أن تحدّثت إلى الأختين فإنني أحببتهما، فهما لطيفتان. والآنسة بينغلي الأختُ الصغرى سوف تُقيم مع أخيها في منزله الجديد وسوف تكون هي المسؤولة عن إدارته. وبالتأكيد فهي شخصٌ لطيفٌ يستحق أن نهتم بكونه جاراً جيداً لنا».

استمعت اليزابيث لحديثِ أختها جاين عن الأختين بينغلي، في صمت، لكنها لم تقتنع بكلام أختها وحماسها الكبير لهما، حيث أنَّ الأختين في الحفل الراقص لم تهتما لرأي الأغلبية فيهما، ولم تتصرفا أيضاً على هذا الأساس. فيما كانت اليزابيث شديدةُ الملاحظة، ودون أي تحيّز، ولاحظت ما لم تُلاحظه أختها جاين المتسامحة في أحكامها عادة، لذلك فإن اليزابيث لم تتعاطف مع الأختين ولم تحبهما.

كانت الأختان في الحقيقة لطيفتين، تستطيعان أن تجذبا المتحدث إليهما، لو أحبّتا ذلك، لكن كانتا معتدّتين بنفسيهما، وتتصفان ببعض الغرور. كانتا جميلتين ومتعلمتين، درستا في أفضل المدارس، وكانتا تمتلكان ثروةً تتكون من عشرين ألف جنيهٍ استرليني. وكانتا معتادتين على الأنفاقِ على مظهرهما أكثر مما يجب، حسب ما تسمح به ثروتهما، حيث اعتادت الأختين على أن تتودّدا لعليَة القومِ من الأثرياء، ولكلٍّ ما سبق، فربما كانَ لديهما بعض الحق في الاعتداد بنفسيهما. فهما ابنتي عائلة ثرية محترمة من شمال انجلترا، وجعلتهما تلك الحقيقة تتناسيان أن ثروة أخيهما وثروة العائلة تكونت أساساً من التجارة.

لقد ورثَ السيدُ بينغلي من أبيه ثروة تقدّر بمئة ألفِ جنيهٍ استرليني، وكان الأبُ ينوي أن يشتري منزلاً بتلك الثروة، لكنّه تُوفى قبلَ أن يقوم بذلك. حتى أن ابنه السيد بينغلي خطط لفعل نفسِ الشيء ولشراء منزلٍ واختار له مكاناً في مقاطعته، لكنّه أيضاً لم يقم بذلك كأبيه تماماً. فقد استكان إلى أنه استأجر بيتاً فخماً كبيراً، وضيعة تابعةً له في نيثرفيلد، ونسى موضوع شراء بيت خاص به، خصوصاً أنه كان دوماً يأخذ الأمور ببساطةٍ شديدة، وكأنّه تركَ موضوع شراء البيت للجيل الذي يليه.

كانت الأختان بينغلي تتوقان لأن يصبح أخيهما مالكاً لمنزل كبير، ولكنهما رضيتا بالواقع الذي حصل، في أنه استأجر منزل نيثرفيلد الفخم الكبير، وكان اهتمام الآنسة بينغلي الأخت الصغرى هو أن تصبح المسؤولة عن هذا البيت. أما أختها الكبرى السيدة هيرست فقد لازمت أخيها وأختها طوال الوقت هي وزوجها السيد هيرست، والذي كان شخصاً أنيقاً، ولكنّه لايمتلك ثروة، وكان أيضاً متساهلاً جداً في موضوع بقائه مع أهل زوجته، طالما كانت تلك رغبتها.

لم يكن السيد بينغلي ناضجاً كفايةً عندما رأى منزل نيثرفيلد منذ سنتين، بناءً على نصيحة أحد الأصدقاء. أعجبهُ المنزلُ كثيرا عندما تفحصّه وقتها من الداخل والخارج لمدة نصف ساعة، واقتنعَ بكلام مالك المنزل الذي امتدح منزلهُ كثيراً، لذلك وقّع معه عقد الإيجار في الحال.

كانت علاقة السيد بينغلي بالسيد دارسي علاقة صداقةٍ قوية، بالرغم من التعارض الكبير بين الشخصيتين. كان السيد دارسي يعتّز بصداقته مع السيد بينغلي بسبب ما يتمتع به بينغلي من صفاتٍ حميدة، مثل البساطة، الإنفتاح، ورقّة الطبع، بالرغم من أن السيد بينغلي كان على النقيض تماما من شخصية السيد دارسي، إلا أنه كان سعيدًا بصفات بينغلي التي كان تروق له مثل كونه شخصاً يعتمد عليه بشكل كبير، ويتمتع بآراءٍ صائبة معظم الوقت.

كان بينغلي من أكثر أصدقاء دارسي تفهمًا، ولكنّه أقلّ منه ذكاء، وأقلّ منه قيمة في الطبقة الاجتماعية. وبالرغم من ذلك فإن دارسي كان متمسكاً بعلاقته مع بينغلي، لأنّه كان يعلمُ جيداً كيف يستطيع بينغلي أن يخطفَ الأبصارَ في أي مكانٍ يذهب إليه، وكيف يتعلق به الجميع لأخلاقه العالية المتواضعة، على العكس من دارسي الذي كان متعالياً، متحفّظاً، وصعب الإرضاء، بالرغم من أنه كان من طبقة أرستقراطية راقية، إلا أن أخلاقه كانت غير مشجّعة للآخرين ليدخلوا في علاقة معه.

ما حدث في الحفل الراقص في ميريتون، كان معبّراًعن شخصيتي بينغلي ودارسي، حيث أنَّ الجميع أعجبَ بالسيد بينغلي وبأخلاقه العالية وبساطته ومرونته في التعامل، وبالتالي فهو قد أعجب بالآنسة جاين بينيت وبجمالها وتعلّق بها، وهي أيضاً تعلّقت به. من جهةٍ أخرى نفرَ الجميعُ منَ السيد دارسي الذي تعامل بفوقيّة وتعالٍ على الحضور في الحفل الراقص. وكعادته فإنّ السيد دارسي لم يُعجب بأحدٍ في الحفل، كما أنّه لم يتلقَ أي اعجاب من أحدٍ هناك.

وبالنسبة للآنسة جاين بينيت، فقد قال أنها جميلة، لكنها تبتسم كثيراً وهذا عيبها.

أما الأختين بينغلي، فقد اعترضتا أيضاً على ابتسامات الآنسة بينيت الكثيرة، لكنهما أعجبتا بها وأحبتاها، واعتبرتا أنها فتاة لطيفة، ومن الممكن أن يحبا التعرف عليها بشكلٍ أكبر. وبما أنّ رأيَ الأختين بالآنسة بينيت بأنّها كانت لطيفة، فإنّ السيد بينغلي اعتبرَ أنَّ هذا تخويل له ليتعرف عليها أكثر لو أحب أن يختارها.

الفصل الخامس

كانت هناك عائلة تسكن على مسافة قريبة من لونغ بورن، حيث تقطن عائلةُ بينيت، وكانت هذه العائلة قريبةً جداً من عائلة بينيت ومحبّبَة لهم. كان السيّدُ وليام لوكاس، يقطن هناك، وقد جمعَ السيد ويليام ثروة لا بأس بها من العمل في التجارة في ميريتون. واستطاع أن يحصلَ على لقب فارس، عندما توجّه للملكِ بخطاب شكرٍ حين كان في وظيفة عُمدة البلدة.

هذا التميّز المهم الذي حصل عليه، جعله يشعر بالاشمئزاز من عمله في التجارة، ومن إقامته في مقاطعة صغيرة بجانب سوق البلدة. لذلك تركَ عمَلَه وتركَ مكانَ إقامتِه السابق، وانتقل مع عائلته إلى منطقة تبعد حوالي الميل عن ميريتون، وسَمّى منزله نُزل لوكاس، فكان يريد أن يتفرّغ للشعور بأهميته، وللتعاملِ بلطفٍ مع كل العالم، بعيداً عن العمل وضجة سوق البلدة.

كان السيدُ ويليام لوكاس بطبيعته لطيفاً ومحباً للآخرين، وقد أضاف اللقبُ الجديد الذي حصل عليه، صفةً جديدة لشخصيته، فقد أصبح مُجاملاً يحسن الاهتمام بالاخرين.

إضافة الى ذلك، يمكنُ القول أنَّ السيدة لوكاس امرأةً طيبة ولطيفة، لكنّها لم تكن بذكاء السيدة بينيت، لذا لم تهتم السيدة بينيت كثيراً بصداقتها، لأنّها

كانت غير ذات فائدة بالنسبة لها. وكان لدى آل لوكاس عدة أولاد، وكانت الكبرى فيهنَّ شابةً حكيمةً وذكية في عمر السابعة والعشرين، وأصبحت الصديقة المقرّبة لاليزابيث.

في الصباحِ الذي تلا الحفلَ الراقص، جاءت الآنسةُ لوكاس إلى لونغ بورن لزيارة اليزابيث والتحدث معها بشأن الحفل وما دار فيه، حيث كانت تلك المحادثة من الضروريات اللازمة عقب أي حدثٍ إجتماعي لافتٍ في البلدة. وعندما وصلت إلى هناك قالت لها السيدة بينيت: «لقد بدأت الحفل الراقص بشكل جيد يا شارلوت، لقد كنتِ الاختيار الأول للسيد بينغلي».

- «ولكن يبدو أنه أحب اختياره الثاني أكثر».

- «أه شارلوت تقصدين ابنتي جاين. أعتقدُ أنّ ذلك صحيحاً، لأنه رقص مع جاين مرتين. سأكون صادقةً معك، أظنُّ أنّه أعجب بها، بل في الحقيقة هو بالتأكيد أُعجبَ بها، لقد سمعتُ شيئاً بهذا الخصوص هناك، لكن لا أعلم ما هو بالضبط، أظنُّ أنّه شيء يتعلق بالسيد روبنسون».

- «سيدة بينيت، هل تقصدين ما سمعته بالصدفة مما دار بين السيد بينغلي والسيد روبنسون، حين سأل السيد بينغلي عن رأيه في الحفلات الراقصة المقامة في ميريتون، وعمّا اذا أحبَ ذلك الحفل الراقص؟ سأله أيضاً عن رأيه في الفتيات المتواجدات في الحفل، ومن برأيه تكونُ أجملَ واحدةٍ منهنَّ. حينها أجاب السيد بينغلي دون تردد عن السؤال الأخير، وقال أنّه ليس هناك شكٌ في أنّ الابنة الكبرى للسيد بينيت هي الأجمل في الحفل، وهي حقيقةٌ لا يختلفُ عليها اثنان بالنسبة له».

استطردت شارلوت: «أظنُّ أنّ سماعي محادثة السيد بينغلي مع السيد

روبنسون كانت ذات أهمية أكثر من سماعك المحادثة بين السيد دارسي وصديقه، حيث أن السيد دارسي ليس بذا أهميةٍ مثل صديقه، وكلامُه لا يستحقُ الإستماع إليه. أليس كذلك أيتها المسكينة إليزا؟»

ردّت السيدةُ بينيت عليها وقالت: «أرجوكِ أن لا تدفعيها للتفكير في هذا الموضوع ثانية يا شارلوت، حتى لا تشعر بالإهانة بسببِ شخصٍ غير مقبول إجتماعياً ولا يستحق الإهتمام، بل في الحقيقة إنّه لمن سوء حظِ أي فتاة، أن يقعَ دارسي في غرامها! لقد أخبرتني السيدة لونغ التي جلست إلى جواره لمدة نصف ساعة، أنه لم يفتح فمه أبداً ليقول لها أي شيء».

أجابت جاين: «هل أنت متأكدة يا أمي؟ لأنني لاحظت أن السيد دارسي كان يتكلم معها».

- «نعم صحيح، لقد سألت السيدة لونغ، دارسي، ما إذا كان قد أحبّ نيثرفيلد، فأجابها مكرهاً، وقد بدا مستاءً جداً كما ذكرت السيدة لونغ، لأنّه لا يحب أن يكلّمه أحد».

أجابت جاين: «لقد أخبرتني الآنسة بينغلي، أن دارسي لا يتكلّم كثيراً، إلا عندما يكون بين أصدقائِه المقرّبين، ويصبح حينها لطيفاً جداً».

ردّت شارلوت: «لا يهمني إذا ما كان قد تكلّم مع السيدة لونغ أم لا، بل كنتُ أتمنى لو كان رقص مع أليزابيث».

وجهّت السيدة بينيت حديثها لابنتها اليزابيث: «لو كنتُ مكانك يا ليزي، فإنني لن أرقص معه أبداً».

- «وأنا أعدك يا أمي وبكل سهولة، أنني لن أرقص معه أبداً».

ثم قالت شارلوت لوكاس: «إن طريقة دارسي في التعالي والتفاخر لم تزعجني أو تضايقني كالمعتاد، لأنني أعتقد أنّ عنده عذره لفعل ذلك. فالمرء

قد يتساءل إذا كان شاباً وسيماً مثله ويتحدّر من عائلة ثرية ومعروفة، ألن يشعر بالكبرياء والفخر بنفسه، مَن له الحق في ذلك غيره؟ أعتقد أنّ من حقه أن يكون فخوراً بنفسه».

ردّت اليزابيث: « كلامُك صحيحٌ يا شارلوت، وأعتقدُ لو أنّه لم يذكّرني بتلك الطريقة السيئة، لكنت قد أعطيته العذرَ في الشعور بالفخر والكبرياء بتلك الطريقة».

وحينها لفتت ماري الإنتباه لقوة ومتانة تأملاتها حول موضوع الكبرياء وقالت: «الكبرياء، هو حسب قراءاتي وملاحظاتي، خطأٌ كبيرٌ وشائعٌ في شخصية الإنسان، وهو شائعٌ لدرجةِ أننا كلنا معرّضين للوقوع فيه بسبب طبيعتنا الإنسانية. وأعتقد أن القليل منّا فقط لا يقعون في هذا الامتحان، حيث أنّه من النادر أن لا يشعر المرء بالفخر بسبب صفة أو عدة صفات يراها في نفسه، سواء كانت حقيقيّة أو وهميّة.

وتابعت، في الحقيقة الكبرياء والغرور هما صفتان مختلفتان، بالرغم من أن الكثيرين يخطئون ويعتقدون أنهما شيء واحد. ومن الممكن أن يكون الشخصُ ذو كبرياءٍ ولكنّه غير مغرور، حيث أنّ الكبرياء يعودُ إلى إحساسنا الشخصي بالفخر بسبب رأينا في أنفسنا. بينما الغرور هو ما نحاول أن نقنع الآخرين بأمرٍ موجودٍ فينا».

في تلك اللحظة تدخّل أخو شارلوت الأصغر، والذي جاء معها، وقال: «لو كنتُ غنياً مثل السيد دارسي، فإنني لن أهتم لو كان يبدو عليّ الكبرياء أو الغرور، وسوف أقوم بتربية قطيعٍ من الثعالب، وسوف أشرب زجاجةً من النبيذ كل يوم».

ردّت السيدةُ بينيت عندها وقالت: «إذاً فأنت سوف تشرب كمية كبيرة

بهذه الطريقة، وأكثر مما ينبغي لك أن تشرب، وإذا رأيتك في هذه الحال، فإنني سوف آخذ منك زجاجتك فوراً».

اعترض الصبي على كلام السيدة بينيت ورفضَه، فأصرّت هي، هكذا استمر الجدال بينهما، حتى انتهت الزيارة.

الفصل السادس

انتظرت سيداتُ لونغ بورن الزيارة من سيدات نيثرفيلد، وجاءَ الردُّ، بأنّ لطف وطيبة الابنة الكبرى جاين لاقى صدىً طيباً عند الأختين بينغلي، لكنهما في الحقيقة، اعتبرتا أن السيدة بينيت لا تُطاق، وأنّ الأخوات الصغيرات في عائلة بينيت لا يستحققنَّ الاهتمام. لكن الأختين الأكبر في العائلة جاين واليزابيث حصلتا على اهتمام الأختين بينغلي.

فرِحت جاين كثيراً بهذا الاهتمام من الأختين بينغلي، لكنَّ اليزابيث لم ترَّحب به كثيراً، وهي تعتقد أن هناك تصنّعاً كبيراً في طريقة تعامل الأختين بينغلي مع الناس من حولهما، وحتى مع أختها جاين أيضاً، ومن وجهة نظرها، أنَّهما تعاملتا معها بشكل جيد فقط بسبب إعجاب أخيهما بها، لذلك لم تحب أن تطوّر علاقتها بهما.

لقد لاحظت اليزابيث أنَّ أختها جاين بدأت في الوقوع بحب السيد بينغلي، لكنها لم تكن تخاف عليها من ذلك، لأنّه لن يعلم أحد بحبها هذا، وبما أن جاين كانت صلبة في مشاعرها وتحرص جيداً على إخفائها عن الجميع.
لاحقاً وفي مناسبة أخرى، أخبرت اليزابيث صديقتها شارلوت لوكاس بتلك الملاحظات والانطباعات عن علاقة أختها بالسيد بينغلي.

علّقت شارلوت: «إنه من الجيد أن يستطيع المرء أن يحتفظَ بمشاعره لنفسه، ولكنّه سلاحُ ذو حدين أيضاً، لأن المرأة إذا أخفت مشاعرها بشكلٍ كبير عن الشخص الذي تكّن له تلك المشاعر، فإنها ستفقد فرصةَ التأثير على هذا الشخص للحصول عليه. غالباً ما تكون كلّ علاقة بين شخصين فيها عدّة مشاعر مختلطة، منها الغرور والكبرياء والشعور بالامتنان، لذا فإنّه ليس من الحكمة أن نترك كل شعور لدينا يتصرف على هواه ويظهرُ للعلن».

وأردفت قائلة: «أيضاً ليس من السهل الوقوع في الحب دون تشجيع من الطرف الآخر، حيث أنه في ٩٠٪ من الحالات يجبُ على الفتاة أن تظهر اهتمامها بالطرف الآخر، حتى لو كان ذلك أكثر مما هو حقيقي، حتى تنجح في اجتذاب الرجل. دون شك، السيد بينغلي معجبٌ جداً بأختك جاين يا اليزابيث، ولكنه سيبقى كذلك دون أي تقدّم، إذا لم تساعده هي في أن يطوّر مشاعره نحوها».

أجابت اليزابيث: «ولكن جاين تفعل ذلك في الحقيقة، فهي تساعده بطريقتها، حيث أنها تهتم به ومعجبةً به حقاً، وهذا واضح، ولا أظن أنّه لم يفهم ذلك، إلا اذا كان بسيطاً جداً».

- «تذكري يا اليزابيث أنّ السيد بينغلي لا يعرف جاين جيداً، كما تعرفينها أنت، وبالتالي من الممكن أن لا يفهم أن تصرفاتها تعني إعجابها به».

- «لكنّ الرجل لا بد وان يلاحظ بشكلٍ أو بآخر بأنّ الفتاة، معجبةً به، إذا اهتمّت به أكثرَ من العادي».

- «قد يكون ذلك صحيحاً لو أنّ السيد بينغلي يرى أختَك جاين معظمَ الوقت، ويقضيان وقتاً أطولاً مع بعضهما. لكن حتى لو التقيا في معظم الأوقات، فإنّهما يكونان بصحبةِ أشخاصٍ كثيرين وفي مناسباتٍ اجتماعية، لا

تسمح لهما بالمحادثةِ الطويلة التي تجري بالعادة بين الحبيبين».

- «إن خطتك جيّدة يا شارلوت، ومعك حق في كلامك، حيث أنَّ أي فتاةٍ تريدُ الحصول على زوجٍ ثري، أو أي زوجٍ ببساطة، فإنّه يجبُ عليها أن تتبع خطةٍ معينة للحصول عليه، ولكن للأسف جاين أختي ليست كذلك، فإنها عفويّة وتلقائية ولا تحب الخطط والتحضيرالمسبق ولا القيام بأي عملٍ للحصول على ما تريد، حتى أنّها لا تدري إذا كانت تريده أم لا، لأنها لم تعرفه إلا منذ أسبوعين، ورقصت معه أربعَ رقصات في ميريتون، ورأته مرةً صباحاً في منزله، وتناولت العشاء معه بحضور مجموعةٍ من الأصدقاء لأربعِ مرّات. وأظنُّ أنّ كلّ تلك المقابلات غيرُ كافيةٍ لتستطيع الحكمَ على شخصيته ومعرفته جيداً».

- «من الممكن أن يكون قضاء أربع أمسيات معاً، ولو كان في وجود أشخاصٍ كثيرين كافياً ليتعرّفا على الأمورِ الشخصية لبعضهما. في الحقيقة أتمنّى لجاين كل النجاح في حياتها، وأعتقدُ أنّها سوف تكون سعيدةً جداً معه في حياتها لو أنها تزوجته في أقربِ فرصة، ولن تحتاج أن تقوم بدراسة شخصيته لإثني عشر شهراً أي لمدة سنة كاملة، فالسعادة في الزواج هي مسألة حظ، ولا يحتاج لكل هذه التعقيدات، ومن الأفضل ألاَّ يعرفَ الاثنينُ عن بعضهما كلَّ عيوبهما وإلا لن ينجح الزواج».

- «إنك تضحكينني يا شارلوت، ولكنّ ذلك ليس شيئاً حكيماً أن لا تتعرفي على من تريدين الزواج به جيداً قبل الزواج، وأنتِ تعلمينَ أنّ ذلك ليس شيئا حكيماً، ولن تقومي به شخصياً».

كل هذه التحليلات النفسية جرت فيما كانت اليزابيث منهمكة في مراقبة تصرفات السيد بينغلي ومدى اهتمامه بأختها، ولكن لم تلاحظ أن هناك شخصاً يراقبها هي شخصياً باهتمام، لقد كان صديقُ بينغلي السيدُ دارسي ينظرُ لها

باهتمامٍ الآن، ذلك بعد أن اعتبرها غير جميلة عندما رآها أوّل مرّة في الحفل الراقص، وعندما رآها للمرة الثانية نظرَ إليها فقط لينتقدها، وأخبر صديقه السيد بينغلي، أنّ اليزابيث لا تمتلكُ أيَ صفةٍ جميلةٍ في وجهها. ثم اعترف لنفسه، أن هناك ذكاءً وجمالاً في تعبيرات عينيها السوداوين الجميلتين، ولاحظَ بعد ذلك أن هناك صفات أخرى جميلة فيها، وأن شخصيتها لطيفة ومبهجة، بالرغم من أنها حسب رأيه، تفتقدُ للذوقِ الراقي الحديث، إلا أن شخصيتها المِرحة جذبته.

لم تكن اليزابيث تعلم بكل هذا الكلام الذي يدورُ في رأسِ السيدِ دارسي، فهو بالنسبة لها مجرّد شخصٍ غيرُ محبوبٍ اجتماعياً، وشخص لم يجدها جذّابة بشكل كافٍ ليطلبها للرقص.

صارَ دارسي يتمنى لو يعرفها أكثر ويتشوّق لمعرفة شخصيتها، لذلك بدأ في الإنصات إليها باهتمام عندما تتحدث إلى الآخرين، كخطوة أولى، وقد لاحظت اليزابيث ذلك أوّل مرة عندما كانت في زيارة لبيت السيد ويليام والد شارلوت وكان دارسي موجوداً وقتها.

سألت صديقتها شارلوت عن الموضوع: «ما الذي يقصده السيد دارسي بالإنصات إلى حديثي مع الكولونيل فورستر؟».

- «إنه سؤالٌ لا يستطيع غير السيد دارسي أن يجيبَ عليه».

- «إذا فعلها مرّة أخرى فإنني سوفَ أخبره أنني ألاحظ ما الذي يفعله، في الحقيقةِ إنّه ساخرٌ وانتقاديٌّ في تصرّفاته وكلامه، وإذا لم أنتبه وأكون حذرةً منه، فإنني أخافُ منه ومن نظراته في أن يسخر مني».

بالطبع استنكرَت شارلوت بأن تقومَ اليزابيث بإخبارِ دارسي هذا الكلام، من أنّها تراقب ما يفعله، وهذا بالضبط ما حفّز اليزابيث لأن تلتفتَ نحو السيد

دارسي وتسأله: «هل تعتقدُ يا سيد دارسي أنني تكلمتُ بطريقةٍ غير ملائمة وغير مألوفة حينَ طلبتُ من الكولونيل فوريستر أن يقومَ بتنظيم حفل راقص لنا في ميريتون؟».

- «أنتِ تكلمتِ بحماسٍ زائد، وبالفعل فالحفلات هي ما تجعلُ السيدات مفعمات بالحيوية والنشاط».

- «إنك شديدٌ في حكمكِ على السيدات يا سيد دارسي».وتوقف حديثهما عند هذا الحد أو هذا ما بدا حتى الان.

مالت شارلوت نحو إليزابيث قائلة : «إنّه دورك الآن يا اليزابيث لتتلقي المضايقات، سوف أفتحُ هذه الآلة وأنتِ تعلمين ماذا يعني ذلك».

- «كم أنت غريبة يا شارلوت! مع أنّك من المفروض صديقتي اللصيقة، ولكنّك تريدنني أن أعزف وأغنّي أمامَ أي شخص، لو أنني كنتُ مغرورةً لتفوقي في العزف فإنني لن أكونَ صديقتك، وبما أن ذلك غير صحيح البتة، لذلك فأنا مضطرّة لأن أغني، وبما أنَّ هناك مثلٌ مشهورٌ يعرفه الجميع هنا، وهو (أننا يجب أن نحتفظ بأنفاسنا لنستطيع أن نبرّد حساءنا) فإنني أقول أنني سأحتفظ بأنفاسي لأغنّي».

بدأت اليزابيث بالغناء وكان غناؤها مفرحاً، ولكنّه لم يكن بالغناء الرفيع. وبعد أغنية أو اثنتين، أفسحتِ المجالَ لأختها ماري لتعزفَ وتغنّي، واستمرت بالغناء والعزف قبل أن يطلب الحضور منها المواصلة، حيث أن ماري تحمّست للغناء وكأنّها كانت متحفّزة لإظهار مواهبها.

كانت ماري الوحيدة في عائلة بينيت التي اجتهدت لتحصلَ على العلم والمعرفة، ولتحقّق الإنجازات. هي لم تكن عبقريةً أو ذات ذوق راقٍ، ولكن كان عندها بعض الغرور، الذي جعلها تبدو متحذلقة ومدّعية. ومع أنها

عزفت أفضل من اليزابيث، إلا أنَّ الجمهور أحبَّ عزف اليزابيث أكثر وأصغى لها بسرور.

في تلك الأثناء كانت فتياتُ بينيت الصغيرات يشجعّن أختهن ماري أكثر، وانضمَّ إليهنّ أولاد ويليام لوكاس الذين كانوا يرقصونَ معهنَّ أثناء عزفها في الطرف الآخر من الغرفة.

كان السيد دارسي واقفاً قرب الأولاد وهم يرقصون، ساخطاً وناقماً، على كيفيةِ إضاعة الأمسية بهذه الطريقة، وكان مستغرقاً في أفكاره ولم ينتبه أن السيد ويليام جاره كان واقفاً قربه، وسرعان ما تكلم السيد ويليام معه: «كم هو رائعٌ الرقص هكذا لأنه تسلية رائعة للشباب، وأعتقد أنّه من أفضلِ أنواع التسلية الراقية للمجتمعات المتحضّرة».

فأجابه بجمود – «بالتأكيد سيدي، كما أنّ الرقص موضة جيدة للمجتمعات غير المتحضرة لتدمج نفسها مع المجتمعات الراقية. فأي همجي يستطيع الرقص».

ابتسم السيد ويليام عندما رأى السيد بينغلي ينضَّم للرقص مع الشباب وقال للسيد دارسي: « لا بدَّ أن صديقك يعرف كيف يرقص جيداً! وأظنك أيضاً تجيدُ الرقص، أليس كذلك؟».

– «هل رأيتني أرقص في حفل ميريتون؟»

– «نعم هذا صحيح، وكنتُ سعيداً بذلك. هل ترقص غالباً في سانت جيمس؟»

– «أبداً يا سيدي، لا أرقص».

واستمّر الرجلين في الحديث، وسألَ السيدُ ويليام السيد دارسي إن كان يمتلكُ منزلاً في البلدة، لكنّه لم يتلقَ أي إجابة من دارسي الذي التزم الصمت.

وفي هذه الأثناء ظهرت اليزابيث وكانت تسير بالقرب منهما فناداها السيد ويليام وهو ينوي أن يقوم بعمل شيء يتطلب بعض الشجاعة وقال لها: «لماذا لا ترقصين يا عزيزتي اليزابيث؟ سيد دارسي، أقدّم لكَ الآنسة اليزابيث كشريكةٍ رائعةٍ في الرقص، أنا واثقٌ من أنّك لن تستطيع الرفض خصوصاً إذا كان أمامك شخصاً جميلاً مثلها». وأمسكَ يد اليزابيث ليسلّمها للسيد دارسي، والذي بالرغم من استغرابه كان مستعداً ليمسك بيدها، ولكنَّ اليزابيث تراجعت للخلف وقالت: «في الحقيقةِ سيدي ليس عندي أي رغبةٍ في الرقص، ولم آتي في هذا الاتجاه طمعاً في شريك للرقص».

حاولَ السيدُ دارسي أن يطلب يدها للرقص بتهذيبٍ كبير، لكن دون فائدة، لأنَّ اليزابيث كانت مصممةً على الرفض.

تدخل السيد ويليام ليقنعها: «أنت رائعة في الرقص يا عزيزتي فلا تحرميني من رؤية رقصك، وبالرغم من أن هذا السيد لا يهتم بأيِ متعةٍ على الإطلاق، فلا أظنُّ أنّ عنده أي اعتراض على الموضوع».

ابتسمت اليزابيث وقالت: «إن السيد دارسي في الحقيقة مهذبٌ جداً».

ثمَّ نظرت إليه نظرة مواربة واستدارت، و تابعت طريقها، دون أن تشعر بأنها أهانت السيد دارسي.

غرِقَ السيد دارسي في التفكير بعد ذهابها وأحسَّ بالرضا عن نفسه. حينها اقتربت منه الآنسة بينغلي وسألته: «هل لي أن أخمّن لماذا هذا الإستغراق في أحلام اليقظة؟».

- «أعتقدُ أنّك لن تعرفي».

- «كنتَ تفكر يا دارسي، كيفَ أنَّ كلَّ ذلك مضيعةٌ كبيرةٌ للوقت، بأن تضيّع وقتَك في هذه الأمسيات التي لا تجلب فائدةً في هذا المجتمع. في الحقيقة

أنا من رأيك، حيث أنني أشعر بالضيق من كل تلك الضوضاء والعبثية والتكلّف، ورغم ذلك فإن هؤلاء الناس يشعرون أنهم ذوو قيمة كبيرة، أريد أن أسمع حكمَك عليهم».

- «إنَّ استنتاجك خاطيء تماماً، حيث أنني كنتُ أفكّر في موضوعٍ إيجابي، كنتُ أتأمل وأفكر كيف من الممكن لعينين جميلتين في وجه امرأة جميلة أن تشعراننا بالسعادة الغامرة».

ركّزت الآنسة بينغلي نظرتها في وجه السيد دارسي، وطالبته بأن يخبرها باسم السيدة الجميلة التي جعلته يفكر بهذه الطريقة، فأجابها السيد دارسي بشجاعة : «إنها الآنسة اليزابيث بينيت».

ردّت الآنسة بينغلي بدهشة عارمة وبصوتٍ خفيض: «الآنسة اليزابيث بينيت! ومنذ متى كنتَ تهتم بمثلها؟ هل يجبُ أن أتمنى لك السعادة قريبا؟!»

- «هذا ما كنتُ أخشاه، عقلُ الفتيات يقفز سريعاً من الإعجاب إلى الحب إلى الزواج في دقيقة، كنتُ متأكدٍ أنّك ستقولين هذا الكلام».

- «لا، لا، حقاً لو كنتَ جاداً بالموضوع، فسأعتبره أنّه حصل، وخصوصاً سيكون عندك حماة رائعة وسوف تلازمكما دوماً في بيتكما».

استمع دارسي لكلام الآنسة بينغلي دون أدنى اهتمام وتركها لتتخيل ما تريد.

الفصل السابع

كانت أملاك السيد بينيت عبارة عن عقار (لونغ بورن) يرجعُ لألفي سنة ماضية، ورثه عن عائلته لكن لسوء حظِ بناته فإنّه لن يستطيع أن يورثهنَّ، لأنّه بحسب القانون سوف يعود للورثة الذكور فقط، وفي حالتهم فهم أقارب له من بعيد. أما بالنسبة لثروة أمهن السيدة بينيت، فقد كانت ثروة كبيرة وجيدة بالنسبة لها، حيث ورثت ٤٠٠٠ جنيه استرليني عن والدها الذي كان يعمل محامياً في ميريتون، لكنّها بالكاد تكفيهم، بما أنها يجب أن تعوّض عن النقص في ثروة زوجها.

للسيدة بينيت أختاً تزوجت من السيد فيليبس الذي كان يعمل مساعداً لأبيها، ثم أخذ عنه العمل من بعد وفاته. وكان لهما أخاً استقر في لندن ويمتلك تجارة محترمة يعمل فيها.

يبعد منزل لونغ بورن حوالي ميلاً واحداً عن ميريتون، وهي مسافة مناسبة جداً لفتيات عائلة بينيت، حيث كنَّ يذهبن إلى ميريتون ثلاث أو أربع مرات أسبوعيا لزيارة خالتهن والذهاب إلى متجرِ بيع القبعات. فيما الأختان الأصغران في العائلة كاثرين وليديا هما اللتان تهتمان بهذه الزيارة بالذات، لأنهما مرتاحتي البال أكثر من بقية الأخوات. ويبديان اهتماماً كثيراً بمعرفة

آخر أخبار البلدة من خالتهما في ميريتون، لتجدا ما تتكلمان حوله عند عودتهما إلى المنزل، مؤخراً أبديتا اهتماماً خاصاً بالأخبارعن قدوم الفرقة العسكرية للحرس المدني إلى ميريتون للبقاء هناك طوال فصل الشتاء، حيث يقع المقر الرئيسي لفرقتهم هناك.

أصبحت زيارة الخالةُ فيليبس هذه الأيام مثمرةً جداً، للحصول على آخر الأخبارعن جنود الفرقة العسكرية وبعض أسماء أفرادها، ومع مرور الوقت بدأت فتيات بينيت بالتعرف على هؤلاء الجنود شخصياً.

السيد فيليبس زوج خالتهن يزور الجنود دوماً، وأقام علاقات جيدة معهم، وكان هذا من دواعي سرور الفتيات، اللواتي أصبحَ موضوع الجنود وثروة السيد بينغلي الكبيرة شغلهنّ الشاغل، ما أعطى الأم، السيدة بينيت سعادةً كبيرة، والتي كانت تهتم بثروة السيد بينغلي الكبيرة بشكل خاص، على عكس بناتها اللواتي جذبهنَّ الحديث عن أفراد الفرقة العسكرية في ميريتون.

ذات مرة بينما كانت البنتان كاثرين وليديا تتكلمان بحماسٍ عن أفراد الفرقة العسكرية، كان الأبُ السيد بينيت يستمع لهما بالصدفة، فسارع إلى القول: «كنتُ أشكُ في أنكما أنتما البنتان الأكثر سخافة بين كل البنات في البلد، ولكن الآن بعد سماعي لحديثكما تأكدت من ذلك».

أحسّت كاثرين بالإرتباك والإحباط، لكنّها لم تقل شيئا، بينما ليديا لم تبالي أبداً بكلام أبيها، وواصلت حديثها بإعجابٍ عن الملازم كارتر وكيف كانت تأمل أن تراه في ذلك اليوم، بما أنه كان سيغادر إلى لندن في صباح اليوم التالي.

توجهت السيدة بينيت بالكلام لزوجها: «إنني مندهشةٌ جداً يا عزيزي من قدرتك على اتهام بناتك بالسخافة هكذا، إنني لو فكرت باتهام أولادِ أحدٍ بذلك، فلن أقوم بذلك اتجاه بناتي!».

- «حتى لو كانت بناتي سخيفات فعلى الأقل أتمنّى أن أكونَ دائماً على معرفة بذلك».

- «لكنهن جميعاً ذكيّات ولسنَ سخيفات».

- «هذا هو الفرق بيني وبينك يا عزيزتي، حيث أنني كنتُ آملُ أن تكون جميع بناتي ذكيّات، لكنني عاقل بما فيه الكفاية-على عكسك- لأعترف بأن ابنتينا الأصغرتين هما من أكثر البنات حمقاً».

- «يا عزيزي بينيت، لا يجب أن تتوقّع أن تُفكر بناتنا الصغيرات كما نفكرُ نحن، فهنَّ عندما يكبرُن ستختلف طريقة تفكيرهن وسوف يصبحنَ مثلنا، حينها لن يكترثوا للأحاديث عن الجنود أو عن غيرهم بهذه الطريقة. إنني أذكر أنني عندما كنت صغيرةً ذات مرة أعجبني ضابط بمعطفٍ أحمرٍ كثيراً، وظللت أفكر فيه لوقتٍ طويل، وأعتقدُ أنني حتى الآن ما زال يخطر على بالي بعض الأحيان. كما لو أنّ أحد الضباط الذين يحصلون على راتب خمسٍ أو ستةِ آلافِ سنوياً، طلب إحدى بناتي للزواج فسوف أوافق حتماً على طلبه. وقد لاحظت أن الكولونيل فوريستر كان وسيماً وهو في ملابسه العسكرية عندما رأيته في حفل السيد ويليام منذ أيام.

في هذه اللحظة تكلمت ليديا بصوتٍ عالٍ: «امّي، إنَّ خالتي تقول أن الكولونيل فوريستر والملازم كارتر لا يذهبان مثل عادتهما عند قدومهما إلى البلدة، إلى السيدة واتسون، وتقول أنها تراهما الآن يقفان كثيراً في مكتبة كلارك».

لم تستطع السيدةُ بينيت الرد على ابنتها، بسبب وصول خادم السيد بينغلي من نيثرفيلد فجأة إلى منزلهم، وبيدهِ رسالةً يقول أنها مرسلة إلى الآنسةِ جاين، وبحسب الأوامر فإن الخادم لن يعود إلا بعد أن ينتظر الردَّ على الرسالة .

فرحت السيدة بينيت كثيراً ولمعت عيناها بهجةً وسروراً، وأخذت تكلّم ابنتها جاين بصوت عالٍ وهي تقرأ الرسالة: «ممن هذه الرسالة عزيزتي جاين؟ وماذا تقول؟ وما الغرض منها؟ حسناً يا عزيزتي اقرئيها بسرعة واخبرينا بمضمونها، أسرعي يا حبيبتي».

- «إنها من الآنسة بينغلي، وسوف أقرأها بصوت عال».

{ صديقتي العزيزة:

اذا لم تتعطفي عليَّ أنا وأختي لويزا وتأتي لتتناولي العشاء معنا الليلة، فإننا سوف نكون في خطرِ أن نُكرِهَ أنفَسنا أنا ولويزا طولَ العمر، وذلك لأننا لوحدنا طوال الوقت ونتشاجر، كما تفعلُ أغلبُ الفتيات، وبما أنّ أخي بينغلي وبقية الرجال ذهبوا للعشاء مع الضبّاط، فأرجو أن تأتي إلينا بمجرّد تسّلمك لهذه الرسالة.

صديقتك الحبيبة: كارولين بينغلي }

هنا صرخت ليديا: «أمّي، إن خالتي لم تخبرنا بهذا الخبر عن عشاء السيد بينغلي مع الضباط».

قالت السيدة بينغلي: «يا للحظِ السيء، فالسيد بينغلي سيتناول العشاء في الخارج».

- «أمّي هل أستطيع أن آخذ العربة للذهاب للآنسة بينغلي؟»

- «كلا يا عزيزتي، الأفضل أن تذهبي على ظهر الحصان، لأنها تبدو ستمطر وأرجّح أنّك سوف تبيتين هناك طوال الليل».

هنا تدخلت اليزابيث -مبتسمة بخبث وقالت: «إنها خطّة جيدة في حال كنتِ متأكدة من أنهم لن يرسلوها في عربتهم في طريق العودة» .

- «أنا متأكدة لأن الرجال سوف يذهبون بالعربة لموعد العشاء».

ردت جاين: «أظنُّ أنّه من الأفضل أن أذهب بالعربة».

- «لكن يا عزيزتي إنّ والدك يحتاج للأحصنة في المزرعة، أليس كذلك يا عزيزي؟»

- «نعم بالتأكيد أحتاجهم دوماً، وأنا لا أحصل على الأحصنة كلّما احتجتها في المزرعة»

قالت اليزابيث: «ولكنك اليوم لو حصلت على الأحصنة، فإن أمي سوف تصل إلى غرضها من الموضوع».

وهكذا ذهبت جاين بدون العربة، بل على ظهر الحصان، وودّعتها أمها حتى بوابة المنزل، وهي تتمنى أن تهطل الأمطار حتى لا تعود جاين في هذه الليلة إلى المنزل، بل تبقى هناك في منزل بينغلي، وتستطيع أن تتكلم معه لبعض الوقت حين عودته. وكان للسيدة بينيت ما أرادت فقد أمطرت بعد ذهاب جاين بفترة بسيطة. كان المطر شديداً، وخاف إخوتها عليها جداً، لكنَّ الأم كانت مسرورة أن جاين لن تعود للبيت الليلة.

لم تعلم الأم بنتائج خطتها حتى الصباح التالي، عندما جاء خادم السيد بينغلي إليهم أثناء تناول الإفطار، وأخبرهم أن هناك رسالة للآنسة اليزابيث.

!عزيزتي اليزابيث،

أجد نفسي اليومَ متعبةٌ جداً لأنني تبللت البارحة كثيراً بالأمطار الغزيرة التي هطلت، ولم تسمح لي صديقتاي العزيزتان بالعودة إلى المنزل حتى تتحسّن

صحتي، بل وأصرّتا على أن يراني الطبيب السيد جونز، حيث أنني أعاني من الصداع ومن التهاب البلعوم. أرجو أن لا تقلقوا عليّ عندما تعلمون بزيارة الطبيب لي.

ابنتكم المخلصة !

هنا قال السيدُ بينيت بعد سماع الرسالة، لأنَّ اليزابيث قرأتها بصوت عال: «حسنٌ يا عزيزتي السيدة بينيت، لو انّ ابنتك تعرّضت لأزمةٍ مرضية خطيرة، أو حتى لو أنّها ماتت بسبب مرضها، فإنّه من الجيّد أن نعرف أن هذا كلّه حدث لها بسبب ملاحقتكِ للسيد بنغلي،ولأنها اتبعت أوامرك وتعليماتك في هذا الشأن».

- «قالت إليزابيث»لا تخف يا أبي، فالناس لا يموتون هكذا بسبب وقوعهم في نوبة بردٍ عارضة، ومن الجيّد أنها هناك عندهم، فهم سوف يهتمون بها جيداً، وسوف أذهب لأطمئن عليها هناك على أي حال ، إذا أعرتني العربة».

تمَّ الاتفاق على أن تذهب اليزابيث إلى نيثرفيلد لرؤية أختها جاين والإطمئنان عليها، ولكنها لم تكن تجيدُ ركوب الخيل ولن تحصل على العربة، لذلك لم يكن أمامها خيار إلا الذهاب مشياً على الأقدام، وأخبرت والديها بذلك. صرخت أمها فيها وقالت: «كم أنتِ سخيفة، كيف تريدين الذهاب سيراً على الأقدام كل هذه المسافة والأرضُ موحلةٌ بسبب المطر، لن تكوني بهيئةٍ تصلح لأن يراك أحدٌ عندما تصلين الى هناك».

- «لكنني سأكون بهيئةٍ تصلح لكي أرى جاين، وهذا هو كلُ ما أريد».

فتدّخل السيدُ بينيت وقال لها: «هل تريدين يا ليزي أن تجبريني على إعطائك العربة؟».

- «لا أبداً، ففي الحقيقة المسافة ليست بعيدةً جداً، وعندما يكونُ لدى المرءِ دافعاً قوياً، فإن ثلاثة أميال لن تقف في طريقه، سأعود للمنزل على وقت العشاء».

تكلمت أختها ماري وقالت: «يعجبني إصرارك ومشاعرك النبيلة، لكنَّ الحكمة والتعقل يجب أن ترشدَ المشاعرَ للطريق الصحيح، وبرأيي يجب أن يكون هناك تناسبٌ منطقي بين الاثنين».

تكلّمت كاثرين وليديا وأخبرتاها أنهما ستمشيان معها إلي ميريتون، ولتكمل هي الطريق بعد ذلك، فوافقت اليزابيث، وخرجت الفتيات الثلاث وبدأنَ رحلتهن.

أثناء الطريق قالت ليديا لأخواتها، أنهنَّ لو أسرعن قليلاً في المشي فسوف يلحقنَ بالملازم كارتر قبل أن يغادر ميريتون.

وعندما وصلنّ إلى ميريتون، افترقنَّ. فبقيت ليديا وكاثرين هناك واتجهتا نحو مساكنِ الضباط. وأكملت اليزابيث مشيها إلى نيثرفيلد، وأخذت تقطع الحقول بخطوات سريعة، تقفزُ فوق الحفر وبعضِ الأسوار المنخفضة في طريقها، حتى وصلت إلى مشارفِ المكان ورأت منزل آل بينغلي أمامها، لكنّها كانت تعاني من ألمٍ في قدميها وقد اتسخت جواربها، وكان وجهها محمّرا من المشي و الجري. وعند وصولها للمنزل، أُدخلت إلى قاعة الفطور حيث كان الجميع يجلسون هناك ما عدا أختها جاين. وقد اندهشَ الجميعُ هناك بظهورها المفاجيء، وكيف أنّها قد سارت لوحدها لثلاثة أميال، بالاضافة الى هذا الطقس السيء.

اعتقدت اليزابيث أن الآنستين بينغلي سوف تنظران إليها باحتقار بسبب عملها هذا. ولكن على العكس من ذلك استقبلها الجميع بتهذيب واحترام،

حتى أنّ السيد بينغلي تعامل معها بطيبةٍ ومرح. بينما السيد دارسي بالكاد تكلّم بضعَ كلمات وأعطى ملاحظةَ عن لون بشرتها المشرق الذي اكتسبته بسبب المشي لمسافة طويلة، وعن السبب الذي جعلها تقوم بذلك الفعل لوحدها.

بعد أن التقطت أنفاسها سألت عن أختها جاين وكيف أصبح حالتها الصحيّة، فأخبرتها الآنسة بينغلي أنّها أصبحت بحالٍ أفضل، ولكنّها لا تستطيع النهوض والحضور للإفطار، وأخذتها بنفس اللحظة إلى غرفة أختها، التي فرحت جداً بحضور أختها اليزابيث المفاجيء لزيارتها، وهي التي خجلت من أن تطلب هذه الزيارة مع أنها كانت في أمسِّ الحاجة لها. كانت سعيدةً جداً بوجود أختها وقدّرت لها العناء الكبير الذي تكبّدَته لتأتي كي تطمئن عليها.

بعد انتهاء الفطور، جاءتا الأختان بينغلي إلى الغرفة وقضيتا الوقت مع الأختين بينيت، وأحسّت اليزابيث وقتها أنّها بدأت تحب الأختين بينغلي، عندما رأت كيف كانتا تعاملان جاين بحبٍ ولطف. لم يمّر وقت طويل حتى جاء الطبيب لزيارة جاين فأخبرهم أنها قد مرضت بدوارِ بردٍ شديد، وأنّها يجبُ أن ترتاح في السرير لبعض الوقت. وقد عادت جاين إلى سريرها على الفور لأنها شعرت بالتعب والحمّى، وبصداع شديد. لازمتها اليزابيث دون أن تترك الغرفة ولا حتى لدقيقة واحدة، وحتى الأختين بقيتا معها لأغلب الوقت في الغرفة.

عندما دقّت الساعةُ الثالثةُ ظهراً، وقفت اليزابيث وقالت أنّها يجب أن تغادر إلى منزلها، فعرضت عليها الآنسة بينغلي أن توصلها العربةُ إلى هناك، وحينئذٍ قالت جاين: أنّها تريد أن تذهب معها ولن تبقى، فاضطرت الآنسة بينغليّ أن تطلب من اليزابيث أن تبقى مع أختها الليلة حتى تتحسن، فوافقت. وهكذا أَرسلت الآنسة بينغلي خادمها إلى منزل جاين في لونغ بورن ليخبر أهلها بأن اليزابيث ستبقى مع أختها، وليحضرَ ملابسَها.

الفصل الثامن

ذهبت الأختان بينغلي في الساعة الخامسة لترتديا ملابس العشاء، وفي الساعة السادسة والنصف استُدعيت اليزابيث لتناول العشاء في قاعة الطعام، وتبادلتِ التحية مع الحضور هناك، وفي هذه الأثناء حاولت أن تحكم على السيد بينغلي كخطيبٍ محتملٍ لأختها جاين وأحسّت أنَّ أختها أفضل منه بكثير في الحقيقة.

أثناء الطعام بدأت الأختان بينغلي حديثهما معبرتين عن حزنهما لمرض جاين، وكيف أنّ البرد هو مرضٌ سيء، وهما تكرهان أن تصابا بالبرد، بضعةُ كلماتٍ أخرى ثم نسيتا جاين ومرضها، وهكذا عادت لاليزابيث فكرتها الأولى عن أنها لم تعجبها الأختين ولا طريقتهما في استعراض نفسيهما.

كانَ السيدُ بينغلي هو الوحيد المهتم بوضوحٍ لمرض جاين، وحزين لذلك. وفوق ذلك فقد اهتم السيد بينغلي باليزابيث وكان لطيفاً معها، وبذل قصارى جهده ليوضح لها كم هي مرحبٌ بها، خصوصاً أنها كانت تشعرُ بأنّها دخيلة عليهم. أمّا الأختان، فقد كان اهتمامهما منصباً على السيد دارسي. أمّا السيد هيرست زوج الأخت الكبرى، كان شخصاً كسولاً وخاملاً، لا يهتم في حياته بغير الطعام والشراب ولعب الورق.

بعد انتهاء العشاء عادت اليزابيث فوراً إلى غرفة أختها جاين، وبمجرد خروجها من قاعة الطعام، بدأت الآنسة بينغلي في انتقادها والنميمة عليها، فقد قالت: «إن أخلاقها سيئة جداً في الحقيقة، فهي مزيجٌ بين الكبرياء والوقاحة، كما أنّها لا تحسن الحديث وليس عندها ذوقاً أو أسلوباً خاص بها، وحتى هي لا تتمتّع بالجمال».

أيّدتها أختها السيدة هيرست في كلامها وأضافت بقهقهةٍ مكبوتة: «ليس عندها أي شيء يميّزها أبداً، إلا أنها تمشي لمسافاتٍ طويلة. لن أنسى منظرها هذا الصباح، لقد بدت وكأنّها شخص غير متحضر أبداً».

- «صحيح كان منظرها غريباً جداً هذا الصباح، لقد حاولتُ بصعوبة أن لا أظهر اندهاشي لكونها جاءت كل تلك المسافة سائرةً على قدميها، وبشعرها غير المرتب، لمجرد أن أختها أصيبت بالبرد».

- «كما أنّ معطفها كان متسخاً لمنتصفِه بالوحل، أتمنى أن تكونوا لاحظتم ذلك».

وهنا تدخل السيد بينغلي وخاطب أخته: «ربما يكون كلامك صحيحاً ودقيقاً يا لويزا، لكنني لم ألاحظ كل ذلك، حتى أنّي لم ألاحظ أن معطفها كان متسخا بالوحل، بل على العكس من ذلك لاحظت أن الآنسة اليزابيث بينيت كانت في شكل جيدٍ تماماً عندما جاءت هذا الصباح».

ثم أكملت لويزا كلامها وتوجهت إلى السيد دارسي: «هل لاحظت ذلك أم لا يا سيد دارسي؟ أظنُّ أنك لن تقبل لأختك أن تظهر بذلك المظهر المستهجَن؟»

- «بالتأكيد لا، لن أقبل بذلك! أن تمشي على قدميها، لوحدها لمسافة ثلاث أو أربع أميال، في هذا الطقس السيء، ما الذي كانت تعنيه بفعلتها هذه؟ يبدو

لي أن ذلك هو استعراض بغيض لإظهار نوع من استقلال الشخصية المغرورة، وهذه السنخيّة من السلوك موجودةٌ في أهل القرى ولا يمكن التغاضي عن أنّ ذلك مخالفاً لأصول اللياقة والتهذيب».

ثم تدخل السيد بينغلي للمرة الثانية: «لكن هذا يُظهر حبها وإخلاصها لأختها، وهو شيء جميل جداً».

فمالت الآنسة بينغلي على السيد دارسي هامسة: «أظن أن تلك المغامرة قد غيّرت من إعجابك السابق بجمال عينيها الآثر!!؟»

- «أبداً لم أغيّر رأيي، فقد ازدادَ بريقُ عينيها بسبب المشي لوقت طويل».

ثم عادت السيدة هيرست لتعطي ملاحظاتها: «إنني أكنّ تقديراً كبيراً لجاين بينيت، إنها فتاة لطيفة جداً، وأتمنى من كل قلبي أن تستقر في زواج جيّد، لكن بوجود أبٍ وأمٍّ وأخواتٍ بمثل هذا المستوى، لا أظنُّ أن عندها أي فرصة لذلك النوع من الزواج».

- «أظنّك قلتِ أنّ لديها خالاً يعمل محامياً في ميريتون؟»

- «نعم لديها، ولكن لديها خالاً آخر يعيش في الجانب الفقير من المدينة». وبدأت في الضحك هي وأختها.

فأجابَ السيد بينغلي بانفعال: «لو كان لديها عدد من الأقارب بما يكفي ليملأ كل الجانب الفقير من المدينة، فإن ذلك لن يقلل من جمالها ولطفها».

وتدخل السيدُ دارسي: «لكنَّ ذلك سوف لن يُعطيها أي فرصة هي وأخواتها لكي يستطعنَّ الزواج من رجالٍ لهم قيمة في الحياة».

لم يعطِ السيد بينغلي بعد ذلك أي جواب على ملاحظات صديقه دارسي، وأخذ الأخيرُ يضحك مع أخوات بينغلي على الموضوع.

بعد ذلك عادت الأختان لتقمّص إحساس العطف على جاين، وذهبتا لزيارتها في غرفتها، وبقيتا معها حتى استدعوا للذهاب لتناول القهوة. وكانت جاين لا تزال متعبة. وبقيت اليزابيث إلى جانبها دون أن تتحرّك أبداً، وعندما نامت جاين، أحسّت اليزابيث أنَّ بإمكانها النزول إلى الأسفل حيث غرفة الجلوس، وعندما دخلت هناك وجدتهم يلعبون الورق، ودعوها لتشاركهم في اللعب لكنها اعتذرت، معللّة بأنها لن تستطيع التأخّر في الأسفل لأنّ أختها من الممكن أن تحتاجها في أي وقت، وبأنها ستقرأ كتاباً لتُسلّي نفسها في ذلك الوقت.

هنا كلمها السيد هيرست باندهاش: «هل تفضلين قراءة كتاب على لعب الورق، هذا شيء فرديٌ جداً!»

ردّت الآنسة بينغلي: «إن الآنسة اليزابيث قارئة رائعة، وهي تكره لعب الورق، وليسَ لديها أي اهتمام إلا بالقراءة».

- «ليس الموضوع كذلك أبداً،أنا أحبُّ القراءة لكنني لستُ قارئةً جيّدة، وبالتأكيد عندي اهتمام في أشياء أخرى».

أجاب السيد بينغلي: «بالتأكيد عندك حب لتمريض أختك، وهذا أنا أكيدٌ منه، وأتمنّى أن تسعدي برؤيتها في أحسنِ حالٍ عمّا قريب».

شكَرت اليزابيث السيدُ بينغلي لكلامهِ اللطيف، واتجهت إلى الركن الذي توجدُ فيه الكتب، وبدأت تتصفح بعضها، فعرضَ السيدُ بينغلي أن يُحضر لها كتباً أخرى غيرها، وأخبرها أن جميع الكتب في مكتبته تحت أمرها، وأنه يتمنى لو كان عنده مجموعةً أكبرَ من الكتب لترضيها، إلا أنه ليس قارئاً جيداً.

تدخلت الآنسة بينغلي وأبدت دهشتها لأنَّ والدها لم يترك مكتبةً أكبر من هذه بعد وفاته، وأن مكتبة السيد دارسي في منزله في بيمبرلي تحتوي على

مجموعة كبيرةٍ من الكتب.

أجابِ السيدُ دارسي: «لا بدَّ أن تكون هكذا بالطبع، لأنها نتيجة جهدِ عدة أجيال».

- «ولقد أضفتَ أنت إليها الكثير يا سيد دارسي، لأنك تشتري الكتب دوماً».

- «لأنني لا أتصورُ كيف تهملُ أيُّ عائلة الحصول على مكتبة كبيرة، في أيام كأيامنا هذه».

- «أنت لا تهملُ إضافة أي شيء جميل إلى منزلك في بيمبرلي يا سيد دارسي، ليتك تشتري منزلاً مثله يا أخي».

- «أتمنى أن أشتري منزله في بيمبرلي، لو كان السيد دارسي يعرضه للبيع».

لم تستطع اليزابيث التركيز على الكتاب الذي كانت تقرأه بسبب انصاتها إلى الحديث الذي كان يدورُ قريباً منها، لذلك وضعت الكتاب جانباً، وذهبت لتراقب لعبة الورق فجلست بين السيد بينغلي وأخته الكبرى. سألت الآنسة بينغلي السيد دارسي عن أخته، وأخبرته كم تشتاق لرؤيتها لأنها فتاة لطيفة جداً، ولأنها في نفس الوقت فتاة ذات مهارة وأسلوبٍ مميّز في الحياة لا سيما في العزف على البيانو.

تعجّب السيد بينغلي من اهتمام وقدرة الفتيات على إتقان مواضيع كثيرة في الحياة، لا يهتم لها الرجال عادة.

وافقه السيد دارسي على كلامه، ولكنّه انتقده حين عمّم ذلك على كل الفتيات، لأنه بحسب رأيهِ ليست كل الفتيات بتلك المهارة والإنجازات كما يظن بينغلي.

تكلّمت اليزابيث وأعطت ملاحظتها على ذلك الموضوع، معلّقةً بأن الفتاة تكون مميّزة فقط إذا كانت ماهرة في عدة مجالات مختلفة.

وهنا تدخلت الآنسة بينغلي وقالت: «هذا صحيح لكي توصفُ الفتاة بأنّها متميّزة ومحقّقةً لذاتها، يجب أن تكون ماهرة في مجالات عدة مثل الغناء، الموسيقى، الرسم، الرقص، اللغات الحديثة، ولكي تستحق هذا الوصف، يجب أن تمتاز بأسلوبٍ معينٍ خاصٍ في المشي، وفي نبرة صوتها، وأيضاً في طريقة تعاملها مع الآخرين وانتقائها لعباراتها».

وأضاف السيد دارسي معقّباً: «وبالإضافة إلى كل ذلك، يجب أن تهتم جداً بتنمية عقلها بطريقة فعّالة عن طريق القراءة المعمّقة».

ردّت الآنسة اليزابيث وقالت أنها تشّك في أنه بهذه الطريقة، هناك أي فتاة أو سيدة من الممكن أن تحوز على كل تلك الصفات مجتمعة، وبالتالي فليس هناك امرأة كاملة ومتميزة أبداً. فأجابها السيد دارسي: «إنك شديدة جداً على بنات جنسك!».

واعترضت الأختان بينغلي على كلام اليزابيث، وقالتا الواحدة تلو الأخرى: أن هناك سيدات كثيرات يعرفانها تنطبق عليهما تلك المواصفات. وهنا تدّخل السيدُ هيرست ليقاطع الحديث ويلفت النظر إلى أنّهم يجب أن يكملوا لعبة الورق. فاستأذنت اليزابيث وغادرت الغرفة.

وبعد تأكدها من مغادرة اليزابيث قالت الآنسة بينغلي: «إن اليزابيث فتاة تحاول أن تلفتَ انتباه الرجال عن طريق مهاجمةِ بناتِ جنسها والتشكيكِ في قدراتهن، وللأسف فإن هذا ينجحُ مع الرجال في بعض الأحيان، ولكنني أعتقد أن هذه وسيلة خبيثة وسيئة جداً كي تلفتُ بها الانظار».

أجاب دارسي: «بالتأكيد هي كذلك، وأعتقد أنّ هناك خبثٌ ولؤمٌ في محاولة

بعض الفتيات اجتذاب الرجال بكل الطرقِ والوسائل الملتوية».

عادت اليزابيث لغرفة الجلوس مرّةً أخرى لتخبرهم أنَّ حالة جاين أصبحت أسوء، وأنّه يجبُ أن يرسلوا في طلب الطبيب السيد جونز في الحال.

تدّخلت الأختان بينغلي وقالتا أن الأطباء الريفيين لن يستطيعوا أن يتعاملوا مع الحالات الصعبة لذا يجبُ إرسال أحدٍ لإحضار طبيب متخصصٍ ماهر من المدينة.

في النهاية استقرَّ الرأيُ على وجوبِ إحضار الطبيب جونز في الصباح الباكر،فغدا السيد بينغلي في حالة سيئة من القلق على جاين وحالتها، وأعطى أوامره للخدم بالعناية الشديدة بالآنسة جاين وبأختها اليزابيث.

الفصل التاسع

في صباح اليوم التالي أرسلت اليزابيث جواباً مريحاً إلى حدٍ ما للسيد بينغلي الذي أرسلَ الخادمة ليطمئنَ على حالة جاين، ولكنّها طلبت أيضاً أن ترسل رسالة إلى أهلها في لونغ بورن للطلب من السيدة بينيت للحضور إلى نيذرفيلد لتقريرِ الوضع هناك، وعندما وصلت الرسالةُ للسيدة بينيت جاءت على عجل مع ابنيتيها الأصغرين، فوصلت هناك بعد انتهاء الفطور .

عندما رأت السيدة بينيت ابنتها جاين تأكدت أنّ مرضها ليس خطيراً، وهي تتحسّن، فارتاحت لذلك، لكنّها لم تشأ أن تخبر الجميع بذلك، لأنها أرادت لجاين أن تبقى في نيذرفيلد أطول مدةٍ ممكنة. ولم تستمع لكلام ابنتها في أن جاين يجب أن تنتقل إلى منزلها. وحتى أن الطبيب جونز الذي جاء للاطمئنان على جاين نصح بأن تبقى جاين في مكانها حتى تتحسن.

نزلت السيدة بينيت وبناتها الثلاث إلى غرفة الجلوس وقابلت السيد بينغلي الذي أراد أن يتأكد أن حالة جاين في تحسن، فأكدت السيدة بينيت أن حالة جاين لا زالت سيئة، وأن الطبيب جونز طلب عدم انتقالها من مكانها حتى تتحسن.

وهنا تكلم السيد بينغلي باندهاش: «انتقالها! هل يعقل أن تتحدثي في

ذلك سيدة بينيت، تأكدي من أنَّ أختاي سوف تعتنيان بها جيداً ولن تسمحا بعودتها حتى تتعافى».

تكلّمت الآنسة بينغلي ببرود وقالت: «نعم سيدة بينيت، تأكدي من أنني سوف أعتني بها كثيراً هنا».

ردّت السيدة بينيت: «أعلم أنها برفقةِ أصدقاء محترمين جداً، وإلا لستُ أدري ماذا كان سيحصل معها، إنّها مريضةٌ جداً وتعاني أشدَّ المعاناة، لكنّها صبورة جداً،وتخفي ذلك لأن هذه إحدى صفاتها، فهي حتى لطيفة أكثر من بقية أخواتها. آه سيد بينغلي لديك منظرٌ رائع هنا، والمنزل جميل أخّاذ، أرجو أن لا تفكر بتركه بعد ذلك والإنتقال من هنا، بسبب عقد الايجار ومدته القصيرة».

أجاب بينغلي أنّه يتسرع أحياناً في قراراته، ومن الممكن أن ينتقل من هنا في التو، لكنّه يعتبر نفسه مستقرا في نيثرفيلد.

تدخلت اليزابيث وقالت: «أعتقد أنّ هذا صحيح عنك سيد بينغلي».

- «هل بدأتِ تفهمينني يا آنسة اليزابيث؟»

- «نعم أفهمك جيداً الآن».

- «أعتقد أن كلامك من الممكن أن يفهم على أنه مجاملة جيدة، لكن في الحقيقة هذا يعني أنني شخص بسيط وواضح جداً».

- «لا أبداً سيد بينغلي، لا يجب أن تكون شخصية معقدة ومحتالة، حتى تكون شخصاً محترماً وجيداً، إنك إنسانٌ لطيف ومحترمٌ جداً هكذا».

هنا صرخت فيها والدتها وقالت: «اليزابيث تذكّري أين أنت الآن، ولا تتصرفي بقلة لياقة كما تفعلين في المنزل».

رد بينغلي قائلاً: «لم أكن أعرف أنك يا اليزابيث محللة عميقة للشخصيات، هذا شيء جميل».

- «هذا صحيح سيد بينغلي، لكنّ الشخصيات المعقدة تكون مسلية أكثر وملفتة للنظر».

تكلم السيد دارسي قائلا: «أظن أنّه في الريف لايوجد الكثير من الشخصيات المعقّدة التي تسمح بتلك الدراسة المعمّقة للشخصيات، حيث أن مجتمع الريف محدود ومغلق جداً».

فردّت اليزابيث من فورها «ولكنّ الناس يتغيرون كل الوقت بشكل كبير، وذلك يسمح بالتعمق في دراسة الشخصيات والطباع».

تكلّمت السيدة بينيت عندما أحست بالإهانة لأن السيد دارسي تكلم بتلك الطريقة عن الريف: «أؤكد لك سيد دارسي أن هناك الكثير مما يحدث في الريف كما هو حاصل في المدينة».

اندهش الجميعُ من كلام السيدة بينيت، وصمتَ دارسي ولم يردّ عليها، وأحسّت هي بالإنتصار على السيد دارسي، فأكملت حديثها: «لا أعتقد أن هناك أي شيء كبير يحدث في لندن فيما لا يحدث هنا في الريف، ولا أرى لمدينة لندن أي ميّزة إضافيّة عن البلدة هنا، غير وجود محلات وأماكن عامة أكثر، بل إنّ الحياة في الريف ألطف، أليس كذلك يا سيد بينغلي؟».

- «إنني أجد لكل منهما مميزاتها الجميلة التي أحبها، فأنا أكون سعيداً في الريف وفي المدينة بنفس القدر».

- «معك حق سيد بينغلي، وذلك لأنك تتمتع بطبع جيّد وجميل، لكن ذلك السيد هناك -وهي تنظر إلى دارسي- يظن أنّ الريف لا يصلح لشيء».

تدخّلت اليزابيث وقد احمرّ وجهها، لتصلح الوضع فقالت: «في الحقيقة يا

أمّي، إن السيد دارسي كان يقصد فقط أنه ليس هناك تنوع في الشخصيات في الريف، أظنُّ أنّه محقٌّ في ذلك».

ثمّ حاولت اليزابيث بعدها أن تغيّر مجرى الحديث، فسألت أمّها عن شارلوت لوكاس صديقتها وإذا ما كانت قد زارتها في غيابها، وهنا نظرت الآنسة بينغلي للسيد دارسي وابتسمت، لأن اليزابيث كانت تدافع عن دارسي بطريقتها.

- «نعم يا عزيزتي اليزابيث لقد جاءت شارلوت مع والدها السيد ويليام البارحة. إنّه شخص رائع السيد ويليام، ألا تعتقد ذلك يا سيد بينغلي، فهو شخصٌ لطيفٌ ويتكلّم مع الجميع بحبٍ واحترامٍ كل الأحيان، ولا يشبه الأشخاصَ الذين يظنّون أنفسهم أنهم مهمّين ولا يتكلمون مع أحد».

قاطعت اليزابيث أمها وسألتها: «هل تناولت شارلوت معكم العشاء؟»

- «لا لم تفعل، فقد كانت مضطرة للرجوع لمنزلها، لأنهم كانوا بانتظارها لتطبخ لهم.

سيد بينغلي في الحقيقة أنا أتصرف بشكلٍ مختلف جداً مع بناتي، فأستأجر الخادمات لتقمن بالأعمال المنزلية حتى لا أُرهق بناتي وأسعى لكي أدللهنَّ. ولكنني لا أعترض على أحد، لكلّ شخص الحق في حرية التصرف في منزله، وآل لوكاس هم أصحابنا المقربون، صحيح أنّ شارلوت ليست جميلة، لكن مع ذلك أنا أحبها».

تكلّم السيد بينغلي: «لكنني أرى أنّ الآنسة شارلوت لطيفةً جداً».

- «معك حق فشارلوت لطيفة لكنها غير جميلة، حتى أنّ أمها تقول لي ذلك، وتحسدني على جمال ابنتي جاين. صحيحٌ أنني لا أحبُ أن أتباهى بجمال أولادي، لكنّ جاين في الحقيقة جميلة جداً باعتراف الجميع، وليس لأنني

متحيّزةً لها. حتى إنها عندما كانت في الخامسة عشر من عمرها، وكانت في زيارة عند أخي في منزله، رآها شابٌ لطيف هناك وأُعجبَ بها كثيراً وكتب لها العديد من القصائد الشعرية الرائعة».

أكملت اليزابيث: «وكان هناك الكثير غيره ممن فعلوا نفس الشيء، في الحقيقة أعتقد أن كتابة الشعر تُبعد الحب وتنهيه».

وتكلّم دارسي: «أنا أؤمن بأن الشِعرَ هو غذاء الحب».

- «إذا كان حباً حقيقياً صادقاً، فإن الشعر سيغذّيه، فالشيء القوي أساساً، أيُّ شيء من الممكن أن يقويه أكثر، لكن إذا كان حباً ضعيفاً في الأساس، وهو مجرّد ميلٍ شديد نحو شخص ما، فإن كتابة قصيدة صغيرة سوف تمحيه من الوجود».

لم يعلّق السيد دارسي على ذلك الكلام، والتزم الصمت، وخافت اليزابيث أن تتدخل أمها مرة أخرى لتفتعل المشاكل مع دارسي، ولكنها لم تجد أي موضوع لتتكلم فيه لتمنع أمها من الكلام، وفجأة عادت السيدة بينيت لتشكر السيد بينغلي لرعايته لجاين في مرضها، ولأنه أيضاً يتحمل وجود اليزابيث معها.

بعد أن شكرها السيد بينغلي، طلبت السيدة بينيت تحضير عربتها للذهاب إلى المنزل، فتحرّكت ابنتاها الصغيرتان قبلها، وكانتا تتهامسان طوال الأمسية، وقبل خروجها من الباب، طلبت ليديا أصغرهن، من السيد بينغلي أن يعدهم باقامة حفل راقص في نيثرفيلد فور عودته للبلدة.

كانت ليديا فتاة قوية الشخصية ناضجة، رغم أنها ما زالت في الخامسة عشر، وكانت خفيفة الظل وجميلة الملامح، وكانت المفضلة والمدللة عند والدتها، ولذلك اقتحمتِ الحياة العامة في عمرٍ مبكر، وجعلها ذلك واثقةً جداً

من نفسها، وهذا ما جعل الضبّاط الوافدين للبلدة حديثاً يعجبون بها أيضاً. ولذلك كله لم تكن تخشى مصارحة السيد بينغلي بموضوع الحفل الراقص، وعندما وعدَها بذلك ذكّرته أنه يجب أن يلتزم بوعده، وإلا فإنّه من المخجل جداً له ألاّ يفعل ذلك.

السيد بينغلي الدمث الأخلاق كان رده رائعاً جداً بالنسبة للسيدة بينيت، حيث أخبرَ ليديا أنّه مستعدٌ تماماً لإقامة هذا الحفل الراقص، ولكنّه سينتظر أن تشفى أختها جاين، وساعتها فإنَّ ليديا هي التي ستحددُ اليومَ الذي تريد أن تقيم فيه الحفل الراقص، لأنها بالضبط لن تريد أن ترقص وأختها مريضة.

فرحت ليديا وأخبرته، أنّها بالطبع تتمنى الشفاء لجاين لتشارك في الحفل الراقص، وفي انتظار ذلك، يكون الملازمُ كارتر قد عادَ من السفر، وسوفَ تطلبُ منه عندها أن يقيم هو والكولونيل فورستر حفلاً راقصاً آخر.

بعد ذلك غادرت السيدة بينيت وبناتها المكان، وصعدت اليزابيث إلى غرفة أختها جاين، وتركتِ المكان للأختين بينغلي والسيد دارسي لينتقدوها هي وأهلها. حيث أنَّ السيد دارسي أصبح شريكاً للأختين في انتقادها وأهلها طوال الوقت.

الفصل العاشر

مضى اليومُ التالي كسابقه في نيثرفيلد، قضت الأختان في غرفة ضيفتهم المريضة بضعَ ساعاتٍ وقد بدت عليها امارات التحسّن والشفاء ، فنزلتا للأسفل وتبعتهما بعد برهة اليزابيث وقد كان الوقت مساءَ حيت التقوا جميعاً في غرفة الجلوس حيث كان السيد دارسي يكتب رسالة، والآنسة بينغلي بجواره تذكّره فيما يجب أن يكتبه لأخته. وكان السيد بينغلي يلعب الورق مع السيد هيرست، والسيدة هيرست تشاهد اللعبة.

التقطت اليزابيث قطعة قماش فنية، وعملت على المضي ببعض أشغال الابرة، وهي تبتسم في نفسها، من الحديث الدائر بين السيد دارسي والآنسة بينغلي، فقد كانت الأخيرة تمتدح خطه وطريقة كتابته وجمله البليغة، والسيد دارسي لم يكن يعيرها أدنى اهتمام، أو حتى يرد عليها.

قالت له: «كم ستكون الآنسة دارسي سعيدة باستقبال هكذا رسالة».

ولم يرد عليها وتجاهلها، ثم أخبرته كم هو رائعٌ أنّه يكتبُ بشكلٍ سريع، فردَّ عليها أنّه على العكس، يكتبُ ببطءٍ شديد. وطلبت منه أن يرسل سلامها لأخته، فأخبرها أنه فعل ذلك في الرسالة الماضية، وعندما طلبت منه أن يبارك لأخته بتفوقها في عزف القيثارة، أخبرها أنّه لم يعد يوجد مساحة كافية في هذه

الرسالة، وربما سيدوّن ذلك في الرسالة القادمة.

وأخيراً مالت عليه بغنج وأخبرته أنّه رائعٌ في كتابة الرسائل الطويلة وأنّه يفعل ذلك بسهولة، فتدّخل أخيها السيد بينغلي، وقال لها أنّ دارسي يجدُ صعوبةً كبيرة في كتابة الرسائل، لأنّه يحبُ استخدامَ الكلمات الطويلة المعقّدة، على العكس منه .

ردّت عليه أختُه بشكل ساخر وهي تقول له : «لا تنسى نفسك يا بينغلي وأنت تكتب الرسائل، فنصف كلماتك مختصرة، أو موضوعة في نقاط قصيرة غير واضحة.

أخذ بينغلي يضحك وقال:أنَّ أفكاره تأتي بسرعة بحيث لا يجد وقتاً للتعبير عنها، ولربما لم يفهم المَرسلُ إليه شيء من الرسالة.

قالت له اليزابيث: «كم أنت متواضعٌ يا سيدُ بينغلي!»

فقاطعهم السيد دارسي قائلاً: «ليس من الصواب بمكان أن تتفاخر بأخطائك،ولا تهتم أنّك تقترف مثل هذه الأخطاء، هذا ليس تواضع، بل يعتبر إهمالاً شديداً وتكبّراً غير ظاهر، أنتَ تتفاخر بمميزاتك بهذه الطريقة والتي تبدو وكأنّها تواضعاً منك، هل تذكر ما قلته للسيدة بينيت صباح اليوم، من أنّك لا يهمك أي شيء، ومن الممكن أن تترك المنزل هنا في أي وقت؟؟!».

- «لا يا سيد دارسي لا أذكر ذلك، هذا كثير جداً علي أن أتذكّر مساءً، ما قلته من حماقاتٍ في الصباح، ومع ذلك أقسمُ بشرفي أنني كنت صادقاً فيما قلته للسيدة بينيت في الصباح».

- «أعلمُ أنّك رجل لا تخطط لأي شيءٍ يا بينغلي، ومن الممكن أن يؤثّر عليكَ أيُّ شخصٍ في اتّخاذ قراراتك، وهذا شيءٌ غير مفيد إطلاقاً».

هنا تدّخلت اليزابيث: «لقد أثبتَ الآن يا سيد دارسي، أن السيد بينغلي

رجلٌ جيّدٌ، بكلامك هذا أكثر مما فعلَ هو ليضخّم في شخصيته».

ردَّ السيد بينغلي: «أنا سعيدٌ يا آنسة اليزابيث لأنك حوّلتِ كلامَ دارسي وهجومه عليّ، إلى مجاملة تصبُّ في مصلحتي، ولكن أظنُّ أنّ هذا غير صحيح».

فقال السيد السيد دارسي ممتعضاً: «ليس لكِ الحق في تحوير كلامي بهذه الطريقة، وأنا لم أعنِ هذا الكلام».

ردّت اليزابيث «يبدو يا سيد دارسي، أنّك لن تتخلى عن تعصبك لرأيٍ معيّن، لا من أجل الصداقةِ ولا من أجل الحبِ حتى، إنّك تتكلمُ عن موقفٍ مفترض ولم يحدث أصلاً، فكان الأولى بك، بدل أن تتعصب لرأيك أن تنتظر حدوث الشيء وبعدها تتكلم عنه».

تدّخل السيدُ بينغلي وقال: «بكل الأحوال لنستمع الى ارائها كاملة في كل التفاصيل المتعلقة وقد أفاضت اليزابيث في مقارنة طويلة، لذا حتى يكون لديك وجهة نظر ملائمة لهذا الجدال،فأنا متأكد لو لم يكن السيد دارسي صديقاً عظيماً لا ينبغي أن أقدّم له نصف هذا القدر من الاحترام. أعلن أنني لا أعرف شخصاً أكثر فظاعة من دارسي ، في مناسبات خاصة، وفي أماكن معينة، لا سيما في منزله ، ومساء يوم الأحد تحديداً، عندما لا يكون لديه ما يفعله».

ابتسم السيد دارسي، وظنت اليزابيث أنه شعر بالإهانة، لذلك أخفَت ضحكتها، أما الآنسة بينغلي فاعترضت بخفة على الإهانة التي تعرض لها دارسي، وعلى طريقة أخيها في التفوه بالسخافات.

وقال دارسي: «فهمت ما تريد يا صديقي، تريد أن تسكتني بكلماتك تلك».

- «ربما هذا صحيح، فأنا أكره الجدال، وهو مثل النزاعات، ولا أريدك أن تستمر أنت والآنسة بينيت بهذا الجدال».

- «حسناً يا سيد بينغلي، هذا ما أفضّله أيضاً، وأظنُّ أنّه يجب على السيد دارسي إنهاء رسالته، وهذا أفضل له».

وهكذا فقد سمع السيد دارسي النصيحة وأنهى كتابة رسالته، ثم طلب من الآنسة بينغلي ومن اليزابيث أن يعزفا بعض الموسيقى، فطلبتِ الآنسة بينغلي بتهذيب من اليزابيث أن تعزف بعضَ القطع الموسيقية على البيانو، وجلست اليزابيث إلى البيانو وبدأت بالعزف، وصاحبتاها الأختين بينغلي بالغناء، وأثناء تقليبها لصفحات النوتة الموسيقية، لاحظت بالصدفة أنَّ السيّد دارسي يحدّق فيها بإمعان، وهي بالطبع لم تكن تعلم أنّ رجلاً عريق الأصل مثله، معجبٌ بها، وحاولت أن تخمّن لماذا ينظر إليها هكذا، فاستبعدت أن يحدق بها لأنها لا تعجبه، وظنّت أنّه ربما يحدّق بها لأنها تقوم بعمل لا يعجبه منها، ولم تهتم أو تحزن لتلك الفكرة، لأنه لم يكن يعني لها أي شيء.

وبعد أن عزفت اليزابيث بعض الأغاني الإيطالية، جاء دور الآنسة بينغلي لتعزف بعض الأغاني الاسكوتلندية، وحينها اقترب السيد دارسي من اليزابيث وسألها: «ألا تشعرين برغبة كبيرة يا آنسة بينيت لانتهاز الفرصة لرقص بعض الرقصات الاسكتلندية؟»

ابتسمت اليزابيث ولم ترّد عليه، فاندهش لصمتها وكرّرالسؤال عليها، فأجابت: «أوه يا سيد دارسي لقد سمعتك في المرة الأولى ولكنني كنت أفكر فيما إذا سأقبلُ عرضكَ. أعلم أنك تريدني أن أوافق حتى تتاحَ لك الفرصة للإستهزاء بي، لكنّني غالباً ما أُفشلُ مثل تلك الأنواع من المخططات، وأخدعُ الذي يحاول أن يستهزأ بي لأحرمَه هذه الفرصة، وأنا قد قررت أنني لا أريدُ أن أرقص الرقصة الاسكتلندية، والآن حاول أن تهزأ مني لو تتجرأ».

- «إنني لا أتجرأ بالطبع يا آنسة بينيت أن أفعل ذلك».

دهشت اليزابيث لصراحة السيد دارسي، وقد كانت تنوي أن تواجهه، لأنها تمتلك الشدة مع اللطف في شخصيتها ما منعها من أن تتواجه معه.

في الحقيقة فإن السيد دارسي قد بدأ يتعلّق بها، وهو الذي لم تستطع أي فتاة أن تفعل به ذلك، ولكنّه لم يكن خائفاً على نفسه منها، لأنها كانت من عائلةٍ أقل شأناً من عائلته من الناحية الاجتماعية.

حينها بدأت الآنسةُ بينغلي تستشعرُ الخطرَ من تواجد اليزابيث معهم في المنزل، بعد أن شعرت بالغيرة منها ومن تقرّب دارسي اليها، لذلك صمّمت على أن تساعد جاين على الشفاء بسرعة، لتذهب من بيتهم في أسرع وقتٍ ممكن، وتتخلص من وجود اليزابيث معهم.

لذا فقد حاولت في اليوم التالي بينما كانت تتمشى مع دارسي، أن تجعله يحتقر اليزابيث ويبتعد عنها، وذلك بأن تذكره بالتعاسة التي سوف يعيش فيها لو تزوج الآنسة بينيت، خصوصاً مع وجود أمّها الثرثارة ، وأخواتها الصغيرات اللواتي يركضنَ خلف الضباط، وذكرته أيضاً بالغرور والوقاحة اللذين تتمتع بهما اليزابيث. وأثناء حديثهما، اقتربت أختها السيدة هيرست منهما وكانت اليزابيث نفسها بصحبتها.

وعندما تفاجأت الآنسة بينغلي بهما قالت: «لم أكن أعلم أنكم تريدان المشي».

ردّت اختها السيدة هيرست: «لقد غافلتنا وخرجت للمشي دون إخبارنا». ثم اقتربت من السيد دارسي وأخذت يده الثانية الخالية، وتركت اليزابيث لتمشي وحدها خلفهم إذ أن الدرب الصغير لم يكن يتسع إلا لثلاثة أشخاص، فأحسّ دارسي بوقاحتهن، وقال: «لنذهب إلى الساحة هناك، بسبب ضيق المكان هنا».

لكنَّ اليزابيث رفضت وقالت وهي تضحك: «لا أبداً، إنكم مجموعة رائعة

مع بعضها ويسعكم المكان، سوف أذهب أنا من هنا، لأن مجموعتكم الفريدة لا تتسع لشخصٍ رابع».

ثم مضت في طريقها إلى المنزل، وهي تمني النفس بالعودة إلى منزلها خلال يومٍ أو اثنين، لأن جاين كانت بدأت بالتحسّن، وتنوي النزول لغرفة الجلوس ذلك المساء.

الفصل الحادي عشر

بعد انتهائهم من العشاء ذلك المساء، ركضت اليزابيث إلى غرفة أختها جاين وساعدتها في النزول إلى غرفة الجلوس، فيما الأختان تجلسان هناك قبل مجيء الرجال، اندهشت اليزابيث كيف أن الفتاتين ولمدة ساعة كاملة في غياب الرجال، كانتا تتكلمان براحة وانطلاق وسعادة لرؤيتهما جاين وقد تحسّنت.

وبمجرد دخول الرجال للغرفة، انتقلت عينا الآنسة بينغلي، لتتثبت على السيد دارسي، كانت تريد أن تقول له شيئاً ما، لكنه سبقها وتوجّه بتهذيب إلى الآنسة بينيت يهنئها بالشفاء، حتى أنّ السيد هيرست قد ابتسم وأخبرها أنّه سعيدٌ بشفائها، وكانت الحصة الأكبر من التهنئة بالشفاء والسعادة تتلقاها من السيد بينغلي. الذي كان فرحاً جداً والسعادة باديةٌ بشكل كبير على وجهه، فقضى نصف ساعة يضبط النار في المدفأة حتى لا تشعر جاين بالبرد، وهي قد انتقلت إلى قرب المدفأة للجلوس هناك، بناءً على طلبه، ثم جلس بقربها، ولم يتكلّم مع أي أحدٍ آخر غيرها، أما اليزابيث فكانت تراقب كل ذلك بسعادة كبيرة من مكانها في الجانب الآخر من الغرفة.

بعد انتهائهم من شرب الشاي، حاول السيد هيرست أن يذكّر أخت زوجته بأن تحضّر طاولة اللعب، لكن دون جدوى، حيث أنّه كان عندها إحساس

أن دارسي لا يريد اللعب، وهكذا أخبرت صهرها أنّ لا أحد يريد اللعب الليلة، وعندما وجدهم جميعاً صامتين، رضي بالأمر وذهب ليستلقي في زاوية من الغرفة، ولاحقاً نام على الكنبة، أمّا السيد دارسي فتناولَ كتاباً وأخذ يقرأ، واختارت الآنسة بينغلي الجزء الثاني من الكتاب الذي يقرؤه دارسي، وحاولت طوال الوقت أن تتحدث مع دارسي في أي شيء، لكنّه لم يرّد عليها أبداً.

حين سمعت أخيها يتكلم مع الآنسة بينيت عن الحفل الراقص تدخّلت وقالت: «هل حقاً تريد أن تقيم حفلاً راقصاً هنا يا شارلز؟ أظنّ أنّك يجب أن تستشير الموجودين هنا قبل إقامتها».

- «تقصدين دارسي؟ يمكنه أن يذهب للنوم قبل بدء الحفل لو أحب، لقد قررت ولن أرجع في قراري».

قامت الآنسة بينغلي من مكانها بعد ذلك وأخذت تتمشى في الغرفة لتلفت نظر السيد دارسي، لكن دون أي فائدة، لذلك نادت اليزابيث وطلبت منها أن تتمشى في الغرفة معها، لتتحرك قليلاً بعد جلوسها لوقت طويل.

اندهشت اليزابيث من هذا الطلب، لكنّها استجابت ونهضت لتتمشى في الغرفة مع الآنسة بينغلي، ونجحت تلك في هدفها الحقيقي وهو لفت انتباه دارسي، الذي أقفل كتابه، ولكنّه رفض أن يتمشّي معهما في الغرفة، بعد أن طلبت منه الآنسة بينغلي ذلك، بحجّة أنه هنالك سببان يمنعانه من ذلك. حينها سألته الآنسة بينغلي عن هذين السببين ولم يجبها، فقالت له أنها لا تفهمه، ولن تفهمه أبداً، وسألت اليزابيث اذا كانت تستطيع أن تفهمه.

أخبرتها اليزابيث أنها لا تفهمه أيضاً، ولكنّهما يجب أن تتجنبا الاهتمام به أو سؤاله عن أي شيء، حتى تفوّتا عليه فرصة محاولته أن يكونَ شديداً معهما ويحقق هدفه في إثارة غيظهما. إلا أن الآنسة بينغلي لم تستمع لنصيحة اليزابيث

وأصرّت على السيد دارسي أن يخبرها بهذين السببين.

وأخيراً بعد الحاحٍ شديدٍ وافق أن يخبر الآنسة بينغلي عن السببين، وقال إنّه ليس لديه مانع أبداً أن يفصح عن الدافعين اللذين يدفعانه لعدم قضاء أمسيته هذه بهذه الطريقة والتمشي معهما في الغرفة، وبدأ يتحدث وقال: «السبب الأول هو إما أنكما تثقان ببعضكم كثيراً وهناك أسرارعن علاقاتٍ غرامية تريدان أن تتحدثا عنها. أمّا السبب الثاني فهو أنكما تدركان أن التمشّي أمامنا في الغرفة جيئةً وذهاباً، هو الوضع الأمثل لجعلنا نرى كم أنتما رشيقتان وتمتلكان قداً جميلاً، وفي هذه الحالة من الأفضل أن أجلس في مكاني لأتفرّج عليكما. أترين يا آنسة بينغلي في كلتا الحالتين لا أستطيع أن أتمشى معكما!».

وصرخت الآنسة بينغلي: «أوه كم هذا بغيض وكريه، لم أسمع في حياتي أفظع من هذا الكلام! أخبروني الآن كيف سنعاقبه على هذا الكلام المقيت؟».

وأجابتها اليزابيث: «لا شيء يكون سهلاً إلا اذا كانَ عندك الإستعداد له. نستطيعُ جميعاً أن نسخر منه أو أن نضحك عليه، وبما أنّك قريبة منه كفاية لتعرفي ما الذي يزعجه، فاختاري ما تشائين».

- «لكنّي أؤكد لكِ أن قربي منه لم يعطني حتى الآن ما يجعلني أسخر منه أو أضحكَ عليه، فأثير غضبه. ثم أن نسخرَ من شخصٍ بهذا البرود في طبعه، وعقله حاضرٌ دوماً، لهو شيء صعبٌ جدا، وربما ينقلب علينا هذا كله ويغدو هو من يضايقنا.وبالنسبة لموضوع أن نضحك عليه، فإن الضحك من غير سبب من قلة أدب».

ردّت اليزابيث: «لم أقصد أن نضحك على السيد دارسي، فهذا غير مناسب أبداً. ثم أنني نادراً ما أجد موضوعاً من الممكن أن يضحكني».

ردّ السيد دارسي: «لقد أعطتني الآنسة بينغلي أكثر مما أستحق في هذا

الموضوع، لكن لو اعتبرنا أن أحد الأشخاص الأكثر حكمة واتزان ، إلا أنه من الممكن أن يسخر منه شخص يكون هدف حياته هو الاستهزاء بالآخرين».

أجابت اليزابيث: «بالتأكيد هنالك أشخاص على هذه الشاكلة، لكنني آمل أن لا أكون من هؤلاء الأشخاص، وأن لا أسخرَ من شخصٍ محترمٍ ومتزن، ربما أمتلك الموهبة لفعل ذلك والضحك والاستمتاع، ولكنني لا أستعمل هذه الموهبة ضد الآخرين، وخصوصاً أنت يا سيد دارسي، ممن لا يمتلكون هذه الصفة».

- «لقد حاولتُ طوال حياتي الابتعاد عن مثل هؤلاء الأشخاص الذين يسخرون من الاخرين لأتفه الأسباب، كما أنّي احاولُ أن لا أظهر نقاط الضعف في شخصيتي أمام من لديه هذه الوليجة بالسخرية».

- «تقصد بنقاط الضعف الغرور والكبرياء؟»

- «نعم في الحقيقة الغرور هو ضعف في الشخصية، لكن الكبرياء إذا كان في شخصٍ راقٍ في في تفكيره وعقله، فإنه يستطيع أن يتحكم بهذا الكبرياء بطريقة مقبولة».

في هذه اللحظة استدارت اليزابيث جانباً وابتسمت، وتدخلت الآنسة بينغلي وقالت لها: «أظن أنك قد انتهيت من فحصِ السيد دارسي، ونحن ننتظر النتيجة».

- «أنا متأكدة من أنّ السيد دارسي ليس عنده عيوب في شخصيته».

- «لا طبعاً، لا أدّعي أنّ ليس لدي عيوب، عندي عيوب كفاية، لكن اتمنى أن لا تكون متعلقة بمستوى ذكائي. أما بالنسبة لطبعي، فأنا لا أضمنه، فهو لا يرضخ لرغبات الآخرين، وبالطبع فهو ليس ملائم لهذا العالم. وأنا لا

أنسى بسهولة أخطاءَ وحماقات الآخرين، أو تعاملهم معي بشكل سيء. كما أن مشاعري لا تتأثر أو تتحرك بسهولة نحو الآخرين، مهما حاولوا أن يفعلوا لجذب انتباهي. والحكمة التي أؤمن بها هي أن ما نفقده، لن نستطيع استرداده أبداً».

ردّت اليزابيث: «الذي تقوله، لا يجعلنا ننجح في مسعانا معك لنسخر منك، يا سيد دارسي، فالاستياءُ الحقودُ الرافض للآخرين، هو مجرّد سمة من السمات المتعددة للشخصية. ولكنّك اخترت هذا الزلل بعناية، ولن أستطيع الضحك على هذا فيك، لذلك أنت في مأمنٍ من أن نسخر منك».

ردَّ دارسي على اليزابيث: «أظنُّ أن هناك في كل طبع إنساني، ميلاً إلى نوعٍ معينٍ من أنواع الشر، وأعتقد أنه عيباً متأصلاً في الإنسان بشكلٍ طبيعي، بحيث أنه حتى أفضل أنواع التربية والتعليم لن تمنع من التأثير في شخصية ذلك الإنسان».

وهنّا تدخلت الآنسة بينغلي لتقطع الحديث، لأنها أحسّت بالملل من حديث لا تشارك فيه، وسألت أختها السيدة هيرست إذا كانت تستطيع أن تعزف بعض الموسيقى على البيانو حتى يستيقظ زوجها السيد هيرست من النوم، فأجابتها أختها بلامبالاة، ولم تهتم لذلك أبداً. وبدأت الآنسة بينغلي بالعزف، وأحبَّ السيد دارسي ذلك جداً، لأنه قطع حديثه مع اليزابيث، التي بات يشعر أنّها مصدر خطرٍ عليه.

الفصل الثاني عشر

في صباح اليوم التالي، كتبت اليزابيث رسالةً لأمها السيدة بينيت، بالاتفاق بينها وبين أختها جاين، تخبرها فيها بأنها وأختها جاين تنتظران أن ترسل لهما العربة خلال النهار، لتستطيعا العودة إلى المنزل. لكن الأم التي كانت تحيك خططاً معينة في شأن بناتها، رفضت أن تعود جاين إلى المنزل، قبل مرورِ أسبوعٍ على بقائها في نيثرفيلد، وبالتالي لن تحضرها للمنزل قبل يوم الثلاثاء القادم.

وهكذا أرسلت الأمُ لاليزابيث- التي كانت تريدُ العودةَ لمنزلها في أسرع وقت-، أنّ العربة لن تكون جاهزة قبل يوم الثلاثاء القادم، وأن الأختين يجب أن تبقيا هناك، طالما أن السيد بينغلي وأخته أصرّا عليهما لفعل ذلك.

هنا اليزابيث بدأت تخشى من أن تصبح هي وأختها ثقيلتين على آل بينغلي، أو أن تصبحا دخيلتين، وغير مرحّب بهما، لذلك طلبت من أختها جاين أن تكلّم السيد بينغلي وتطلب منه أثناء الفطور، أن تستعيرا العربة لمغادرة نيثرفيلد إلى منزلهما في أسرع وقت.

لكن طلبهما قوبل بالرفض وأقنعهم السيد بينغلي وأخته أن يبقيا على الأقل حتى الغد لتستعيد جاين عافيتها على أكمل وجه، وكان السيد بينغلي يشعر بالحزن لأن جاين يجب أن تذهب، لكنّه لم يستطع اقناعها رغم توسلاته، إلا

بالبقاء لليوم التالي فقط. فاضطرّتا الفتاتان لقبولِ ذلك. لكنّ الآنسة بينغلي بعدها شعرت بالأسف لأنها فعلت ذلك واقنعتهما بالبقاء لأن غيرتها من اليزابيث، جعلتها حتى لا تطيق جاين التي كانت تحبها قبل ذلك.

أمّا بالنسبة للسيد دارسي، فقد توصّل الى ملاحظة ذكية، فاليزابيث قد بقيت في نيثرفيلد كفاية، ويجب عليها أن تغادر، لأنها قد جذبته إليها، أكثر مما يريد، وخصوصاً أن الآنسة بينغلي لا تعاملها بشكل جيّد، وحتى أنها أصبحت تضايقه هو شخصياً بسبب غيرتها من اليزابيث، لذلك حرص على ألا يُظهر أي نوعٍ من الإعجاب والتقدير نحو اليزابيث أمام الآنسةِ بينغلي. وحرصَ أيضاً على ألا يتكلم مع اليزابيث إلا إلى أقل حدٍ ذلك اليوم، وحتى عندما تُرِك لوحده مع اليزابيث لمدةِ ساعة ذلك اليوم، أصرَّ على أن لا ينظر نحوها حتى، التزاماً بما قطعه على نفسه.

في صباح اليوم التالي وكان يوم الأحد، بعد الفطور، كان الفراق والذي كان مناسباً للجميع، حيث ودّعت الآنسة بينغلي اليزابيث بمصافحتها بطريقة مهذبة نوعاً ما، بينما حضنت جاين بحب، وأخبرتها أنهما ستتقابلا حتماً في لونغ بورن ، أو حتى في نيثرفيلد، وودّعت جاين الجميع وشكرتهم، وأيضاً اليزابيث أختها ودّعت الجميع بطريقة مرحة، وركبتا العربة في طريقهما للمنزل في لونغ بورن.

عندما وصلت الأختان إلى المنزل، لم ترحّب الأم بوصولهما، لأنها كانت تتمنى أن تبقيا هناك أطول مدة، وألقت باللوم على جاين كثيراً لعودتها السريعة هذه، لأنها من الممكن أن تصاب بالبرد مرة أخرى.

لكن الوالد السيد بينيت رحب بهما وفرح لعودتهما، وأخبرهما أنه لم يكن يعرف مدى أهمية وجودهما في المنزل، حتى افتقدهما.

أمّا ماري أختها، فقد وجداها غارقةً في القراءة المتعمّقة كالعادة، في محاولة منها لفهم الطبيعة البشرية، وقد كتبت بعض الحكم والأمثال المهمة على ورقة، وقرأتها لأختيها.

أما بالنسبة لكاثرين وليديا، فأخذتا تخبران الأختين بحماس عن آخر أخبار الضباط في الثكنة، وعن دعوة الخال فيلبس لهم، وأن الكولونيل فوريستر سوف يتزوج.

الفصل الثالث عشر

في صباح اليوم التالي، وأثناء تناول الفطور، تكلم السيد بينيت مع زوجته وقال لها: «أتمنى يا عزيزتي أن تحضّري عشاءاً جيداً لهذه الليلة، لأن هناك شخصاً سيزورنا ويتناول معنا العشاء».

- «من تقصد يا عزيزي ؟ إذا كنتَ تقصد أن شارلوت لوكاس ممكن أن تأتي فجأة وتتناولَ معنا العشاء، فأنا دوماً مستعدة لذلك، وأظن أنَّ العشاء الذي أحضّره أفضل حتى مما تأكله في منزلها».

- «إن الذي أتكلّم عنه هو رجلٌ، وغريب».

التمعت عينا السيدة بينيت وقالت له: «هو السيد بينغلي، أليس كذلك؟ جاين أيتها المحتالة، لم تقولي لي شيئاً عن هذا. أنا متأكدة من أنني سأكون سعيدة بحضور السيد بينغلي، لكن يا لسوء الحظ، ليس هناك سمكٌ أبداً في البيت، ليديا اطلبي ذلك من محل السمك».

ردّ السيد بينيت: «ليس السيد بينغلي، إنّه شخص لم أره في حياتي».

وهكذا تجمّع حوله زوجته وبناته الخمس، يسألونه في تشوّق، عمّن يكون هذا الشخص الغريب. وكان السيد بينيت سعيداً بذلك التشويق، وبعد أن أرضى غروره بذلك، قرّر أن يتكلم:

- «منذ حوالي شهر استلمتُ هذه الرسالة، وبعدها بأسبوعين قمتُ بإرسال الرد، لأنني فكّرت بأنَّ الموضوع حساس، ويجب أن أرسلَ الردَّ في أسرع وقت. إنَّ الرسالة من إبن عمي السيد كولينز، الذي في حال وفاتي سوف يطردكنّ جميعاً من هنا، لإنّه الوريث الشرعي».

- «ياه يا عزيزي، لا أحبُّ أن أسمع هذا الموضوع أبداً، أرجو أن لا تذكر هذا الرجل الفظيع أبداً. أعتقدُ أنَّ أفظعَ شيءٍ في العالم، أن بيتك الذي ورثته عن أجدادك سوف يُستبعد منه بناتك، ليُعطى لرجلٍ غريب. لو كنت مكانك لفعلت شيئاً منذ زمنٍ بعيد لأمنع هذا الشيء الفظيع من الحدوث».

حاولت جاين واليزابيث أن تشرحا لأمهما طبيعةَ هذا الموضوع الذي يحدث وفقاً للقانون، وقد حاولتا ذلك من قبل أيضاً، لكن دون أي فائدة، فالموضوع كان خارجاً عن نطاق استيعاب السيدة بينيت.

وبدأ السيدُ بينيت يقول: «إنَّ هذا الأمر لا عدل فيه بتاتاً، ولا يستطيع أحد أن يغفرَ للسيد كولينز أن يرث هذا البيت، ولكنكِ إذا استمعت إلى رسالته فربما سوف تهدأين قليلا، بسبب طريقته المهذّبة في التعبير عن نفسه والموضوع».

- «لا أنا متأكدة أنني لن أهدأ، وأعتقد أنها وقاحة منه أن يكتب لك رسالة، وما ذلك التهذيب إلا من أساليب النفاق، كم أكره مثل هؤلاء الأصدقاء المزعومين، لماذا لم يبقَ على خلافٍ معك، كما فعل والده من قبل؟».

- «لماذا لم يفعل كما تسألين؟ هو في الحقيقة، يبدو أن عنده تأنيب ضمير عائلي، كما ستسمعين الآن وأخرج الرسالة من جيبه وقرأ:

هانزفورد، قرب ويسترهام- مقاطعة كنت- ١٥ اكتوبر

سيدي العزيز،

إنَّ الخلاف الذي كان بينك وبين والدي الراحل، كان مصدرَ إحساسٍ بالقلقِ دوماً بالنسبة لي، وبما أنني لسوءِ حظّي قد فقدتُه، لذا كنتُ أفكّر طوالَ الوقتِ بأنه يجب أن نصلحَ الشرخ الذي بيننا.

لكنني تأخرتُ في هذه الخطوة، لأنّه كان عندي شكوك، فلعل ما قد أفعله قد يكون فيه عدم احترام لذكرى والدي، بما أنني سأتصالح مع شخص كان هو على خلافٍ دائمٍ معه.

وبالرغم من ذلك فقد قررتُ قراراً نهائياً أن أتصالحَ معك، وخصوصاً أنني سعيد جداً لأنني ترسّمت ككاهنٍ في مقاطعة ايستر، وكنتُ محظوظاً لأنال شرف رعاية المكرّمة الليدي كاثرين دو بورغ، أرملة النبيل لويس دو بورغ، حيث أنها غمرتني بلطفها وفضّلت اختياري بدلاً من الكاهن المحترم الذي كان موجوداً في رعيتها، ومن هنا فإنني سوف أعمل باجتهاد على أن أكون عندَ حسن ظنّها، وأقومُ بأداءِ واجباتي الدينية كقسيس يحتفلُ بالطقوس الدينية المتّبعة في كنيسة انجلترا.

ومن هنا أجدُ أنّه من واجبي كقسيسٍ أن أصونَ وأروّج للسلام والبركة في العائلات التي تقعُ في محيط تأثيري. ولذلك فإنني أتوجّه إليكم بصفتي الوريث من بعدكم في لونغ بورن لتعيدوا النظر في الموضوع، وأرجو أن لا ترفضوا غصنَ السلام الذي أحمله لكم. وأؤكدُ لكم أنني مهتمٌ وقلقٌ جداً عندما أفكر بموضوع أنني الوسيلة التي من الممكن أن تؤذي بناتكم العزيزات، وأرجوكم أن تعطوني الفرصة لأعتذرَ لهنَّ، ولأقوم بتعويضهن عن هذا الموضوع بأي طريقةٍ ترضيهن.

ومن هنا أرجو أن توافقوا على استقبالي في منزلكم، وها أن آخذ منكم الإذن لأحضرَ يوم الاثنين ١٨ نوفمبر، الساعة الرابعة مساءً، وسوف أطمع في كرمكم، بأن تستضيفوني حتى ليلةِ السبت الذي يليه، ذلك حسب ما

سمحت ظروف عملي. وأتمنى لكم الخير سيدي العزيز أنت وزوجتك وبناتك العزيزات.

صديقك الذي يتمنى لك الخير: ويليام كولينز)

ثم أكمل السيدُ بينيت كلامه بينما كان يطوي الرسالة: «إذاً نتوقع وصولَ هذا السيد المحب للسلام هذا المساء حوالي الساعة الرابعة، ويبدو أنّه شابٌ مهذّب بالغ الأدب، وأعتقد أنه سوف يصبح من معارفنا المرموقين، خصوصاً إذا سمحت له الليدي كاثرين بالحضور لزيارتنا مرة أخرى».

-وأردفَ قائلاً: «لقد أعجبني جداً أنّه مهتمٌ بأمر بناتي وتعويضهن عن فقدان البيت، ولذلك لن أكون الشخص الذي سيحبطه في هذا الموضوع».

ثم قالت جاين: «بالرغم أنه من الصعب أن نخمن كيف يريد أن يقوم بتعويضنا، إلا أننا نتمنى أن يقوم بذلك بشكل جيد».

دهشت اليزابيث جداً من الاهتمام الزائد للسيد كولينز بالليدي كاثرين، وكيف أنّه سيقوم بأداء واجبات القسيس في رعيته، وعلّقت: «لا بد أنه رجلٌ غريب الأطوار، لم أستطع أن أفهمه جيداً، ثمّ أنّ أسلوبه في الرسالة يحوي على شيء من الفخرِ والاعتزاز بالنفس. وأيضاً ما الذي كان يعنيه باعتذاره عن أنه هو الوريث التالي للبيت من بعدك يا أبي، هل من الممكن أن يكون رجلاً عاقلاً ويتنازل عن هذا الموضوع؟».

- «لا يا ابنتي، لا أعتقد ذلك، ولكنني آمل عندما أراه أن يثبت لي عكس ذلك، هناك بعض الكياسة والثقة بالنفس في رسالته، وهو ما يبشر بالخير، في الحقيقة أتشوّق جداً لرؤيته».

وهنا تكلمت ماري: «بالنسبة لطريقة كتابته، يبدو أن الرسالة ليس فيها أي

عيب، ولكن فكرة غصن الزيتون، هي فكرة جديدة تماماً، ومع ذلك فقد عبّر عنها بشكل جيد».

أما بالنسبةِ لكاثرين وليديا، فهما لم تهتما لا بالرسالة ولا بكاتبها، أمّا الأم السيدة بينيت فقد ارتاحت قليلاً عندما سمعت الرسالة، وأصبحت مستعدة لاستقباله بلباقةٍ مع زوجها وبناتها.

كانّ السيدُ كولينز دقيقاً في موعده ووصلَ في الرابعةِ تماماً، واستقبله جميع أفراد العائلة بحفاوة، خصوصاً الأمُ والبنات، حيث رحبّن به وتكلّمن معه جميعاً، وهو لم يكن بحاجة للتشجيع أيضاً ليتكلّم معهن.

كان السيد كولينز شاباً طويلاً ضخم الجثة، في الخامسةِ والعشرين من العمر، مهذباً ومجاملاً ويتعامل بشكل رسمي، حيث أنه لم يكد يجلس حتى سارع بالإطراء على السيدة بينيت وكيف أنّ عندها مثل هذه العائلة والبنات الجميلات، وأنّه قد سمعَ كثيراً عن جمالهنَّ، ولكنه الآن تأكد أنهن أجمل حتى مما سمع. وقال أيضاً أنه متأكد من أنهن سوف يتزوجن في أسرع وقت بزيجات رائعة. هذا الكلام لم يعجب بعضاً ممن كانوا يستمعون، لكن السيدة بينيت كانت سعيدة بالإطراء وقالت ملمّحة: «يبدو أنك سيد نبيل ولطيف يا سيد كولينز، وأتمنى من كل قلبي أن تثبت الأيام ذلك، وإلا سيكونون جميعاً معوّزين ومحتاجين، لأنّ الأمور قد سويت بشكل غريب جداً».

- «ربما تحاولين تجنّب الحديث عن الإرث الذي سيصبح لي في هذا المنزل».

- «نعم صحيح، إنني أتجنّبه، لأنه شيءٌ فظيعٌ بحق بناتي، ولست ألّمح إلى أنَّ لكَ أي ذنبٍ في ذلك، لأن مثل تلك الأشياء تحصلُ بالصدفة في هذه الحياة».

- «إنني مدركٌ تماماً يا سيدتي لهذا الموضوع، وللمشقة التي سوف تعاني منها بناتُ عمي الجميلات، وعندي كلام في هذا الموضوع، ولكنني أخشى أن

أبدو لحوحاً ومتعجلاً. ولكنني أؤكد للآنسات أنني جئت هنا خصيصاً لكي أوضّح لهنَّ كيف سأكون عوناً لهنَّ، وفي الوقت الحالي لن أقول أكثر من ذلك، ولكن ربما بعد أن نتعرف أكثر إلى بعضنا البعض...»

قطعَ كلامَه النداءُ للعشاء، وابتسمتِ الفتيات لبعضهنَّ البعض، لقد كان السيد كولينز يمتدح كل شيء في المنزل وليس الفتيات فقط، وفي الأحوال العادية كانت السيدةُ بينيت ستكون سعيدة جداً بهذا الإطراء، ولكنَّ الفكرة القاتلة التي كانت تراودها، هي أنّه يمتدح ما سوف يصبحُ ملكه في المستقبل بعد أن يرث المنزل.

حتى العشاء والطعام كان يمتدحه، حتى أنّه سأل: «من هي التي طبخت من البنات هذا الأكل اللذيذ؟».

هنا تدخلت السيدة بينيت وقالت له، أنّ لديهم القدرة المادية ليستأجروا طباخةً ماهرةً لتقوم بصنع الطعام، و البنات لا يعرفنَ شيئاً عن الطبخ والمطبخ. فاعتذر منها لأنّه ضايقها. فأوضحت له بلطف أنّه لم يضايقها، ومع ذلك بقي يعتذر لها لمدة ربع ساعة بعد ذلك.

الفصل الرابع عشر

لم يتكلّم السيدُ بينيت مع ضيفه طوالَ الوقت إلا نادراً، ولكن بعد انتهاء العشاء، وانصراف الخدم، أحسَّ أنّه الوقتُ المناسب للحديث مع ضيفه، ولذلك اختار موضوعاً يستطيعُ أن يسعدَ به السيد كولينز كبداية لحديثه، فأثنى على كونِه أصبحَ قسّيسا وتحت رعاية الليدي كاثرين، والتي تهتمُ به وبراحته في عمله. يمكن القول أنَّ السيد بينيت أحسنَ اختيار الموضوع، حيثُ فرحَ السيد كولينز جداً به واسترسلَ في الثناء على الليدي كاثرين واهتمامها به وبأموره، وكيف أنه لم ير في حياته سيدةً بهذا اللطفِ والكرمِ من طبقة اجتماعية رفيعة مثل طبقتها، وكيف أنّها سمحت له بمغادرة أبرشيته لأسبوع أو اثنين لزيارة أقاربه، وحتى أنّها اهتمّت بأن تنصحه بالزواج ليستقر، لكن بشرط أن يتأنّى في الإختيار».

وأثنتِ السيدةُ بينيت على الليدي كاثرين وقالت: «كم هذا رائع، إنّها سيدةٌ راقية متميّزة، وليت كل السيدات من طبقتها النبيلة يكنَّ بهذه الأخلاق العالية، هل تسكنُ الليدي كاثرين بالقربِ منك سيد كولينز؟».

- «منزلها الفخم، يبعد عن مكان سكني المتواضع بشارعٍ فقط».

- «أعتقدُ أنّك قلتَ أنّها أرملة، هل عندها أحدٌ من عائلتها؟»

- «عندها إبنة وحيدة، وهي وريثة آل روسينغ بكل أملاكها الكثيرة».

- «آاه هذا شيء جميلٌ جداً، وهي بذلك أفضل من فتيات كثيرات، هل هي جميلة؟»

- «إنها في الحقيقة جميلةٌ جداً، وجمالها وجاذبيتها الكبيرة تجعلُها أجمل من أي مخلوقة من بني جنسها، كما تقول الليدي كاثرين، وهي جميلة في كل شيء، إلا أنها للأسف ضعيفة البنية مما منعها من أن تحقّق الكثيرَ من الإنجازات، بالرغمِ من أنّها تعلّمت أفضلَ العلوم، كما أخبرتني السيدة التي تقيمُ معهم وتشرِفُ على تعليمها. ولقد شرّفتني بزيارة منزلي المتواضع القريب من منزلهم، عدة مرات».

- «وهل كُرّمتْ في البلاطِ الملكي؟ لأنني في الحقيقةِ لم أسمع اسمها من قبل؟»

- «للأسف لم يحصل ذلك بسبب عدم قدرتها على السفر إلى لندن، بسبب ضعف حالتها الصحية، وبالتالي أخبرتُ الليدي كاثرين، أن البلاط الملكي البريطاني حُرِم من أن يحصل على أفضل شيء يزيّنه ولقد فرحت الليدي كاثرين جداً بهذا التشبيه، ولذلك فإنني طوال الوقتِ أحاولُ أن أقول لها مثل هذه المجاملات لأفرحَها، فكما تعلمون فالسيداتُ يسعدنَ كثيراً بمثل تلك الكلمات الجميلة- ولقد ذكرتُ لليدي كاثرين في أكثر من مناسبةٍ أنّ ابنتها قد وُلدت لتكون دوقة، وأن أعلى المناصب تزداد شرفاً بوجود ابنتها فيها، هذه هي الأشياء التي تسعدُ الليدي كاثرين، ولذلك أجد نفسي مجبراً على قولها لها لأسعدها وأردُّ لها جميلها».

تكلّم السيد بينيت وقال: «إنك تحكم على الأمور بشكلٍ جيدٍ يا سيد

كولينز، ولكن هل لي أن أسألَ إذا ما كنتَ تقولُ تلك المجاملات عفوياً، أم عن دراسةٍ مسبقة؟».

- «إن مجاملاتي تنبعُ من نفس اللحظة التي أكون فيها، بالرغم من أنني في بعض الأوقات أدرس وأحضّر بعض المجاملات العامة، لكنني أفضل أن تكون كلماتي عفويّة وطبيعية كلما استطعت».

وهكذا تأكد السيدُ بينيت من فكرته عن السيدِ كولينز، وبأنَّ ابن عمه رجلٌ غريب الطباع كما كان يتوقّع، وكان يستمعُ إلى كلامه بسعادة غامرة، لم يكن يحتاج الى أحدٍ كي يشاركه غبطته بتحليله ذاك، إلا أنّه لاحظَ أن اليزابيث قد كوّنت نفس الفكرة عنه وهي تستمع إليه.

دعا السيدُ بينيت ابنَ عمّه إلى تناول الشاي في غرفة الجلوس، وبعد انتهاء ذلك دعاه إلى أن يقرأ كتاباً أمام سيدات العائلة، ووافق السيد كولينز وقُدّم له كتاب، ولكنه عندما رآه اعترض على أنه لم يقرأ الروايات في حياته، لذلك قدّموا له كتباً أخرى حتى وقع اختياره على كتابٍ للعظات الدينية ليقرأ منه، وبعد قراءته لثلاث صفحات، كانت ليديا قد ملّت من ذلك، فقاطعته وقالت لأمها: «هل تعلمين يا أمّي أنّ الخال فيليبس أخبرني أنه سيفصل ريتشارد من العمل، لكنَّ الكونيل فوستر سوف يوظّفه إذا حدث ذلك، لقد أخبرتني خالتي بذلك في آخر مرة كنتُ عندها، وأنا سأذهب إلى ميريتون غداً لأعرف أكثر عن هذا الموضوع، ولأسألَ عن موعدِ عودة السيد ديني من بلدته».

هنا طلبت جاين واليزابيث من ليديا أن تصمُت، ولكن السيد كولينز كان متضايقاً جداً وأحس بالإهانة لأن ليديا قاطعته، لذلك أخذ يقول: «لقد لاحظت في أغلب الأوقات أن الشابات الصغيرات ليس عندهن اهتماماً بالكتب ذات المواضيع الجادة، بالرغم أنّها قد كُتبت لمنفعتهنَّ، إنَّ هذا يدهشني حقاً، لأنّه ليس هناك شيء ذو أهمية مثل الإرشادات، لكنني لن ألحَّ أكثر على

ابنةِ عمّي الصغيرة».

ثم التفتَ إلى السيد بينيت وعرضَ عليه أن يكونَ خصمه في لعبة النرد، وقبِل السيد بينيت التحدي، وكان سعيداً بحكمته ومنحِه الحريّةَ لبناته الصغيرات حتى يتكلّمن هكذا في أمورهن التافهة أمام الضيف. ولكنَّ السيدة بينيت وبناتها اعتذرنَ بشدةٍ ولباقة بسبب مقاطعة ليديا للسيد كولينز أثناء قراءته الكتاب، وطلبنَ منه أن يكمل القراءة لو أحبَّ ذلك، وأنهنَّ لن يسمحنَ لها بالمقاطعةِ مرّة أخرى، لكنَّ السيد كولينز أكّد لهن أنّه ليسَ متضايقاً أبداً من ابنة عمه الصغيرة، وأنه لا يعترض أبداً على سلوكها، ثم جلس على الطاولة استعداداً للعبِ مع السيد بينيت.

الفصل الخامس عشر

لم يكن السيد كولينز رجلاً متعقلاً، لكنَّ التعليم ومراقبة المجتمع جعلته يحسّن من العيب الموجود في شخصيته، خصوصاً أنه عاش كلَّ حياته تحت قبضةِ أبٍ بخيلٍ وغير متعلم، وبالرغمِ من أنه شابٌ جامعيٌ، إلا أنّه لم يستفد كثيراً من تعليمه العالي، وقد أصبحَ متواضعاً في تعامله مع الآخرين بسبب الطريقة الشديدة التي ربّاه بها والده القاسي، لكنَّ هذا التواضع يقابله الآن بعضُ التفاخر والغرور، بسبب النجاح الكبير الذي حقّقه فجأةً وفي وقت قصير. خاصةً بسبب الفرصة الكبيرة التي أتيحت له لمقابلة الليدي كاثرين حينَ سكنَ في منزله الجديد في هانزفورد قرب منزلها، والتي كانت السبب في توالي النجاحات عليه، وانعكسَ ذلك على شخصيته الحالية مضيفاً مزيجاً من التواضع والغرور، والإحساس بالنقصِ مع الكبرياء.

وبما أنَّ السيد كولينز قد أصبح عنده الآن منزلاً جميلاً، ودخلاً كبيراً، فإنه قد قرّر الزواج، وبما أنّه قد قرر التصالح مع عائلة بينيت، فلقد قرّر أن يتزوج إحدى بناتهم، إذا ما كانت جميلة ولطيفةً كما سمعَ عنهن.

كانت هذه خطته للتصالح معهن ولتعويضهنَّ عن أنّه سيرثُ منزل والدهن. لقد اعتقد أنَ هذه خطةً مناسبةً جداً، وتنازُلاً وكرمَ أخلاقٍ منه. ولم

تتغير خطّته عندما رآهنَّ، حيثُ أن وجهَ الآنسةِ جاين الجميل، أثبت صحّة نظريته، وقد كانت اختياره الأول في ليلته الأولى هناك، ولكن في صباح اليوم التالي حصل تغيير في الخطة، بعد جلوسه وتحدثه مع السيدة بينيت لمدة ربع ساعة، حيث أنّها أخبرته أن جاين سوف تخطُب قريباً، حين ألمَحَ لها بنيّته تلك في خطبة جاين. وهكذا أصبح على السيد كولينز، أن يغيّر خطته ويحول هدفه نحو اليزابيث، حيث كانت هي الثانية في الترتيب، والثانية في الجمال بنظره، وقد ألمَحَ للسيدة بينيت بنيّته تلك، فأعطته موافقتها المبدئية وقالت وهي تبتسم أنّه قريباً سوف يصبح عندها ابنتين متزوجتين.

لم تتغاضَ ليديا عن نيتها بالذهاب مشياً إلى ميريتون، ووافقت جميعُ الفتياتِ ما عدا ماري على الذهاب معها، وحتى السيدُ كولينز قرّر أن يرافقهنَّ بعد أن طلب منه السيد بينيت ذلك، لأنّه أرادَ أن يتخّلص منه، ليستطيع أن ينفرد بمكتبته، حيث أنّ السيد كولينز لم يدعه يقرأ لدقيقةٍ في كتبه هناك، لكثرةِ ثرثرته عن نفسه. ومن نافل القول أنَّ السيد بينيت يحتمل التفاهات التي تحدث في كل غرفِ البيت، ولكنّه يريد لغرفة المكتبة فقط أن تكون مكاناً خاصاً به لوحده، ليرتاح فيها ويقرأُ على راحته.

قطعَ السيدُ كولينز وبنات عمّه، المسافةَ إلى ميريتون في الكلام والمزاح، حيثُ أنّ كولينز كعادته، أخذ يتفاخر أمامهنَّ بوضعه ومركزه ويفرطُ في مجاملاته لهنّ، والبنات يعاملنه بلطف ولباقة، حتى وصلوا إلى مشارف المدينة، هنا بدأت ليديا وكاثرين في تركيز نظراتها على الشارع بحثاً عن أيٍّ من الجنود والضباط، مركزَ اهتمامهما الأكبر في ميريتون. ولمحتا الضابط ديني يمشي في الاتجاه المعاكس لهم، مع شابٍ غريبٍ تريانه لأول مرة في المدينة، وكان هذا الشاب وسيماً جداً برأيهما.

في الحقيقة إن ليديا قد حضرت لمريتون خصيصاً لتستفسر عن عودة الضابط

ديني من عطلته. وأثناء مرور الضابط ديني والشاب الغريب الذي بصحبته، انحنى لتحيتهم، وسُحروا جميعاً به، فقد كان وسيماً ومميزاً بشكل كبير ومهذباً في نفس الوقت، وتساءل الجميع عمّن يكون هذا الشاب الغريب، لذا ليديا وكاثرين صمّمتا أن تستعلما عن أخباره.

حينها قادت الفتاتان المجموعةَ إلى مكانٍ معيّن في الشارع، لأنهما كانتا تريدان أن تبحثا عن متجرٍ معيّن كما أخبرتا الجميع، ومشيتا عدّة خطواتٍ بعيداً عن الرصيف، وفي نفس اللحظة وصلَ الضابطُ ديني ورفيقه لنفس المكان وألقى التحيةَ على الجميع، واستأذنهم في تقديم رفيقه السيد ويكهام لهم، الذي جاء معه من لندن الليلة الماضية، وأخبرهم أنَّ السيد ويكهام قد قبل تعيينه في ميريتون في الفرقة التي يتبع لها الضابط ديني.

كان هذا بالضبط ما تحتاجه الفتاتان الصغيرتان، ليصبحَ السيُد ويكهام فاتناً في عينيهما، الملابس العسكرية!.

واستغرقَ الجميعُ في حديثٍ لطيفٍ مع بعضهم البعض، وفجأةً التفتوا إلى صوتِ أحصنةٍ وعربات، وشاهدوا السيدَ بينغلي والسيد دارسي يركبان في عربتهما ويتجولان في الشارع، وعندما رآهما الرجلين اتّجها نحوهم، وبادر السّيد بينغلي بتحيّة جاين، وأخبرها أنهما كانا ذاهبين إلى لونغ بورن ليسألَ عن صحتها، وهنا انحنى لها السيد دارسي تحيةً، وكان يحاول أن يتجنّب أن تلتقي عيناه مع عيني اليزابيث، وعندها لاحظَ أن هناك شخصًا غريبا يقفُ معهم. وحدث شيءٌ غريب في تلك اللحظة، حيث لاحظت اليزابيث أنّ السيد دارسي عندما رأى الرجل الغريب، السيد ويكهام، تغيّر لونُه، ونفسُ الشيء حصلَ مع السيد ويكهام عندما رأى السيد دارسي، فقد أمتقعَ وجهه أيضاً، واستغربت اليزابيث جداً لذلك، بعد ذلك بدقائقٍ رفعَ السيدُ ويكهام قبعته تحيةَ للسيد دارسي، الذي صمّم على أن يردَّ له التحية بنفس الطريقة.

ثم استأذن السيد بينغلي منهم، دون أن ينتبه لما حدث مع السيد دارسي، وقفز الى عربته ولحقه رفيقه السيد دارسي ومشيا.

تمشّى الضابط ديني والسيد ويكهام مع الفتيات إلى منزل السيد فيليبس، وهناك انحيا تحية للجميع واستأذنا بالإنصراف، بالرغم من محاولات ليديا اليائسة لجعلهما يدخلان منزل خالتهم، وحتى أنها أطلت من نافذة منزلها ودعتهما للدخول دون فائدة.

حين وصولهم الى مقصدهم، رحّب السيدُ فيليبس وخالتهم بالجميع، واندهشت الخالة لعودة جاين واليزابيث من نيثرفيلد، حيث كانت تنوي إرسال العربة لجلبهم من هناك، إلا أنّ أحدهم أخبرها بعودتهم المبكرة للمنزل.

ثم رحبّت السيدة فيليبس بالسيد كولينز بحرارة بعد أن قدّمته لها جاين، واعتذرَ لها السيُد كولينز عن تطفله في الزيارة دون سابقٍ معرفة. سألتِ ليديا وكاثرين عن السيد ويكهام، ولم تعطهما الخالة معلوماتٍ أكثر مما عرفوا عنه، وأخبرتهم أن زوجها سوف يدعو بعض الضبّاط للعشاء في اليوم التالي وسوف تطلب منه أن يدعو ويكهام أيضاً، وبالطبع فإنّ الفتيات مدعوات أيضاً.

أثناء مشوار العودة إلى المنزل في لونغ بورن، أخبرت اليزابيث أختها جاين عمّا رأته من تصرّفٍ غريبٍ بين السيد دارسي والسيد ويكهام، عندما التقوا جميعا في ميريتون في الشارع.

حاولت جاين كما أختها من قبل أن تفسّر ما حدثَ لصالحهما، لكنّهما لم تجدا تفسيراً مناسباً للموضوع.

عندما وصلَ الجميعُ للمنزل، بدأ السيد كولينز يشرح للسيدة بينيت عن أختها السيدة فيليبس ولباقتها وحسن معاملتها، ويشكر لها في حسن أخلاقها،

وأنه لم يرَ في حياته سيدةً بهذه الأخلاق العالية مثلها، ما عدا الليدي كاثرين وابنتها. لقد كان في غاية السعادة لأنّها عاملته بمثل ذلك الرقي. حتى أن السيدة فيليبس دعته لحضور حفل العشاء عندها في اليوم التالي مع بقية بنات أختها، رغم أنّها لم تكن تعرفه من قبل، ولقد خمّن أنها فعلت ذلك لصلة القرابة بينه وبين الفتيات. ومع ذلك فقد أخبرهم أنه لم يُعامل بمثل تلك الطريقة الرائعة طوال حياته.

الفصل السادس عشر

وصلت العربة لتصطحب فتيات آل بينيت الخمس وابن عمهنَّ السيد كولينز إلى ميريتون لحضور حفل العشاء في منزل خالتهن السيدة فيليبس، وفرحت الفتيات كثيراً عندما علمنَ من خالتهن أن السيد ويكهام وافقَ على الدعوة، وأنّه موجودٌ بالفعل الآن في المنزل.

عندما جلس الجميع في أماكنهم، بدأ السيد كولينز في الحديث والثناء والإطراء على المكان والغرفة والأثاث، وقارنهُ بجمال غرفة الافطار الصغيرة في منزل آل روسيغز. اعترضت السيدة فيليبس على تلك المقارنة، لكنّها عندما علمت بفخامة وثراء فيلا آل روسينغز حيث تقطن الليدي كاثرين، رضيت بالأمر الواقع، وبأنّ تلك المقارنة شيءٌ في صالحها.

أخذَ السيد كولينز في الإسهاب بالحديث عن فيلا الليدي كاثرين الفخمة، وذكرَ القليل أثناء ذلك عن منزله المتواضع الذي يدخل عليه التحسينات تدريجياً، حتى انضّم لهم بقية الرجال في الجلسة. كان السيد كولينز سعيداً بأنّ السيدة فيليبس مستمعةً جيدة، وليست مثل بنات عمّه اللواتي لا يهتممن أبداً بتلك التفاصيل المملة بالنسبة لهن، وفرحَ أكثر أنّها تهتم بكل التفاصيل التي يذكرها، مهما أسهب فيها، وفي المقابل أيضاً، ازداد إعجاب السيدة فيليبس به

وبطبيعة الحياة التي يعيشها.

أخذت اليزابيث تنظر إلى السيد ويكهام وتقارنه ببقية الضباط الموجودين معه، وبزوج خالتها السيد فيليبس، واكتشفت أنّه أكثر من الجميع وسامةً ونبلاً ورقياً. لقد كان السيد ويكهام محطّ أنظار جميع الفتيات في الغرفة، لكنّه اختار أن يجلس بجوار الآنسة اليزابيث، وبدأ أيضاً في الحديث معها في نفس اللحظة. وبالرغم أنه كان حديثاً عن الطقس واقتراب المطر على البلدة، إلا أن اليزابيث أحسّت بالدهشة، من كيفية أن يتحوّل حديثٌ عابرٌ عن أمور عادية جداً، إلى حديث مشوّق وجميل، لمجرّد أن المتحدّث شخص لبق ويتناول أطراف الحديث بشكل ماهر.

أحسّ السيدُ كولينز بالضآلة أمام السيد ويكهام وزملائه الضباط، لأنّه شعر أنّه لا يلفت نظر بنات عمه أبداً، بالمقارنة مع هؤلاء الضبّاط خصوصاً، وحاول أن يجد عزاءه في تلك الجلسة باهتمام السيدة فيليبس به وبإحضار القهوة والحلوى له طوال الوقت أكثر من الجميع.

عندما وُضعت طاولات لعب الورق، طلب السيد كولينز من السيدة فيليبس أن تلعب معه، وأخبرها أنه غير ماهر في لعب الورق، ولكنه لا يمانع أن يتعلم منها.

جلسَ السيد ويكهام على طاولة اليزابيث وليديا، حيث كانت ليديا أفضل متحدّثة وتلفت انتباه جميع الحضور بذلك، لكنَّ لعبة الورق جذبتها وأخذت تلعب، ولم تعد تهتم لوجود أحد بقربها، حتى لو كان السيد ويكهام.

فرحَ السيد ويكهام بتلك الفرصة، وأخذ في التحدث مع اليزابيث التي كانت مهتمة جداً بالإستماع إلى حديثه، بالرغم من أن أكثر شيءٍ كانت تودّ معرفته من السيد ويكهام، هو مدى معرفته بالسيد دارسي. ولحسنِ حظّها

تكلّم ويكهام فجأة في الموضوع وسألَ عن المسافة بين ميريتون ونيثرفيلد، وحين أجابته اليزابيث، سألها عن المدةِ التي قضاها السيد دارسي هناك، فأخبرته أنه هناك منذ شهر، وخشيت أن يغيّر ويكهام الموضوع فقالت بسرعة: «لقد علمتُ أن عند السيد دارسي أملاكاً كثيرة في ديربي شاير».

أجاب ويكهام: «ذلك صحيح فهو يمتلك عقاراً كبيراً يدّر عليه عشرة آلاف جنيه سنويا، في الحقيقة لن تجدي أحداً يستطيع أن يخبرك تلك المعلومة عنه مثلي، حيث أنني ارتبطتُ بعائلته منذ طفولتي بعلاقة معينة».

اندهشت اليزابيث لذلك الكلام، فقال لها: «ربما تندهشين من ذلك، خصوصاً بعد الطريقة الجافة التي تقابلنا بها أنا والسيد دارسي البارحة، هل تعرفينه جيداً؟».

- «في الحقيقة لقد قضيتُ معه في نفس المنزلِ أربعةَ أيام في نيثرفيلد، وبرأيي أنّه شخصية غير محبوبة».

رد السيد ويكهام: «لا أملك الحقَ بأن أقول رأيي فيه سواءَ أكانَ السيدُ دارسي محبوباَ اجتماعياً، أم العكس، فأنا عرفته منذ وقتٍ طويل، بحيث أنّ حكمي عليه لن يكون موضوعيّاً، ومن المستحيل أن لا أكون متحيزاً في هذا الموضوع، لكنّي أظن أن رأيكِ فيه أدهشني، وأتمنى لو أنك لا تقوليه في كل مكان».

- «في الحقيقة لن أحتاج لأن اقولَ رأيي في السيد دارسي، فالجميع هنا وفي البلدة لم يحبّوه ونفروا منه بسبب غروره وتكبره، وسوف تجد الجميع في كل مكان يتكلمون عن ذلك».

- «لن أدّعي بأنني متأسفُ لسماع هذا الكلام، حيث أنه لا يجب أن يعطى الشخصُ أكبرَ أو أقل من حجمه عند الحكم عليه من قبل الناس، ولكن

في حالته، فإن الناس دوماً يفتنون بثروته ومركزه، فلا يحكمون عليه بشكل صحيح، أو في بعض الأحيان يخافون من لسانه السليط، وسلوكه الفظ».

ردّت اليزابيث: «أنا أراه شخصاً مزاجياً وسيء الأخلاق». لم يرد عليها ويكهام، بل اكتفى بهز رأسه، وقال: «هل يا ترى سيبقى السيد دارسي هنا في البلدة لوقتٍ طويل؟».

- «لا أعلم، فعندما كنت في نيثرفيلد لم يتكلم أبداً عن مغادرته البلدة، ولكن هل ستتأثر خططك بالإلتحاق في ثكنة الجيش هنا، بوجوده في البلدة؟»

- «لا أبداً، إنها ليست من صفاتي أن أتجنّب أحداً، إذا لم يعجبه أن يراني أمامه، يستطيع هو المغادرة، في الحقيقة ليس بيننا ودٌّ أو صداقة، وأنا أنزعج حقاً كلما قابلته، ولكن ليس عندي أي سببٍ يدفعني لأتجنّبه، إلا أنني أحزنُ حقاً كلما رأيته على هذا الحال. لن تصدقي يا آنسة بينيت كم كان والده الراحل السيد دارسي الأكبر، رائعاً وعظيماً، إنه من أروع الرجال الذين من الممكن أن تقابليهم في حياتك. لقد كان أفضل وأصدق صديق لي في الحياة. والذي يزعجني أكثر، هو أنني كلما رأيتُ السيدَ دارسي الحالي، أتذكّر كم كان والده إنساناً عظيماً بكل المقاييس، وأحزنُ لأنّه يدمّر سمعةَ وذكرى أبيه بصفاته السيئة. إنّ السيد دارسي الحالي تعامل معي بطريقة فضائحية وسيئة جداً، لكنني تجاوزت عن أذاه هذا لي، ولم أستطع أن أسامحه لأنه يلوّث ذكرى أبيه بطريقته المنفّرة في الحياة».

اليزابيث سعدت بأن عرفت أكثر عن هذا الموضوع الذي ذكره السيد ويكهام، لكنها لم تستطع أن تسأله عن تفاصيل أكثر، لأنه يبدو أنَّ الموضوع حساسٌ جداً. وأخذت تصغي إلى بقية حديثه في مواضيع عامة مثل وجهة نظره في ميريتون، والحي الذي يسكن فيه، والمجتمع بشكل عام. وتابع حديثه بالقول: «إن توقعي وتأملي للوصول إلى مجتمع جيد وثابت الخطى،

هو ما دفعني للإلتحاق بثكنة الجيش هنا في مريتون، وقد أقنعني السيد ديني صديقي، بالإلتحاق بالجيش هنا في مريتون، لما وصفه عن المدينة المحترمة والناس الطيبين من أهلها الذين يتعامل معهم هنا. ثم أنَّ الحياة الاجتماعية تعنيني جداً، ولا أتحمّل الوحدة خصوصاً أنني مررتُ بأوقاتٍ كثيرة من خيبة الأمل. يجب أن أحصل على وظيفة وأعيش في مجتمع مناسبٍ لي، صحيح أنني لم أكن أخطط لأكون ضابطاً في الجيش، لكنّ الظروف جعلت الحال الذي أنا فيه مقبولاً. في الحقيقة، ربما كان العمل في كنيسةٍ هو طموحي، حيث أنني تربّيت لأكون في الكنيسة، وكان يجب أن أكون الآن في وظيفة من أرقى الوظائف إطلاقاً بها، لو أنّها فقط راقت للرجل الذي كنا نتكلم عنه منذ قليل».

وردت اليزابيث باندهاش: «هل هذا حقيقي؟».

- «نعم حقيقي، حيثُ أنّ السيد دارسي الكبير قد أوصى لي في وصيته بمبلغ ماليٍ يكفي لمعيشتي، فقد كان العرّاب الخاص بي عند ولادتي، وكان يحبني جداً ومتعلق بي، وفي نفس الوقت كان رجلاً كريماً جداً، ولم يبخل عليَّ بشيء أثناء حياته، لكن للأسف بعد وفاته، فإنّ ابنه حرمني من الحصول عليها، وألغى هذه الوصية».

- «معقول كيف يحصل ذلك، ولماذا لم تلجأ للقانون وتدافع عن حقك؟»

- «للأسف كان هناك بعض التعقيدات في الوصية، والتي لم تترك لي أي خيارٍ حتى لو لجأت للقانون، لقد أصبحت هذه الهبة المالية متاحةً منذ سنتين، وهو الوقت الذي بلغت فيه السن القانوني لأستلمها، لكنّها أعطيت لرجل آخر بسبب ابن السيد دارسي الذي اختار أن لا يعترف بالوصية. لقد قلتُ رأيي عنه في بعض الأحيان، لكنني لم أتصرف أكثر من ذلك، إننا رجلان مختلفان جداً في الطباع. وكلّ الذي أنا متأكد منه أن السيد دارسي يكرهني».

- «هذا شيء صادم حقاً يا سيد ويكهام، والسيد دارسي يجب أن يشهّر به أمام المجتمع».

- «سيحدث ذلك عاجلاً أم آجلاً، لكنني لن أكونَ أنا الذي أفضحه، لأنني أحبّ أبيه جداً، ولن أستطيع أن أفضح ابنَه مهما حصل، إلا إذا حدثَ أن أستطعتُ نسيان هذا الأب الرائع السيد دارسي الكبير».

نظرت اليزابيث إلى السيد ويكهام بإعجابٍ كبير وأحسّت بروعة أن يحمل مثل تلك المشاعر والمبادئ، وقد بدا في نظرها أكثر وسامة من بداية اللقاء، ثم سألته: «ولكن ما هو السبب، ما الذي دفع دارسي للتصرف بهذه الطريقة الفظّة والسيئة معك؟».

- «كل ذلك لأنه يكرهني بشدة، والسبب الذي خمّنته لذلك هو الغيرة الشديدة مني، فلو أن والده لم يعاملني بكل ذلك الحب ولو لم يكن متعلقاً بي بالشكل الذي أخبرتُك عنه، لكانَ دارسي قد تقبّل وجودي. يبدو أنَّ دارسي كره ذلك الحب والعطف من أبيه نحوي وكرِهَ تلك المنافسة وعانى منها منذ سنٍ صغيرة في حياته. وأنا لم أكن أظن أنَّ دارسي سيئٌ وحقودٌ لتلك الدرجة، مع أني لم أكن أحبه، لأنّه كان لا يحب الناس».

- «كم هو فظيع ذلك «الدارسي»، تناسى أنّكم تربيتم مع بعضكم منذ الصغر، تناسى كل شئ وتعامل بانتقامٍ حاقد مع شاب محترمٍ مثلك. لقد تذكّرت الآن، عندما كنا في نيثرفيلد، تفاخرَ يوماً بأنه شخص غير متسامح ولاينسى الإساءة أبداً»

- «لقد ترعرعنا أنا ودارسي في نفس المنزل تقريباً، لأنني كنتُ أبقى هناك أغلب الوقت، وكنا نلعبُ نفس الألعاب، ونمارس نفس الرياضات، وأبي الذي كان محامياً في بداية حياته، تركَ كل شيءٍ، وأصبحَ المسؤول عن إدارة كل

أملاك السيد دارسي الكبير والإهتمام بكل تفاصيله، وأصبحَ صديقه المقرب. والسيد دارسي الكبير كان رجلاً محبّاً واهتم بي وكأنني ابنه، وعندما مرض أبي وكان يحتضر، وعده السيد دارسي الكبير، بأنه سيتكفّل بي مالياً كل حياتي»

- «كم هو شيئ فظيع ما فعله دارسي، كيف حتى أن كبرياءه الفظيع لم يمنعه من أن يكون خائناً بهذا الشكل، فما فعله معك يسمى خيانة لوصيّة أبيه ويدلل على افتقاره للأمانة».

- «تفسيرك رائع يا آنسة اليزابيث، يمكن القول أنَّ عيوبه تنسبُ لكبريائه وغروره، والكبرياء كان صديقه الوحيد، وقد كانَ سبباً في التزامه بالمبادئ أغلب الوقت، إنما بالنسبة لتصرّفه معي، فقد كان ذلك أقوى حتى من كبريائه».

- «وهل من الممكن للكبرياء أن ينفعَ صاحبه في شيء؟»

- «نعم بالنسبة لدارسي فقد نفعَه الكبرياءُ في التعامل بإنسانية في بعض المواقف، مثل الإنفاق بسخاءٍ على أصدقائه وأقاربه وحتى المستأجرين عنده، ومساعدة الآخرين في أوقات كثيرة، كما أنّه كانَ دوماً ما يفتخرُ بأبيه وما فعلهُ في حياته، وهو ما نسميه «الكبرياء الأُسَري»، وأيضاً هو شخصٌ رائع كأخ، فهو يعتني بأخته بشكل كبير ويعاملها بأفضل طريقة، هنا يمكننا القول أنّه أخ رائع !».

- «كيف هي الآنسة دارسي؟»

- «كم كنتُ أتمنى أن أقول أنها لطيفة، لكنها في الحقيقة مثل أخيها، متكبرة ومغرورة، مع أنها في طفولتها كانت لطيفة جداً ورائعة، وكانت مولعة بي جداً، خصوصاً أنني كنت أكرّس وقتي لألعب معها وأهتم بها، ولكنها الآن لا تعني لي شيئا. إنها شابة جميلة في ١٥ أو ١٦ من عمرها، وهي تعيش في لندن أغلب

الوقت منذ وفاة والدها، وتقيم معها سيدة تهتم بها وبتعليمها».

ثم عادت اليزابيث لتتكلّم عن دارسي مرة أخرى: «لكن الذي يدهشني فعلاً هو كيف يستطيع السيد بينغلي وهو رجلٌ لطيفٌ وطيبٌ ومحترم، أن يكون صديقاً لشخص فظيع مثل دارسي، ألا يعرف عنه وعن تلك القصة؟».

- «لا أعرفُ من هو السيد بينغلي، وأظن أنّه لا يعرف قصتي مع دارسي، ولكنَّ دارسي يستطيع أن يكون لطيفاً ومتحدثاً بارعاً متى ما راق له ذلك».

انتهت لعبة الورق في الطاولة الثانية، وانتقل الفريقُ الآخر إلى طاولة اليزابيث، وجلسَ السيد كولينز بينها وبين السيدة فيليبس خالتها، وحينها سألته السيدة فيليبس عن مدى تقدّمه في اللعبة، فأخبرها أنّه خسر في جميع الجولات، وحين أبدت قلقها عليه، طلب منها أن لا تقلق لأنه لا يهتم بهذه الأشياء الصغيرة مثل النقود وغيرها، وكل ذلك بفضلِ الليدي كاثرين، التي تتكفل بكل متطلباته.

في هذه الأثناء سمعَ السيدُ ويكهام حديث السيد كولينز، فسأل اليزابيث في صوت منخفضٍ، عن طبيعة علاقة إبن عمها بالليدي كاثرين، فأخبرته أن الليدي كاثرين قد أصبحت الراعية الممولة له منذ فترة قريبة، لكنها لا تعرف كيف تعرّفَ بها من البداية.

وحينها قال لاليزابيث: «هل تعلمين أن الليدي كاثرين هي أخت الليدي آن دارسي، والدة السيد دارسي، أي أن الليدي كاثرين هي خالته».

- «لم أعلم ذلكَ أبداً، لأنني لم أسمع باسمها إلا منذ يومين».

- «إن إبنة الليدي كاثرين الوحيدة، سوف ترثُ ثروة كبيرة، وهناك خطط لجمعها مع إبن خالتها بالزواج لتوحيد الثروتين معاً».

حينها ابتسمت اليزابيث، وفكرت كيف أنّ الآنسة بينغلي مسكينة ، فهي

تحاول المستحيل لجذب انتباه السيد دارسي وأخته دون فائدة لأنّه محجوزٌ لإبنةِ خالته. وأخبرت ويكهام: «إن كولينز اخبرنا أن الليدي كاثرين إنسانةً لطيفة جداً، لكن أظن أنّه يراها هكذا لأنها راعيته، وربما تكون غير ذلك».

- «كلامك صحيح، فأنا لم أرها منذ عدةِ سنوات، لكنني أذكر جيداً أنني لم أكن أحبّها، لأنها مغرورة ومتكبرة مثل ابن أختها، وشخصيتها متسلطة جداً، وهي ربما تأخذ قوتها من مركزها الإجتماعي وثروتها».

بقيت اليزابيث تتكلم مع ويكهام، حتى جاءَ موعدُ العشاء وتوقف لعب الورق، وهنا تفرّغت بقية الفتيات للتحدث مع السيد ويكهام.

تكلّم الجميع عن أخلاق ووسامة ولطف السيد ويكهام، وذهبت اليزابيث إلى المنزل وهي تفكر فيه وبحديثه طوال الطريق للمنزل، فقط حين تتاح لها الفرصة لتسرح قليلاً مع أفكارها، لأنَّ ليديا وكولينز لم يتوقفا عن الكلام والثرثرة طوال الطريق.

الفصل السابع عشر

في اليومِ التالي للحفل، أخبرت اليزابيث أختها جاين بكل ما دار بينها وبين ويكهام من حديث. اندهشت جاين وصُدمت بذلك، وأزعجها جداً أنَّ السيد دارسي لا يستحق صداقةَ واهتمام السيد بينغلي، ولم تشك لحظة في صدق قصة السيد ويكهام، خصوصاً أنها كانت تفكر كيف تحمّل شخصٌ لطيفٌ وطيب مثل ويكهام كلَّ غرور وتكبّر دارسي ومعاملته السيئة. ولكنّها عادت لتقول لاليزابيث، أنّه لا بد أنّ اللوم يقع على الإثنين ويكهام ودارسي، فأيُّ خطأٍ يكون الشخصين مسؤولَيْن عنه».

- «ربما يكون معك بعض الحق، لكن لا بد أن يكون هناك شخص مخطئ في الموضوع، أليس كذلك؟»

- «لا أستطيع أن أصدق أنَّ السيد بينغلي الإنسان المحترم، لم يستطع أن يكتشف أصدقاءه»

- «لكن أنا متأكدة من صدق ويكهام، أولاً من طريقة حديثه والحقائق والأرقام التي ذكرها، ثانياً كانَ يبدو واضحاً عليه وبشكل قاطع أنه يقول الحقيقة»

أثناء حديث الأختين في الحديقة، نادتهما الأم لأن زائرين وصلوا لمنزلهم،

السيد بينغلي وأخواته جاؤوا ليسلّموهم دعوةً لحضور الحفل الراقص القادم في نيثرفيلد، والذي سيقامُ يومَ الثلاثاء القادم. بدأت الأختانِ بينغلي تعبّران لجاين عن افتقادهما لها، وحاولت الأختان تجنبَ السيدة بينيت بقدر المستطاع وتكلمتا بشكل مختصر جداً مع اليزابيث. ثم بعد وقت قصير نهضتا فجأة من مقاعدهما، بحيث حيرتا أخيهما بتلك الحركة، وكأنهما تريدان الهرب من السيدة بينيت بأسرع وقت.

فرحت فتيات العائلة جداً بخبر الحفل الراقص في نيثرفيلد، واعتقدتِ الأمُّ أنّه يقام على شرف ابنتها الكبرى جاين. وكانت سعيدةً جداً لأنّها استلمت الدعوة من السيد بينغلي شخصياً.

جاين كانت سعيدةً لأنّها ستقضي أمسيةً جميلةً مع الأختين بينغلي، وسوف تحوز على اهتمام أخاهما السيد بينغلي، بينما كانت اليزابيث تفكر في أنها سترقص مع السيد ويكهام، وسوف ترى دارسي في الحفلة لتتأكد من قصة ويكهام عنه. حتى أنّ ليديا وكاثرين كانتا تفكّران في أنهما سترقصان كثيراً مع السيد ويكهام، الذي غدا هو فتى أحلامهما. أما ماري، فقد قرّرت هي أيضاً أن تستمتع قليلاً في الحفل الراقص، ما دامت ستقرأ وتبقى لوحدها في صباح ذلك اليوم.

سألت اليزابيث إبن عمها كولينز ما إذا كان سيقبل دعوة بينغلي ويذهب للحفلِ الراقص، وما إذا كان سيرقصُ هناك، واندهشت لأنه أخبرها أنه يريد الذهاب وسوف يرقص أيضاً، ولم يلتفت إلى أنّه ربما قد يُنتقد كثيراً لأنه قسيس، خصوصاً من الليدي كاثرين.

أخبرَ كولينز إبنة عمه اليزابيث، أنّه لا يمانع بأن يرقص في مكان ما، طالما كان ذلك المكان محترماً ويخصُّ شخصاً محترماً مثل السيد بينغلي، وأنه سوف يسعد بالرقص مع بنات عمه جميعاً، وخصوصاً هي، لأنه ينوي أن يرقص أول رقصتين معها. لم يُسعد هذا الكلام ابنة عمه اليزابيث التي كانت تأمل

أن ترقصَ تلك الرقصتين مع ويكهام. ثم شعرت بشيءٍ لم تشعر به من قبل، أنّ كولينز ربما ينوي أن يطلب يدها للزواج، خصوصاً أنه يهتم بها أكثر من أخواتها ويجاملها بشكل كبير، ويثني على ذكائها وحيويتها. حتى أن أمها لّمحت لها أنها ستكون سعيدة جداً، لو أن اليزابيث تزوجت كولينز، وهي لم تّرد عليها وقتها، تأجيلاً للنزاع الذي سوف يحدث لو أجابت.

كان الطقسُ سيئاً وأمطرت كثيراً منذ اليوم الذي تلقّوا فيه الدعوة حتى يوم الحفل الراقص، ولم تستطع أي واحدة منهن الذهاب إلى ميريتون بسبب ذلك، ولو لم يمّر الوقتُ في الاستعداد للحفل، لكنّ أحسَّ بالحزن وخيبة الأمل والملل من عدم ذهابهن إلى مريتون.

الفصل الثامن عشر

لم يخطر في بال اليزابيث أبداً أنها لن تجد ويكهام حاضراً في الحفل الراقص في نيثرفيلد، حيث أنها تأنقت أكثر من المعتاد، طمعاً في رؤيته والرقص معه، للسيطرةِ على المتبقي من قلبه والذي لم ينقاد لسحرها بعد.

لقد كانت صدمةً كبيرة لها عندما سمعت صديقهُ السيد ديني يقول لأختها ليديا التي سألت عنه، أنه لم يستطع الحضور لأن العملّ استدعاه في اليوم السابق للحفل، وهو لم يعد بعدُ من عمله، وضحكَ وقال: «وكأنّ ويكهام كان يتجنب رؤية أحدهم هنا، فحصل على ما يريده ولم يحضر». بالطبع ليديا لم تفهم الكلام، لكنَّ اليزابيث فهمت وظنّت أنَّ دارسي قد تعمّد أن يستبعده من الدعوة.

غضبت اليزابيث جداً وشعرت بخيبة الأمل، وازدادَ الكره في قلبها نحو دارسي بشكلٍ مضطرد، حتى أنّها لم تستطع أن تجبر نفسها على أن تجامل دارسي حين سارع بالتوجه إليها والترحيب الحار بها عند وصولها.

لم تستطع أن تكلّم دارسي أبداً، حيث اعتبرَت أنّ أي كلامٍ أو محادثة تجريها معه قد يجرح ويكهام، وحتى السيد بينغلي كانت حانقةً عليه ولم تستطع مجاملته، لأنّها اعتبرت أنه كان منحازاً لرغبات دارسي بشكلٍ أعمى.

وطبّقت قرارها بعدمِ مجاملةِ أحدٍ في الحفل ما عدا كولينز إبن عمها، فرقصت معه كما وعدته بالرقصتين الأُولتين، لكنّها ندمت على قرارها هذا، لأنَّ كولينز لم يكن يعرف كيف يرقص، وأحسّت بالخجل من طريقته في الرقص، وسارعت للإفلات منه بمجردِ انتهاء الرقصة الثانية. ثم ذهبت لتجلس مع شارلوت صديقتها لتخبرها بآخر التطورات لأنّها لم تراها منذ أسبوع. وأثناء حديث اليزابيث مع شارلوت جاءَ دارسي على حينِ غفلة، وطلب يدَ اليزابيث للرقص، وتفاجأت اليزابيث من نفسها بأنها قبلت عرضه وذهبت معه.

قبلَ وقوفها للرقص همست لها شارلوت وأقنعتها أنها يجب أن ترقص معه، وإلا سيعتبرها الجميعُ غير لطيفة وغير اجتماعية. وقفت اليزابيث أمام دارسي في الرقصة والجميع ينظر اليهما، لكنّهما لم يتكلما أبداً، وظنّت اليزابيث أنها تعاقبه بذلك، ثم تذكّرت أن مُتعتَه هي الصمت، لذلكَ يجب أن تجبره على الكلام حتى تضايقه، وهكذا كلّمته بطريقة متعالية، فردّ عليها بطريقةٍ مقتضبة، ثم أخبرته أنّه مثلها تماماً، غير اجتماعي ولا يحبُ الكلام أو التفاعل مع الناس، ومتكبرٌ ومغرور. وأجابها دارسي: «معكِ حق فيما قلته عن نفسك وشخصيتك، ولكن ما درجة قربه من شخصيتي لا أعلم، هل تظنين أن رسّمك لشخصيتي بهذه الطريقة صادق؟».

- «بدون أي شك، أنتَ هكذا»

ثمَّ سألها ما إذا كانت تذهب غالباً مع أخواتها إلى ميريتون، فأجابت بالإيجاب، ثم أردفت: «في المرّة الماضية عندما رأيتنا هناك، كناّ قد تعرّفنا على شخصٍ جديد للتو».

أجابها دارسي: «أعلمُ أنَّ ويكهام بارعٌ في تكوين الصداقات الجديدة، لكنّه ليسَ بارعاً في الإبقاء عليها».

- «تقصد كما فقد صداقتك، وندمَ عليها لبقيةِ حياته؟»

لم يرّد عليها دارسي، وفي تلك اللحظة كان السيد لوكاس يمّر بالقرب منهما فوقفَ وألقى التحية على دارسي وقال له: «كم أنا سعيد برؤيتك بهذه الطريقة الجميلة مع شريكتك الرائعة، وأظنُّ أنني سأراكما ترقصان أكثر في مناسبات قريبة». ثم نظرَ إلى جاين وهي ترقصُ مع بينغلي وابتسمَ قائلاً: «أعتذرُ لأنّني عطّلت محادثتكما». ومضى في طريقه.

حينها قالت اليزابيث لدراسي بسخرية : «لم يعطّل أي حديث، حيث أننا نحن الإثنين الأقل كلاماً في الغرفة كلها».

- «لنتكلم إذاً، عن الكتب مثلاً»

- «حتى هذا لا يصلح للحديث بيننا، فالأكيد أننا لا نقرأ نفس الكتب، وإذا قرأناها فإننا لن نقرأها بنفس المشاعر».

وهكذا تكلّما بحدّة بعدها، وذهبَ كلٌّ منهما لينشغل بنفسه، جاءت الآنسةُ بينغلي لتكلّم اليزابيث بحدّة: «سمعتُ أنّك كنتِ مسرورة بالتعرف على السيد ويكهام، كما قالت لي أختك الآن، وكانت تسألني عنه باستفاضة، وأظنُّ أنَّ الشاب نسيَ أن يقول لكِ من ضمن ما قاله وهو أنّ والده، كان وكيلَ القصر عند والد دارسي، ودعيني أقدّم لك نصيحة، كلام هذا الشاب غير موثوق به، ولا تصدّقي ما قد يقوله من أنَّ السيد دارسي قد عامله بطريقة سيئة، بل العكس كان يعامله جيداً، لكن ويكهام هو من تعامل بشكلٍ سيء مع دارسي. حتى أنّ أخي كان يجدُ حرجاً في أن لا يدعوه للحفل مع زملائه بقية الضباط ، لكنّه سهّل عليه المهمة، واعتذرَ بسبب العمل. صدّقيني ،ويكهام شخصٌ وقحُ وما كان يجب أن ياتي للبلدة من الأساس».

ردّت عليها اليزابيث بغضب: «لم أرَ أيَّ شيءٍ سيءٍ فيما تكلّمتي عنه حول

ويكهام، إلا أنّه إبن وكيل القصر عند والد دارسي، وهذه المعلومة أخبرني بها في أولِ حديثٍ له معي، وبالنسبة لي هذا ليس عيباً».

ضحكت الآنسة بينغلي وقالت: «عذراً لأنني تدخّلت في أمورك». وانسحَبت.

بعدها ذهبت اليزابيث لتبحث عن أختها جاين، ووجدتها جالسة مع بينغلي، وابتسمت لها برقّة وهدوء عندما رأتها قادمة نحوها، وعندما وجدت اليزابيث أختها بهذه السعادة، نسيت شكواها مما حصل وكلَّ المشاكل، حينها كانت سعيدة جداً لسعادة أختها.

ولكنّها سألتها بعد قليل: «هل علمت شيئاً عن السيد ويكهام، أم أنّك كنتِ مشغولة مع بينغلي؟».

- «نعم سألت بينغلي، وعلمت أنّه لا يعرفُ القصةَ التي حدثت بين ويكهام ودارسي، حتى أنّه لم يرَ ويكهام قبلَ اليوم الذي قابله فيه في ميريتون معنا، لكنّه سيحاول أن يفهم القصة ويتصرّف لمصلحةِ صديقه دارسي. أريدكَ أن تعرفي ايضاً، أنني فهمت من بينغلي ومن أخته أنهما لا يعتبران ويكهام سيداً مهذباً، وأخشى أن يكون ويكهام قد تصرّف بوقاحةٍ تجعله يستحق ما فعله دارسي به».

- «وهل رأى بينغلي السيد ويكهام قبل ذلكَ يا جاين؟»

- «لا لم يرهُ قبل ذلك اليوم»

- «إذاً كل كلام بينغلي يعتمد على دفاع صديقه دارسي عن نفسه، وهذا ما يؤكد لي أنَّ تفكيري كان صحيحاً منذ البداية»

عادت اليزابيث لتكملَ كلامها مع صديقتها شارلوت، حينَ اقتربَ منها كولينز ابن عمها، وأخبرَها بأنّه اكتشفَ شيئاً خارقاً منذ قليل، حيث عرفَ

بالصدفةِ أنَّ هناك أحد أقارب الليدي كاثرين متواجدٌ هنا في الحفل، وأنّه سمعَ بالصدفة السيد دارسي يتكلّم مع الآنسة بينغلي عن خالته الليدي كاثرين وابنة خالته، فعرف كولينز وقتها أنه قريب راعيته. وأخبرَ اليزابيث أنّه سيذهب ليلقي عليه التحية ويعتذر له عن تأخره في تحيته، لأنه لم يكن يعرف قرابته بالليدي كاثرين سابقاً. اعترضت اليزابيث بشدةٍ وحاولت أن تمنعه محدّثةً إياه عن صفاتِ دارسي الشخصية، لكنّه لم يصغ لها، وأخبرها أنّه بالرغم من ثقته الكبيرة في رجاحةِ عقلها، إلا أنّه يفهم أكثر منها في مثل هذه الأمور.

أخذت اليزابيث تراقبُ كولينز من بعيد وهو متجه إلى دارسي، لترى ردةَ فعلِ الأخير، وحدث ما توقعته من أنّ دارسي تحدّث مع كولينز باندهاشٍ وتعالٍ، لكنَّ كولينز عندما انتهى من حديثه، عادَ إلى اليزابيث وأخبرَها أنَّ كل شيئ قد مرَّ بشكل جيدٍ مع السيد دارسي، وأنّه كان لطيفاً معه.

استدارت اليزابيث لتنظرَ إلى أختها جاين وهي تتحدث بسعادةٍ مع السيد بينغلي، وشعرت بالسعادة الغامرةِ من أجلِها، وأخذت تتصورها متزوّجة منه وسيدةَ هذا البيت. ثمَّ اقتربت من أمّها السيدة بينيت حينَ رأتها تتحدث مع الليدي لوكاس وكان حديثها عن قربِ زواج ابنتها جاين من بينغلي، وبدأت تعدّد مزايا زواجِ جاين منه، وكيف أنَّ الأختين بينغلي تحبّاها كثيراً، ثم أخذها خيالها للحديث كيفَ أنّ جاين بعد زواجها سوف تهتم بتزويج أخواتها من رجالٍ أثرياء مثل زوجها، وبالتالي لن تصبح السيدةُ بينيت مجبرة أن تذهب معهنَّ إلى كل مكان، ثم أنهت حديثها بأنها تتمنى لابنتها شارلوت أن تتزوج هي الأخرى بزيجةٍ مهمّة مثل زيجة جاين، وإن كانت تشكُّ في ذلك.

أحسّت اليزابيث بالغضب حين رأت أنَّ دارسي يجلس على مقربة منهنَّ وقد سمعَ معظم حديث أمّها لليدي لوكاس، لأنَّ الأم كانت تتكلم بصوتٍ عال، فذهبت إليها اليزابيث وطلبت منها أن تتكلم بصوتٍ منخفض حتى

لا يسمعها الناس، وخصوصاً دارسي، الذي يجلس قريباً منها، لكنَّ الأم لم تهتم بذلك وقالت لها: «لماذا يجب أن أهتم بسماع شخصٍ مثل السيد دارسي لحديثي، هو شخصٌ لا يهمني أبداً ولا يعني لي أي شئ».

حاولت ايزابيث أن تخبرها أن ذلك ليس جيداً بحقها لأنّه صديق زوج ابنتها المستقبلي، لكن كل ذلك كان بلا فائدةٍ ليقنع الأم بالتوقف عن حديثها.

لاحظت اليزابيث أن وجه السيد دارسي بدأ يتغير مع حديث أمها، حتى لو لم يكن ينظر إليها، ففهمت أنّه كان يسمع الحديثَ ويتأثّر به. وبعد فترة لم يعد عند الأم من كلام تقوله، وصمتت وخصوصاً أنَّ السيدة لوكاس تعِبت من حديثها وبدأت تتثاءب.

بعد العشاء، جاء وقتُ الغناء كما هو متعارف ، فتقدّمت أختها ماري للغناء أمام الجميع ولم تهتم لرجاء اليزابيث بأن لا تفعل، وكان صوتُ ماري ضعيفاً وغناءها غير جيد، فالتفتت اليزابيث إلى والدها وأشارت له بأن يُسكتها، فتكلّم بعدما غنّت أغنيتن، وقال لها بصوتٍ عال: «شكراً يا ابنتي لأنّك أسعدتني بغنائك، والآن جاء دورُ فتياتٍ أخريات للغناء». صمتت ماري بعد أن كانت تستعد لغناء أغنيةٍ ثالثة.

ثم جاءَ دورُ كولينز ليجعلَ اليزابيث تشعرُ بالإحراج أيضاً، وأخذَ يُلقي خطاباً عن أهمية الموسيقى والغناء للقسيس أيضاً، ثم أخذ يتكلم عن واجبات القسيس ويوجّه كلامَه للسيد دارسي، وبعد أن انتهى من حديثه، أثنت عليه السيدة بينيت وعلى كلامه.

أحسّت اليزابيث بالحزن والضيق لأنَّ عائلتها تصرّفت بهذه الطريقة السيئة، وشكرت الله أنّ بينغلي كان مشغولاً عنهم بأختها جاين، فلمْ يلاحظ أغلب التصرفات المخجلة التي حدثت من العائلة. لكن أخوات بينغلي ودارسي

لاحظوا كلَّ شيءٍ وبالتأكيد سوف يستخفون بالعائلة ويسخرون منها بسبب تلك التصرفات الحمقاء.

قضت اليزابيث بقيةَ الأمسية مع كولينز الذي رفضَ أن يبتعد عنها أو أن يرقص مع أحد، لأنّه أخبرها أنها هي من تعنيه في القاعة، ولكنّ شارلوت خففت قليلاً من الضغط عليها، وبقيت معهما واشتركت في الحديث مع كولينز أكثرَ من مرة. ولاحظت اليزابيث أنّ دارسي كان قريباً منها ويراقبها من بعيدٍ طوال الوقت، لكنّه لم يقترب منها ليكلمها مرّة أخرى، وبرّرت ذلك بأنه يبتعد عنها بعد تلميحاتها عن السيد ويكهام، وفرحت لأنها ضايقته بذلك.

كانت عائلةُ بينيت هي الأخيرة التي غادرت نيثرفيلد بعد الحفلِ الراقص، حتى أنّ السيدة بينيت خططت لانتظارعربتهم لمدةِ ربعِ ساعة بعدها لتعطي أكبر فرصةٍ لجاين للتحدث مع بينغلي. ولكنّ الأختين بينغلي أظهرتا بطريقة غير محببة كم تريدان للجميع أن يغادروا، ولم تردّا على كلام السيدة بينيت.

وقبل ركوبهم العربة، طلبتِ السيدةُ بينيت من السيد بينغلي أن يحضرَ للعشاء معهم في لونغ بورن في أقربِ وقت، وأنّها دعوة مفتوحة في أي وقت يحب، فأخبرها أنه يود أن يفعل ذلك بمجرد عودته من لندن، وفي أسرع وقت.

أخذت السيدة بينيت تفكّر طوال طريق عودتهم للمنزل، بأنّ زواج جاين يجب أن يتم خلال ثلاثة إلى أربعة أشهر، وبعدها يتّم زواج اليزابيث -التي تعتبرُ الأبعد عن قلبها من بين بناتها- من كولينز، وهو جيدٌ بالنسبة لاليزابيث، وأن جائزتها الكبرى هو السيد بينغلي.

الفصل التاسع عشر

وفي اليوم التالي في لونغ بورن، أرادَ السيدُ كولينز أن يعلن عن الأمر الذي استقرَّ على فعله، لأنه لم يعد عنده وقت وستنتهي إجازته يوم السبت القادم.

اغتنمَ كولينز فرصته بعد العشاء، عندما وجدَ اليزابيث تجلسُ مع أمها وكاثرين، ووجّه الكلام للسيدة بينيت بأن يأخذ الإذن منها للتحدث مع اليزابيث في حديثٍ خاص، وهنا وافقت الأمُّ بسرعةٍ وطلبت من ابنتها كاثرين أن تأتي معها لخارجِ الغرفة. أحسّت اليزابيث بالإحراج واحمّر وجهها، وقالت: «لا تتركوني هنا، ليسَ هناك ما يمكن أن يقولُه كولينز لي، خذوني معكم».

لكنَّ الأم أصرّت عليها أن تجلس مع كولينز وتستمعَ له.

قبِلت اليزابيث أن تجلس وتستمع لكولينز، لأنّها رأت أنّه من الحكمة أن تنتهي من الموضوع بأسرعِ وقت، وبدأ كولينز يتحدّث بعد ذهاب الأم والأخت: «صدّقيني يا آنسةُ اليزابيث إنّ تواضعك هذا يضافُ للكثير من صفاتك الرائعة، وقد أخذتُ الاذن من أمّك للتحدّث معك في الموضوع الآتي. لقد قررّت الزواج للأسباب التالية، أولاً لأنَّ عملي كقسيس يحتّم علي الزواج، وثانياً لأنّ راعيتي الليدي كاثرين طلبت مني أن أُتمَّ ذلكَ في أسرعِ وقت، وأن أختارَ فتاةً لطيفةً وابنةَ عائلة معروفة، وعندها دخلٌ معقول، وثالثاً

أنّك أعجبتني من أولِ يومٍ رأيتُك فيه، لكنني لا أذهبُ وراءَ مشاعري في قراراتي ولذلك انتظرت حتى أدرس أخلاقك وأعرفك جيداً قبل التحدث في الموضوع. في الحقيقةِ كان بإمكاني الزواج من أي فتاةٍ من الفتيات اللطيفات في منطقتي، لكنني أردتُ أن أتزوّج من إحدى بنات ابن عمي الذي سأرثُ منزله بعد وفاته، والذي أتمنّى لهُ أن يعيش طويلاً، حتى أعوّض عليهن قليلاً، وحين نتزوج.....»

هنا وجدت اليزابيث أنّها يجب أن تقاطعه حتى لايسترسلَ أكثر في مخططاته، وقالت له: «إنّك متسرعٌ جداً يا سيدي، ولا تنسى أنّني لم أعطكَ أيَّ جوابٍ بعد، ولذلكَ أريدُ أن أخبرك، قبلّ أن نضيّع مزيداً من الوقت، أنني أشكرك أولاً على كلماتك الجميلة عنّي، وبالرغم من أنني سعيدة بطلبكَ يدي للزواج إلا انّني مضطرّة لأن أرفض هذا الطلب».

قاطعها كولينز وقال: «إنني لا أنتظر جواباً منكِ الآن، لأنّ الفتيات عادةً ما يرفضنَ مثل تلك الطلبات في البداية، رغم عزمهُن على القبول لاحقاً، ومن الممكنِ أيضاً أن ترفضه للمرة الثانية والثالثة، حتى تقبلُه أخيراً، لذلك لن آخذ كلامك الذي قلته الآن بعين الإعتبار».

ردّت عليه اليزابيث: «إنني أؤكد لكَ يا سيدي أنني لستُ من تلك الفتيات، وإنني أعني ما أقوله وجادة جداً في رفضي للزواج منك، فأنتَ لن تستطيع إسعادي، ولا أنا أستطيع إسعادك، وأنا متأكدةٌ لو أنّ الليدي كاثرين تعرّفت بي فهي لن ترشّحني للزواج بك، ولن تجدني مؤهلة لذلك».

– «لكنني متأكد من أنني لو اخبرتُ الليدي كاثرين عن مؤهلاتك وصفاتك، فهي سوف توافق على زواجنا».

– «أرجو أن تسمحَ لي بالقول أنني أعرفُ نفسي، ومتأكدة بأنها لن توافق،

وبرفضي لك فإنني َ متأكدة من ذلك ،وأنا أتمنى لك كلَّ السعادة والغنى، وهكذا فإن الموضوع قد انتهى».

وبينما كانت تقوم من مقعدها لتغادر الغرفة، قال لها كولينز: «أرجو في المرةِ القادمةِ أن يُقابلَ طلبي بالزواج منك بالموافقة، وأنا أجدُ لكِ العذر فيما قلته وهو قاسٍ جداً، إلا أنّ هذه هي طبيعتكن الأنثوية التي تحتّم عليكنَّ رفض طلب الزواج في المرة الأولى، وهذا يجعلُني أزداد تمسكاً بك».

- «حقاً إنك تدهشني يا سيد كولينز وتحيّرني بشكلٍ كبير، لا أدري أيَّ جزءٍ في كلامي جعلكَ لا تفهم رفضي على أنّه حقيقيّ».

- «ليسَ لديكِ أي سببٍ لرفضي، فلا أظنُّ أنَّ وضعي الإجتماعي وعملي وعلاقاتي الإجتماعية المختلفة، من الممكن أن يرفضها أحد، خصوصاً صلة قرابتي مع عائلتك، وأنت، أعذريني لقول ذلك، بالرغمِ من صفاتك الجميلة ولطفك وذكائك لم يتقدم أحدٌ لك للزواج بعد، فليس من المنطقِ أن ترفضيني، إلاَّ إذا كنتِ مثلما أخبرتُك قبلَ قليل، تتصرفين مثل أي فتاة ترفض العريس في المرّة الأولى».

- «أؤكدُ لكِ يا سيدي مرّة أخرى، أنّه ليس لديّ أي رغبةٍ في رفضك لهذا السبب الغريب من التصرفات الأنثوية، فبذلك فإنَّ الفتاة تحطّم قلبَ الشخص الذي تريده وتريد أن تعيش سعيدةً معه، وأنا أشكرك من كل قلبي لتقدّمك لطلب يدي للزواج، لكنني للأسف لن أستطيع أن أقبل بهذا الطلب أبداً، فمشاعري ترفُضه، هل أستطيع أن أكلّمك بصراحة، دون أن تفهم أنني أتلاعب بمشاعرك لترغب بي أكثر؟»

- «إنك ساحرة حقاً يا اليزابيث، وأظن أنني عندما أتكلم مع والديك العزيزين، فإن طلبي لن يُرفض أبداً».

عندما رأت عدم تقبله للحقيقة، وبأنّه يخدع نفسَهُ بهذه الطريقة، قرّرت اليزابيث السكوت الآن وعدم مواصلة الحديث معه، وانسحبت من الغرفة بهدوء وصمت، وقررت اللجوء لأبيها ليخبره برفضها، عندها لن يظنّه يستخدم معه الحيل الأنثوية، كم يظنُّ أنها تفعل الآن.

الفصل العشرون

كانت السيدة بينيت تحاول أن تسترق السمع بوقوفها قربَ الباب خارج الغرفة، لتعرف ما يدور بين ابنتها اليزابيث والسيد كولينز ابن عمها عندما تقدم لطلب يدها للزواج، ورفضته اليزابيث، وبمجرّد أن رأت اليزابيث تخرجُ من الغرفة وتذهب لصعود الدرج، دخلت هي للغرفة وهنأت كولينز على قربِ ارتباطه بالزواج مع ابنتها، وتلقّى هو التهنئة بسعادة، وهنأها بدوره، ثم سردَ للسيدة بينيت ما دار بينه وبين ابنتها، وأخبرها أنّه يعتقد أنّها رفضت الزواج بسبب رقّة طبعها وشخصيتها اللطيفة، لكن السيدة بينيت صُدمت عندما سمِعت ذلك، وقالت لكولينز: «اعتمد عليَّ فإنَّ اليزابيث سوف تعود إلى عقلها وتقبل بالزواج منك بالطبع، سوف أتكلّم معها أنا أيضاً مباشرة، فهي فتاة حمقاء وعنيدة ولا تعرف مصلحتها، ولكنني سأجعلها تعرفها جيداً».

- «عذراً سيدتي لمقاطعتك، ولكن إذا كانت اليزابيث كما تقولين عنيدة وحمقاء، فلا أظنُّ أنّها ستكون زوجة مناسبةً لشخصٍ في مركزي، خصوصاً أنني أبحث عن السعادة في الزواج، وهذا طلبٌ طبيعي. وإذا أصرّت اليزابيث على الرفض فأظن أنّه من الأفضل أن لا نضغط عليها للقبول بهذا الزواج، لأنه إذا كان عندها هذه العيوب في طبعها، فإنها لن تستطيع إسعادي».

- «أنت فهمتني بشكلٍ خاطئ يا كولينز، كنتُ أقصدُ أنّها عنيدة فقط في مثل هذه الأمور مثل الزواج، لكن في كلِ أمور الحياة فهي فتاة طيّبة وهي ألطف من أي فتاة أخرى، سأذهب الآن لوالدها وأخبره، وهو بالتأكيد سيعمل معي على إقناعها وإنهاء الموضوع».

لم تعطِ السيدة بينيت الفرصة لكولينز ليجيبها بل خرجت على الفور، وذهبت إلى غرفة المكتبة حيث زوجها، وأخذت تصرخ: «الحقني يا سيد بينيت، أنت مطلوبٌ لتعمل على وضع حدِ للفوضى، ابنتك ليزي ترفض الزواج بكولينز، وإذا لم تُسرع، فإنه سوف يغيّر رأيه ويرفض الزواج بها».

رفعَ السيدُ بينيت رأسَه من الكتاب الذي كان يقرأ فيه، وأخذ ينظر إلى زوجته بنظرة لامبالاة عندما دخلت عليه بهذا الشكل، ولم تتغير نظرته بعد أن أخبرته بالأخبار المروّعة حسب رأيها، ثم قال لها:

«لم أتشرف بفهم ما كنت تقولينه، هل قلت أن ليزي لا تريد أن تتزوج كولينز، وأنها إذا أصرّت فإن كولينز لن يريدها بعد الآن. وما الذي أستطيع فعله أنا في هذا الموضوع، هذا موضوع لا أمل فيه».

- «تكلّم مع ابنتك ليزي وأرغمها على القبول بالزواج من كولينز»

- «دعيها تنزل إلى هنا، وسوف أخبرها برأيي»

قرعت السيدة بينيت الجرس لاستدعاء ليزي، وعندما جاءت، قال لها أبوها: «ادخلي يا ابنتي، هناك موضوع هام أريد التحدّث معك حوله، هل تقدّم السيد كولينز لطلب يدكِ للزواج؟».

- «نعم يا أبي هذا صحيح»

- «وهل رفضتي هذا العرض؟»

- «نعم رفضتُه»

- «حسناً والآن نصل إلى النقطة المهمة في الموضوع، أمّك تريدكِ أن توافقي على الزواج، أليس كذلك يا سيدة بينيت؟»

تدخلّت الأم قائلة: «نعم أريدُ ذلك، وإلا فإني لن أراها بعد ذلك أبداً».

فوجّه الأب كلامه لإليزابيث: «أمام بديلٍ وسببٍ غير جيد لعدم الموافقة على الزواج من كولينز يا ليزي، سوف تصبحين غريبة عن أحد أبويك، فإذا لم توافقي لن تراكِ أمّك، وإذا وافقتي لن أراكِ أنا».

أخذت اليزابيث بالضحك من طريقة أبوها وكلامه، وأحسّت السيدة بينيت بخيبة الأمل بعد أن كانت تظنّ أنّ زوجها يتفهّم وجهة نظرها، وأهمية الزواج من كولينز، وقالت لزوجها: «لقد وعدتني أن تساعدني في إقناعها».

- «يا عزيزتي، أنا لا أريدُ منك سوى أمرين صغيرين، من فضلكِ، أولهما أن تسمحي لي أن أفهم الأمور بطريقتي وأن أتصرّف وفقاً لذلك، الثاني أن تسمحي لي بالإنفراد في مكتبتي بأسرع وقتٍ ممكن».

لم تيأس السيدةُ بينيت وواصلت محاولاتها لإقناع اليزابيث، وهدّدتها دون فائدة، ثم طلبت من جاين أن تتدخل لتساعدها، فرفضت جاين ذلك.

وأثناء ذلك كان السيد كولينز يجلس لوحده في غرفة الجلوس ويفكّر بالسبب الذي جعل اليزابيث ترفضه. ثم جاءت شارلوت لزيارة ليزي وأخبرتها ليديا بما حدث في المدخل، وعندما دخلت وجدت السيدةُ بينيت وهي جالسة على مقعدها ومتضايقة وتتكلم في عصبيةٍ كلَّ الوقت عن موضوع اليزابيث، ولم يكن أحد يرّد عليها، حتى لا يثيرون عصبيتها، ثم هدّدت اليزابيث بأنها ستبقى بدون عائلٍ بعد وفاة والدها، إذا بقيت ترفضُ العرسان هكذا، وأخذت تشكي لشارلوت كيف أنّ لا أحد يهتم بها

وبأعصابها، ولا يشفقُون عليها.

ثم هدّدت اليزابيث أنّها لن تكلّمها مرةً أخرى في حياتها، لأنّها لا تستحق ذلك، بعد أن أثبتت عدم إخلاصها لعائلتها.

عندما دخل السيدُ كولينز إلى الغرفة، طلبت من الجميع الصمت لأنها ستتكلم معه، عندها خرجت اليزابيث، ثم تبعتها جاين وكاثرين، وبقيت ليديا لأنها كانت تريد أن تسمع ما الذي سيحدث. وشارلوت لم تستطع المغادرة لأنها ضيفة في المنزل وبسبب الطريقة المهذبة التي أخذ السيد كولينز يسألها فيها عن عائلتها وإخوتها.

ثم بدأ كولينز بالتحدث مع السيدة بينيت: «سيدتي العزيزة، دعينا ننسى هذا الموضوع ولا نتكلم فيه مرة أخرى أبداً. إنني في الحقيقة لا ألوم ابنتك أبداً، ولا أنكرُ أنني كنت سأصبح سعيداً لو وافقت على هذا الزواج، وأرجو أن لا تعتبري يا سيدتي أنّ انسحابي من هذا العرض لابنتك فيه أي إهانة لكِ أو لعائلتك، لقد كنت أريدُ أن أجد رفيقة محترمة لي في حياتي، بالإضافة إلى جعل عائلتكم تستفيد من نتائج هذا الزواج. وأعتذرُ لك عن أيِّ خطأٍ غير مقصودٍ حصلَ منّي».

الفصل الحادي والعشرون

انتهى تقريبا موضوع زواج اليزابيث من السيد كولينز ابن عمها، لكن ظلّت توابعه تتداعى في المنزل، وذلك من قبيل، معاملة أمّها السيئة لها، ومعاملة كولينز لها، حيث تجنّب الحديث معها تماماً وانتقلَ كل اهتمامه وحديثه إلى صديقتها شارلوت، وحيث أنّها كانت مستمعةً جيدةً له ولأحاديثه، فإنَّ هذا أسعدَه وأسعدَ بقية العائلة، وأسعد صديقتها بالطبع.

في اليوم التالي، بقيت أمها على حالها، وبقى كولينز على طريقته في الترفّع عن محادثتها، بسببِ كبريائه الجريح، وقد كانت اليزابيث تظنُّ أنه سيختصرُ زيارته نتيجة لذلك، لكنّه لم يفعل، وبقى على خطته في أنّه سيغادر يوم السبت.

بعد الفطور قرّرت الفتيات المراهقات الذهاب إلى ميريتون للسؤال عن السيد ويكهام، وهل عاد من عمله، لأنهنّ حزيناتٍ كثيراً لغيابه عن الحفل الراقص الذي أُقيم في نيثرفيلد، وقد التقاهنَّ ويكهام على مدخل المدينة وذهب معهنَّ لزيارة خالتهن. وهناك اعترف ويكهام لاليزابيث أن غيابه كان متعمّداً، لأنّه فكّر في أن تواجده مع دارسي في نفس المكان ولوقت طويل سوف يخلق المشاكل والعتاب المتبادل، وذلك ليس له وحده بل للآخرين في المكان، فوافقت اليزابيث على عذره وأيدت فكرته تلك.

بعد انتهاء الزيارة، ذهبّ ويكهام وصديقه الضابط لتوصيل الفتيات في طريق العودة إلى المنزل، وقد فرحت اليزابيث جداً بذلك، لأنها قضت معه وقتاً جميلاً في الطريق، ولأنّها فرصة لتقدّمه لأبيها وأمها.

بعد وصولهم للمنزل بقليل وصلت رسالة من نيثرفيلد لجاين، ففتحتها بسرعة وبدأت في القراءة، وتغيّرت ملامحها وهي تقرأ، وكانت اليزابيث تراقبها، لكنّها وضعت الرسالة جانباً، وبدأت في الكلامِ والمزاح مع الجميع ومع ويكهام وصديقه، وانتظرت حتى ذهب ويكهام وصديقه، ونادت اليزابيث وصعدت معها إلى غرفتها، وهناك أرتها الرسالة، قالت لها أنها من كارولين بينغلي، وأنها رسالة غريبة حقاً، لأنها أخبرتها أنّهم جميعا في طريقهم إلى المدينة، وأنّهم لن يعودوا أبدا إلى نيثرفيلد قبل نهاية الشتاء، وقرأت لها الجزء الأول من الرسالة:

{لقد قررنا أنا وأختي أن نلحقّ بأخي في المدينة، وسوف نتناول العشاءَ في منزل السيد هيرست زوج أختي في شارع جروس فينور، وإنني لا آسف على شيء في هيرتفورد شاير غير فراقك يا صديقتي العزيزة، ولكننا نستطيع أن نرى بعضنا في أوقات قادمة، ونتواصل عن طريق الرسائل....}

حاولت اليزابيث أن تفسّر لجاين، أن ذهاب الأختين لا يعني عدم عودة بينغلي إلى نيثرفيلد، لأنه من الممكن أن يأتي لوحده، وحاولت أن تقنع جاين أن ذلك قد يكون أفضل لها، وأنه ربما جاء الجميع لزيارتهم هنا في منزلهم، وأنها ستكسب أختين بدلاً من صديقتين بعد ذلك.

ردّت عليها جاين، أنهما ذكرتا أن أحداً منهم لن يأتي هذا الشتاء، وأنّ السيد دارسي مشتاق جداً لرؤية أخته، وأنّهما أيضاً كذلك، حيث تتمنى هي وأختها أن يخطب أخوها جورجيانا دارسي، أخت السيد دارسي، التي تمتلك كل المؤهلات من جمالٍ وعلمٍ وعائلة كبيرة، وحتى أخيهما نفسه مهتمٌ بها.

وهنا سألت جاين اختها اليزابيث: «ما رأيك الآن يا ليزي، ماذا تعني تلك الجملة، ألا تعني أنّ كارولين لا يعنيها ولا تريدني أن أصبح زوجة اختها، وأنّ أخاه غير مبالي بالموضوع، هل عندك رأي آخر في هذا الموضوع؟».

- «نعم بالتأكيد، هناك تفسير آخر يا جاين، الآنسةُ بينغلي تعرف جيداً أنّ أخاها يحبّك، ولكنها تريد أن تزوجه لأختِ دارسي، لذلك لِحقت به، حتى تمنعه من العودة إلى هنا، وحتى تقنعه بذلك الزواج، وأيضاً حسب رأيها، فنحن لسنا أغنياء مثل أخت دارسي وليسَ لدينا أملاك مثلهم، لذلك تريد أن تضمنَ زواج أخيها من الأفضلِ وذلك بحسب رأيها، وهناك أيضاً فائدة أخرى لهذا الزواج لأنه سيقرّبها من دارسي، الذي تتمنى الزواج به. لذلك أرجو أن لا تصدّقي كلامها يا جاين، لأنّه ليس الحقيقة»

- «أنتِ مخطئة يا أختي بالنسبة لكارولين، فهي لا تستطيع أبداً أن تكذب وتخدعَ بهذه الطريقة، وأنت لا تعرفينها جيداً، ربما تكون هي من تخدع نفسها في الموضوع»

- «حسناً يا أختي، لك مطلق الحرية في الدفاع عن الأختين، والإكتفاء بإرضائهما وبصداقتهما، أو الدفاع عن حبك للسيد بينغلي، وعن سعادتك في الزواج منه»

- «كيف تقولين ذلك، أنا أحبّه جداً ولن أتخلى عنه»

- «أعلم ذلك يا جاين، ولذلك يجب أن تكوني حازمة في ذلك الأمر»

وهكذا حاولت اليزابيث أن تبعثَ الأملَ في نفس أختها الحزينة، وتقنعها بأن بينغلي لابد أن يعود من أجلها. بقي موضوعٌ وحيدٌ ضايقهما، وهو أن والدتهما ستحزن جداً لو علمت بسفر الأختين بينغلي، ولكنّ اليزابيث أقنعتها أن بينغلي سيأتي قريباً وسوف يتناول العشاء هنا معهم في لونغ بورن.

الفصل الثاني والعشرون

انشغلت عائلة بينيت بالغداء مع آل لوكاس، وقضت شارلوت بقيةَ اليوم في الإستماع إلى كولينز، وقد شكرتها اليزابيث لأنها تؤدي لها تلك الخدمة، فهي ترى، أنّه يصبحُ في مزاجٍ جيدٍ عندما يقابل شارلوت، واعتبرت أنَّ شارلوت تضّحي بوقتها مع كولينز من أجلها.

لكنّ الحقيقة أنّ شارلوت كانت تُخطط لتحويل انتباه كولينز إليها ليطلب يدها للزواج، وقد حزنت أنّ كولينز مضطرٌ للعودة سريعاً إلى مكان عمله، لكنّها لم تكن تعلم أنه سيفعل المستحيل قبل سفره، ففي صباح اليوم التالي خرجَ كولينز باكراً من لونغ بورن واتّجه إلى منزل عائلة لوكاس، متخفّياً حتى لا يراه أحد من عائلة ابن عمه.

أرادَ كولينز أن يخطبَ شارلوت، خصوصاً وأنّها شجعته على ذلك بطريقتها الخاصة، لكنّه لم يكن يريد أن يعرف أحد بذلك حتى يستطيع التأكّد من الجواب.

رأت شارلوت كولينز وهو يدخل من البوابة الخارجيةِ لمنزلها، حيث كانت تقف في النافذة العلوية، وعندما رأته سارعت بالنزول لتلقاه أمام البوابة قبل دخوله. أحسّت شارلوت بالسعادة لأنّ حلمها بالزواج سيتحققُ أخيراً،

وعندما وصلت إليه تحدّثا واتفقا على كل شيء ودخلا معاً إلى المنزل، وعندها طلب منها أن تحدّد اليوم الذي تريده ليصبح أسعدَ انسانٍ في العالم.

رحّب السيد وليام والليدي لوكاس بالسيد كولينز ووافقوا على طلبه بخصوص خطبة ابنتهم بشكلٍ سريع، خصوصاً أنّ شارلوت لا تمتلك ثروة تقدّمها لعريسها.

فرحت عائلةُ شارلوت جميعها بذلك الخبر، لا سيّما أشقاؤها، لأنّهم لن يخافوا بعد الآن بأن تموت أختهم وهي عانس. وكان هذا هو كل ما أرادته شارلوت بهذه الخطبة والزواج. لم تكن تهتم به كإنسان أو حبيب، لأنه برأيها كان أحمقاً وغير متزن. لقد كان في كل الأوقات هدفها هو الزواج من أي رجلٍ ليصبحَ مسؤولاً عنها مادياً، خصوصاً وأن ثروتها محدودة، وجمالها كذلك، وهي في عمر السابعةِ والعشرين، وليس لديها أملاً في شيء آخر، فلم تكن تهمّها الأمومة أو الحب.

بقيت عندها مشكلة وحيدة، وهي كيف ستواجه اليزابيث بهذا الخبر، خصوصاً أنها صديقتها الوحيدة والقريبة منها، وهي تثمّن هذه الصداقة مع اليزابيث كثيراً، لذلك فكّرت في أنها يجب أن تخبرها بالموضوع بنفسها، فطلبت من كولينز أن يَعِدَها ألاّ يخبر أحد من العائلة، قبل أن تُخبر هي اليزابيث.

بعد ان عاد لمنزلِ بينيت وجدَ كولينز صعوبةً كبيرةً في أن يفي بهذا الوعد، لأنّه تأخر كثيراً، وأرادت العائلة أن تعرف أين كان كلّ ذلك الوقت، ولكنّه لم يخبرهم عن مكان غيابه، وحاولَ أن يتماسك وأن لا يخبرهم بشيء مع أنه كان يوّد ذلك، لأنه كان يريد السفر باكراً في صباح اليوم التالي.

بدأت السيدة بينيت بالتحدث بشكلٍ لطيف وعطوفٍ مع كولينز، وأخبرته أنهم سينتظرونه دوماً هنا في لونغ بورن متى ما أخذ أيَّ إجازةٍ من عمله.

شكرَها كولينز وقال: «سيدتي أشكرك من كل قلبي لهذه الدعوة الكريمة، لأنّها ما كنتُ أنتظره، وأرجو أن تعلمي بأنني سألبّيها في أسرعِ وقتٍ ممكن».

اندهش الجميعُ، ومنهم السيدُ بينيت لهذا الرد، فهم لم يكونوا يتوقعون أن يعودَ كولينز لزيارتهم بهذه السرعة، فقالَ له: «لكن يا عزيزي أليس هناك خوف من أن تغضب الليدي كاثرين لسفرِك المتكرر هذا، من الممكن أن تخفّف من زيارات أقربائك في سبيل عملك والراعية الخاصة بك».

- «كم أشكرك عزيزي السيد بينيت لاهتمامك بشؤوني وبالراعية الخاصةِ بي، وأرجو أن لا تقلق لأني لن أخطو أي خطوة بدون علمها، وسوف أرسل لك رسالة شكرٍ من هناك بمجرد وصولي، لاهتمامك بي ولملاحظاتك المحبة، ولاستضافتِك الكريمة لي، وبالنسبة لبنات عمي العزيزات فسوف أتمنى لهن السعادة والصحة الدائمة، ولن أستثني اليزابيث من هذا أيضاً، رغم أنني لن اتأخر لأعودَ لزيارتكم مجدداً».

سلّمت البناتُ على ابنِ عمّهن وانسحبنّ بهدوءٍ وهنَّ مندهشات من كلامه عن عودته السريعة. ولكنّ السيدة بينيت كان لها رأيٌ آخر، فقد ظنّت أنه سوف يعود ليطلب يد إحدى بناتها الأخريات، فمن الممكن أن يطلب يد ماري، وهي من السهل السيطرة عليها، لجعلها تقبل به، ومن الممكن أن تنصحَه أمها بقراءةِ بعضَ الكتبِ لتحسين ثقافته، حتى يروق لابنتها ماري الذكية.

لكن في الصباح تبخّرت جميعُ هذه الأحلام، عندما وصلت السيدة لوكاس مع ابنتها في صباح اليوم التالي مباشرةً بعد الفطور، وطلبت أن تتكلم على انفراد مع اليزابيث، وأخبرتها بما حدث في اليوم السابق، وبأنّ السيد كولينز قد خطب شارلوت صديقتها، وصُدمت اليزابيث، إذ أنّها لم تكن تتصور أن شارلوت ممكن أن تقبل به وتشجّعه على الخطبة، لدرجة أنها نسيت حدود

اللياقة وصرخت: «شارلوت ستتزوج كولينز، مستحيل!!».

تفهّمت السيدة لوكاس رد فعل اليزابيث وقالت لها في هدوء: «لماذا هو مستحيل؟ ولماذا أنت مندهشة يا عزيزتي اليزابيث؟ هل تظنين أنّ السيد كولينز لن يستطيع أن يخطب ابنتي لأنه صُدم من ردّةِ فعلك على طلبه للزواج منك؟».

هنا تماسكت اليزابيث وردّت عليها بهدوء: «تعلمينَ كم أحبُّ شارلوت وأتمنى لها كل الخير».

ثمَّ تدخلت شارلوت وقالت لها: «أفهم ما تمرين به، لا بد أنّك مندهشة جداً لما حدث، عندما تهدأين وتفكرين جيداً في الموضوع سوف تعلمين أنني اتبعتُ الطريقَ الصحيح، وأنت تعلمين أنّي لستُ رومانسية، ولا أريدُ من الزواج إلا بيتاً مريحاً، وكولينز بشخصيته وعلاقاته وعمله، سوف يوفّر لي ما أطمح إليه في الزواج».

ردّت اليزابيث في هدوء: «بدون شك سيفعل ذلك».

والتزمَ الجميعُ الصمتَ لمدةٍ، ثمَّ قمنَ ليلتحقنَ ببقيةِ العائلة، ولم تطل زيارة شارلوت وانصرفت باكراً، وذهبت اليزابيث إلى غرفتها لتفكّر في كل الوضعِ الجنوني الذي حصل. لا سيما في الكيفية التي ضحّت شارلوت بها بكل شيء لتحصل على المميزات المادية البحتة، دون أي مشاعر.

الفصل الثالث والعشرون

كانت اليزابيث جالسةً مع أمها وأخواتها، تفكّر فيما حصل لشارلوت، وتتساءل إن كان لديها الحق في أن تخبر أهلها بما سمعت، وفجأة وصل السيد لوكاس والد شارلوت حيث أنّها أرسلته ليعلمهم بخطوبتها إلى السيد كولينز، وهنا صدم الجميع، وقالت له السيدة بينيت: «لا بد أنّك مخطئٌ فمن المستحيل حدوث ذلك». حتى ليديا، والتي تقول ما تريد دون أن يردعها أحد قالت له: «يا الهي، سيد لوكاس، كيف تستطيع أن تقول مثل هذه القصة؟ ألا تعلم أن كولينز خطب أختي اليزابيث؟».

وبدأ الجميع في قول الكلام الجارحِ إلاّ أنّ السيد لوكاس تحمّل كلَّ ذلك بسبب أخلاقه العالية، وقرّر أن ينصرف، لكنَّ اليزابيث أرادت أن تخفف عنه الحرج، فقالت لأمها وأخواتها أنها تعلم أن هذا الكلام حقيقي وقد أخبرتها شارلوت بنفسها بذلك، ثم هنأته وتمنّت السعادة لشارلوت في ذلك الزواج، وفعلت جاين مثلها وهنأته هي أيضاً.

بعد انصراف السيد لوكاس، تحدّثت السيدةُ بينيت وقالت: أنّه من المستحيل أن يتزوج كولينز من شارلوت، ثم تحدّثت كيفَ أنّ كولينز قد اختُطف بهذه الطريقة، وأردفت، أنّ شارلوت وكولينز لن يكونا سعيدين أبداً،

ثم تنبأت أنهما سينفصلان بعد الزواج. وأخذت تقول أن اليزابيث هي السبب في كل تلك المصيبة التي حصلت. وأخذت تلوم الجميع على أنهم استغلوها، واستغلوا جهودها. وبقيت تثرثر بذلك كل الوقت.

مرَّ أسبوعٌ على تلك الحالة، والسيدة بينيت تعنّف اليزابيث كلّما رأتها أمامها، ثم استمرت لمدةِ شهرٍ كامل تتكلم بوقاحة مع السيد والسيدة لوكاس، كلّما قابلتهما، واستغرقها الأمر شهوراً طويلة لتستطيع أن تسامح شارلوت على فعلتها، حسب قولها.

أمّا السيّدُ بينيت فقد تقبّل الموضوع بهدوء، ولم يتأثر، إلا أنّه خاب أمله في شارلوت التي كان يعتبرها إنسانة عاقلة، إذ اكتشفَ حسبَ قوله أنّها حمقاء مثل زوجته، وأيضاً أكثر حماقة من ابنته جاين، التي اندهشت جداً من مقارنتها مع شارلوت بهذه الطريقة، لكنّها لم تستطع أن تسأل أبيها عن السبب، كما لم تستطع أن تخبره أنّها راضيةً عن هذا الزواج وأنها تتمنى السعادة لشارلوت وكولينز ، حتى اليزابيث التي اعتبرت هذا الزواج غير مناسب، لم تستطع إقناع جاين بعكس ذلك.

أمّا ليديا وكاثرين، فهما لم يعنيهما أمر زواج شارلوت وكولينز، فبرأيهما، هو مجرّد قسيس لا يعني لهما كشخص مناسبٍ يُغار عليه، وخبرُ الزواج، هو مجرد خبر تقولانه عندما تذهبان إلى ميريتون.

أمّا السيدة لوكاس، فلم تستطع إخفاء سعادتها بهذا الزواج، فزادت من زياراتها للسيدةِ بينيت، لتخبرها كل الوقت كم هي سعيدة هي وابنتها بذلك الزواج، ولتوضحَ لها أنّ ابنتها سَتستقّر في زواجٍ جيدٍ وهانيء، عكسَ بنات السيدة بينيت، ولم يهمّها الطريقة السيئة التي كانت تعاملها بها السيدة بينيت من الغيظِ والحسد، والتي من الممكن أن تلغي أي سعادةٍ محتملة!.

أمّا العلاقة بين شارلوت واليزابيث، فقد كان بها ضوابط، لذا لم تتكلما في ذلك الموضوع أبداً، واعتبرت اليزابيث، أن الثقة بينها وبين صديقتها قد فُقدت للأبد، لذلك أصبحت تفضّل الحديث مع أختها طوال الوقت بدلاً من صديقتها. حيث كانت تحرص على الإطمئنان على سعادتها، خصوصاً أنّه ليس هناك أخبار بعد عن بينغلي الذي سافر منذ مدة. وكانت جاين قد أرسلت رسالةَ رد للآنسة بينغلي، وكانت في انتظار وصول رسالة ثانية منها.

ثم وصلت الرسالة الموعودة من السيد كولينز للأب السيد بينيت، يشكره فيها على حسن المعاملة طوال المدة التي قضاها في البلدة في منزلهم، وبدأ بالكلام عن الآنسة شارلوت، وكيف أنّها إنسانة رائعة، وأنها هي السبب في أنّه يريد زيارتهم مرّة أخرى في أقربِ وقت ليستمتعَ بصحبتها، وأنّه قد أخبر الليدي كاثرين بزواجه من شارلوت، وقد وافقت عليه وطلبت منه أن يقوم بذلك في أسرعِ وقت، لذلكَ فمنَ المحتملِ أنّه سيعودُ لزيارتهم بعد أسبوعين، وأنّ موعد عودته يعتمد على رغبة عزيزته الآنسة شارلوت، وعلى اليوم الذي ستحدّده للزواج.

أحسّت السيدة بينيت بالإمتعاض من الرسالة ومن كولينز، ولم تعد ترغب في عودته للزيارة، بعد هذا الكلام، حتى أنّها اندهشت من زيارته لهم، بدل من ذهابه إلى منزل لوكاس، وخصوصاً أنهّا تكرَهُ وجودَ زوّار في منزلها، وكيف إذا كانوا من العشاقِ لغير بناتها؟!

مرّت الأيام ولم تسمع جاين واليزابيث عن السيد بينغلي، وبدأت اليزابيث تخاف من عدم قدرة بينغلي، على مقاومة جهودِ أختيه وصديقَه، بالإضافةِ لإغراءات الآنسةِ دارسي، من العودة إلى حبّه في البلدة، إلى أختها جاين.

أحسّت جاين بالقلق من تأخّر عودة بينغلي، لكنّها لم تقل أي كلمة عن ذلك، بل أخفت ألمها وحزنها، إلا أنّ والدتها كانت تتكلم كل الوقت عن

الموضوع، وتخبرُ جاين دوماً، أنّها يجب أن لا تقلق، وأن لا تعتبر أنه قد تم استغلالها، إذا لم يعُد بينغلي.

عادَ كولينز إلى لونغ بورن بعد أسبوعين بالضبط، لكنّه لم يُستقبل بترحابٍ كما في المرّة الأولى، وهو لم يلاحظُ ذلكَ حتى، لأنّه كان سعيداً ومنغمساً بغرامه مع شارلوتَ وكان يبقى بصحبتها كل الوقت مما أراحَ عائلة بينيت من الإهتمام به.

كانت السيدةُ بينيت في حالةٍ يُرثى لها، بعد حضورِ كولينز، حيث شعرت بالحزن والإحباط كلما ذُكِر موضوع الزواج أمامها، وأحّست بالغيرة والكره نحو شارلوت، وكانت تتخيّل ثم ترى أمامها أنه في كل زيارةٍ لشارلوت لهم مع كولينز، أنَّ شارلوت كانت تخطّطُ مع كولينز لطردها هي وبناتها من المنزل بعد وفاة السيد بينيت.

كانت السيدة بينيت تشكوا لزوجها كثيراً صعوبة تقبّل أنها من الممكن أن تترك منزلها لشارلوت وكولينز، لمجرّد أن كولينز هو الوريث الشرعي لهذا المنزل، بعد وفاة زوجها حسب القانون، وكيف إنّ بناته الخمس سيحرمنَّ من هذا الإرث، بسبب القانون.

المجلد الثاني

الفصل الأول

وصلت رسالةُ الآنسة بينغلي أخيراً لتضعَ حداً لانتظار جاين واليزابيث للسيد بينغلي وأخباره. منَ الجُملة الأولى، أكدّت لهما الآنسة بينغلي، أخته، أنّهم سوف يبقونَ طوال فصل الشتاء في لندن، وختمت بأنَّ أخيها يتأسّف لأنّه لم يتسنّى له أن يودّع أصدقاءه الطيبين في هيرتفورد شاير، قبلَ رحيله إلى لندن.

أحسّت جاين بضياعِ أملها في السيد بينغلي تماماً مع قراءتها لبقية الرسالة، حيثُ أنّ الجزء الأكبر من الرسالة كان عن الآنسةِ دارسي، أخت السيد دارسي، وجمالها وثقافتها، وصفاتها الرائعة. حتى أن كارولين بالغت في وصفِ التقارب الكبير بينها وبين الآنسة جورجيانا دارسي، وأنّ هناك تقدّمٌ كبيرٌ في موضوع زواجها من أخيها السيد بينغلي. وكتبت أيضاً كيف أنَّ أخيها يقضي أغلب أوقاته في منزل السيد دارسي.

وأخبرت جاين أختها اليزابيث بكلِ ما جاء في الرسالة. استمعت اليزابيث إلى أختها، في صمتٍ وحزن، وقلبها ينفطرُ إلى قسمين، قسم منه حزين جداً على أختها وسعادتها، والقسم الثاني غاضبٌ جداً من كل الناس. كانت غاضبةً من ضعف السيد بينغلي وتهاونه في التضحية بحبيبته، من أجلِ أن يصلَ للتوافق الإجتماعي الذي يُرضي أهله وصديقه. غاضبةٌ من أنّه تركَ نفسه لعبةً

في أيديهم ليحرّكوه كيفما شاؤوا.

حزنُ اليزابيث كان شديداً جداً على أختها، وعلى قلبها الذي انكسر، والتي لم تستطع أن تكلّمها عن مشاعرها إلا بعد يومين، وذلك بعد خروج أمهما من المنزل.

أخبرت جاين أختها اليزابيث، عن ألمها الشديد خصوصاً أن أمّها تتكلم عن بينغلي طوال الوقت، وهذا ما يجرحُها كثيراً، لكنّها قرّرت أن لا تتدخل لتوقِف الحديثَ المستمّر، حتى تنساه أمّها بعد فترة.

كما أخبرت جاين أنها هي نفسها تستطيع نسيانه بعد فترة، حيث سيبقى ذكرى جميلة في قلبها فقط لا غير، ولن تلومه على خذلانِه لها. فهي تُريح نفسَها بفكرةِ أنّه لم يكن سوى حلمٍ من ناحيتها، وأنّه لم يؤذِ أحداً غيرها.

وقالت لها اليزابيث أيضاً: كم أنتِ طيبة يا حبيتي، وأفكارك بطابعٍ ملائكي، لا أدري ما الذي أستطيع أن أفعله لأخفّف عنك، وأنتِ الإنسانة الطِيبة التي تظن أنَّ كلَّ العالم طيّب وتدافع عنه، وترفض حتى أن يقال أنها طيّبة. إنني أكتشف كل يوم كم أن الناس غريبي الأطوار، ولا يمكن الوثوق بهم أو بمظهرهم الطيّب، كالذي حدث مع شارلوت، أمرٌ فظيع جداً.

- «حبيبتي اليزابيث، أرجو أن تبتعدي عن هذهِ الأفكار لأنّها ستؤذيكِ وتجرحُك فقط، من الممكن أنّ شارلوت أُعجِبت بكولينز، وربما ستكون سعيدةً معه».

- «وبالنسبة لبينغلي، كيف تسامحينه على عدم قدرته في الدفاع عن حبه لك، في وجهِ خططِ أخواته وصديقه، لأنّهم اختاروا له الثروة والعلاقات الإجتماعية، بديلاً عن سعادته معك».

- «لكن كيف تفكرين هكذا يا اليزابيث بأنّ كل الناس أشرارٌ ويخططون

بطرق دنيئة؟ إنّ هذا يجرحُني ويكسرُ قلبي أكثر، دعيني لأفكاري، بأنّهم طيبون وأنّ ما حصلَ كانَ خطئي أنا فقط لأنني تخيّلت وحلمتُ دونَ أن أتأكدَ من إمكانيةِ تحقيقِ هذا الحلم».

مرّت الأيامُ والسيدةُ بينيت لا تزال تفكّر كيفَ اختفى السيدُ بينغلي، وبأنّه سيعودُ بالتأكيد، حاولت الأختان أن تشرحا لها، إنّ الأمرّ كلّه أنّ بينغلي أُعجِبَ فقط بجاين، ولم يحبّها، وعندما لم يعد يراها، نسيَها. لكنّها لم تتفهم ذلك وبقي عندها الأمل في عودته.

أما السيّد بينيت، فقد فكّر بالموضوعِ بشكلٍ مختلف، وفي يومٍ قال لاليزابيث بأسلوبٍ يمزجُ بينَ الجديّة والسخرية: «إذاً أختك جاين، تظُّنُ أنّها منحوسةٌ في الحب، هذا شيءٌ جميل، حيث أنّ الفتيات تُحببن بالإضافة إلى أن يتزوّجن، أن تكنَّ منحوسات في الحبِ أيضاً، حيث أن هذا يميّزهنَّ عن بقيةِ الفتيات، ومتى يأتي دورُك أنتِ يا اليزابيث، فأنتِ عادةً تحبّين أن تكوني على خطى جاين، وهناك عددٌ من الضباط في ميريتون ما يكفي لبعث خيبةِ الأمل في كل فتيات البلد، لتختاري ويكهام فيكون حبيبك يا اليزابيث، فهو شخصٌ لطيف، وسوف يتخلى عنك بشكل جيد».

- «شكراً يا أبي، ولكن إذا وجِد أيُ رجلٍ أقل منه فسوف يُرضيني، ونحن لن ننتظر حظ جاين ليأتي فهناك من يركض خلفه».

- «هذا صحيح، والذي يطمئنكنَّ، أنّ عندكنّ أمٌ مُحبّة لن تهدأ أبداً حتى تحّلَ لكنَّ مشاكلكنَّ، أليس كذلك؟».

الفصل الثاني

بعدَ أسبوعٍ من الغرقِ في لوعات الحب والتمتع بالسعادة مع حبيبته شارلوت، أُستُدعي كولينز ليُحضّر نفسه للعودة إلى عمله في هانز فورد، على أمل أن تكون عروسه مستعدة للزفاف عند عودته للبلدة في المرة القادمة. ودّع كولينز إبن عمّه وفتيات العائلة، وتمنى لهنَّ السعادة، ووعد ابن عمه بإرسال رسالة له قريباً.

يومُ الإثنين الذي تلا سفر كولينز، استقبلتِ السيدةُ بينيت شقيقها وزوجته، اللذَين جاءا في زيارتهما المعتادة مثل كل عيد ميلاد.

يُعتبر السيد جاردنر، رجلاً عاقلاً وحكيماً، وتبدوعليه مظاهر العزِ والجاه أكثَر من أخته، لأنّه متعلمٌ ومثقفٌ. والأختان بينغلي إن شاهداه، لن تستطيعا تصديق أنّ رجلاً مثلَ السيدِ جاردنر الذي يعيشُ من التجارة، ويعيشُ بالقربِ من مستودعاته وبضائعه، من الممكنِ أن يكونَ رجلاً نبيلاً ومهذباً بهذه الطريقة.

أمّا السيّدةُ جاردنر والتي كانت أصغر منَ السيدةِ بينيت بعدةِ سنوات وأصغر من السيدة فيليبس، كانت جميلةً، ذكيّة وأنيقة، كما كانت محبوبةً جداً عند فتيات آل بينيت، وخصوصاً اليزابيث وجاين، حيث كانتا في بعض

الأحيان تسافران إلى لندن، لتقضيان وقتاً عندها.

عندما تصلُ السيدةُ جاردنر عادة إلى لونغ بورن، تبدأ بتوزيع الهدايا، ثم الكلام عن آخر صيحات الموضة، وبعد ذلك تبدأ في الإستماع إلى السيدة بينيت، والتي كان عندها الكثير لتشكو منه هذه المرة، خصوصاً ما حصل مع بناتها من خسارتهنَّ لفرصِ زواجٍ كانت قريبة، بالنسبة لجاين ولاليزابيث.

ولأنّ السيدة جاردنر متفهّمة ومثقّفة فقد جلست مع اليزابيث وجاين على انفراد، وبدأت تناقشهما فيما حصل معهما، وتفهمهما أنّ هذه الأشياء تحصل في كل الوقت مع الناس، وأنّ من الممكنِ أن يُعجب شابٌ بفتاةٍ جميلة، ثم ينساها بعد ابتعاده عنها، وقالت لاليزابيث، أنّها تتمنى لو أنّ ذلك الموضوع حصل معها وليس مع جاين، لأنّها قوية وتستطيع التحمل أكثر من أختها.

ثمَّ قالت السيدة جاردنر لاليزابيث: «هل تظنّي أنّ جاين ستقبلُ بالذهاب معنا إلى منزلنا عندما نغادر إلى لندن لو طلبنا منها ذلك، لأني أريدُها أن تتغلّب على مشكلتها وذلك بالإبتعاد عن مكان الأزمة التي تعرّضت لها؟».

فرحت اليزابيث جداً بهذا العرض، واعتبرت أنّه حل جميل جداً لأختها. كما أنّ السيدة جاردنر أكدت لها، انّه من المستحيل أن ترى جاين السيد بينغلي في أي مكانٍ عندما تذهب معهم لمنزلهم في ضواحي لندن، خصوصاً أن بينغلي ودارسي يقيمون في الطرف الآخر من المدينة، ومعارف آلِ جاردنر مختلفين تماماً عن معارف بينغلي. وهنا أكّدت لها اليزابيث أن بينغلي لا يخرج بدون صحبته للسيدِ دارسي أبداً، وأنّ دارسي يشمئزّ من ضواحي لندن كثيراً، وبالتالي لا يوجد سبب يجعلهما يذهبان إلى هناك. وهكذا تكون جاين في مأمنٍ من أن ترى بينغلي مرةً أخرى، ويتجدد أَلَمُها لفقده.

وافقت جاين على الذهاب مع خالها وزوجته بعد انتهاء عطلتهم، لتستطيع

أن تتعافى من إحساسها بالحزن والألم بسبب مشكلتها الأخيرة. وعزمت جاين على أن تزور كارولين بينغلي كصديقةٍ عزيزة فقط، عند وصولها إلى لندن، بما أن أخاها لا يسكن معها حالياً، وبالتالي لن تراه هناكَ عند قيامها بتلك الزيارة.

بقي الخالُ وزوجته لمدةِ أسبوعٍ في لونغ بورن، قضياها في التنقل بين منزل أخته السيدة فيليبس، ومنزل آل لوكاس. وتعرّفت السيدةُ جاردنر على الضبّاط عند أخت زوجها السيدة فيليبس، وكان من ضمنهم السيد ويكهام، الذي تذكّرت عندما رأته، أنّه كان جاراً لها قبل الزواج، منذ عشر سنوات، عندما ذهبت في زيارة لديربي شاير. ولاحظت بقلقٍ أنَّ اليزابيث كانت متعلّقة بويكهام كثيراً، والذي كان دوماً مع الأسرة سواء في لونغ بورن، أو في منزل السيدة فيليبس، وقد لاحظت ذلك من طريقة تصرفات اليزابيث وكيف أنها تنسى نفسها معه، ومن طريقة تعلق ويكهام بها أيضاً، وجلوسه بقربها كل الوقت والتحدث معها كثيراً. قلقت السيدة جاردنر من نتائج هذه العلاقة التي قد تتطور لتصبح علاقة حب، وذلك غير مناسب أبداً لاليزابيث، لذلك قررت أن تحذرّها من ذلك، حتى تتصرف اليزابيث بحكمة.

تكلّمت السيدة جاردنر، عن الوقت الذي تعرفت فيه منذ زمنٍ بالسيد ويكهام في ديربي شاير، وكيف عرّفها ويكهام وقتها بالسيد دارسي الأكبر، مالكِ قصر وأملاك بيمبرلي، وقد اندهشت هي من قوة العلاقة بينه وبين السيد دارسي الأكبر، والذي كان رجلاً طيباً جداً ومهذباً، مع أنّه لم تكن قد مرّت على إقامة ويكهام معه في قصر بيمبرلي إلا خمس سنوات.

تذكرت السيدة جاردنر أنها زارت وقتها السيد دارسي الأكبر في منزله، واستشفّت من أحاديثه، عن ابنه دارسي الأصغر، كيف أنّه ولد مغروراً وذا طبعٍ صعبٍ جداً، وهكذا تطابق كلام ويكهام عنه لاليزابيث مع ذكريات السيدة جاردنر، زوجة خالها.

الفصل الثالث

حاولتِ السيدةُ جاردنر أن تحذّر اليزابيث من علاقتها مع السيد ويكهام، بعدما لاحظت تعلّقها به، ولكنّها فعلت ذلك بطريقةٍ لطيفة وانتظرتِ الفرصة عندما أصبحتا لوحدهما. وقالت لها: «إنّك فتاة عاقلة ورزينة يا اليزابيث، ولا أظنُّ أنّك عندما يحذرك أحد من الوقوع في الحب لأسباب منطقية، قد تفعلين العكس، وتعاندين ذلك، ولذلك أنا لن أخشى التحدث معك بصراحة ووضوح يا اليزابيث، أريد منك أن تتعاملي بحذر في موضوع ويكهام، ويجب أن لا تتعلقي به عاطفياً، وأن لا تجعليه يتعلق بك كذلك».

وتابعت حديثها معها: «أنا ليس عندي شيء ضده يا اليزابيث، هو شابٌ محترمٌ ومهذب، ولو كان حصل على الثروة التي كان موعوداً بها، لكان أصبح زوجاً رائعاً لك، ولكن في الحقيقة، بالوضع الحالي، ويكهام لا يصلح للزواج منك، لذلك يجب أن لا تتركي نفسك فريسة للتخيلات والأحلام الجميلة معه».

واسترسلت قائلةً: «أنتِ عاقلة ومتزنة يا اليزابيث، لذلك نتوقّع كلّنا منكِ أن تتصرف في حسب ذلك. ووالدك يعتمد كثيراً على حكمتك وسلوكك الجيد، فأرجوك أن لا تخيبي أمله».

- «خالتي الحبيبة، كلامك بهذه الطريقة يعني أن الموضوع جديٌّ بشكل كبير، أليس كذلك؟».

- «نعم يا حبيبتي، ولذلك كان يجب أن أكلمك بجدية، لأنني أثق في عقلك وحكمتك».

- «إذا يا خالتي الحبيبة، لا تقلقي ولا تخشي من شيء لأنني سوف أصبُّ إهتمامي بأن لا أجعل علاقتي مع ويكهام تتطوّر، وأيضاً سأهتم أن أجعله يقلل من اهتمامه بي، وبالتالي لن يقع في حبي، ما دمت أستطيع منع ذلك من الحدوث».

- «أحسّت الخالة بالتهكّم في رد اليزابيث فقالت : اليزابيث أنتِ لست جدية، بهذه الطريقة».

- «عذراً إذا لم تفهميني، سأعيد صياغة كلامي، أنا حالياً لستُ واقعةً في حب ويكهام، أقولُ ذلك وأنا متأكدة منه، ولكنّ ويكهام في الحقيقة، بعيداً عن كل المقارنات بغيره، هو من أكثرِ الشباب الذين قابلتهم في حياتي وسامةً ولطفاً، ولذلك يجب أن أمنعه من أن يقع في حبي، لأتجنّب الخطر عليَّ من ذلك. آااه كم هو كريه ومقزز ذلك السيد دارسي الذي حرم ويكهام من ثروته، ووضعه في هذا الموقف.في الحقيقة، أنا سعيدة برأيِ والدي عنّي، وإنّه شيء مؤسف أن أخيّب أمله، ولكنه في الحقيقة متحيّز ضد السيد ويكهام لعدم وجود ثروة لديه، وأنا أكره أن أكون الشخص الذي يخيب أملكم جميعاً بي، ولكن بما أننا نرى يومياً الكثير من الشباب يقعون في الحب، دون التفكير بوجود الثروة من عدمه، فهل لكم أن تخبروني كيف أكون مختلفة عن كل الشباب الذين هم في مثل عمري، لو كنت قد وقعت في الحب؟ وكيف أستطيع أن أتأكد أنّه من الأفضل لي أن أقاوم وأصارع هذا الحب؟ كل الذي أستطيع أن أعدكم به هو أنني لن أكون متعجّلة، ولن أستغرق في

أحلام اليقظة عندما أكونُ معه، ولن أتمنّى ذلك الحب حتى. كل ما أستطيع أن أعدكم به، هو أنني سأفعل أقصى ما في وسعي، لكي لا تتطوّر العلاقة بيني وبين ويكهام».

- «حسناً يا حبيبتي، من الممكنِ أن تحاولي التقليل من زيارات ويكهام لمنزلكم، مثلاً بأن لا تذكّري أمك بأن تدعوه للزيارة والعشاء، كما تفعلين دوما».

ابتسمت اليزابيث وقالت لخالتها: «تقصدين كما فعلتُ البارحة، معك حق يجب أن أنتبه لذلك، ولكن لا تتصوري أنّه هنا دائماً عندنا، هو حضر كثيراً أثناء زيارتكم، لأنَّ أمّي تحب أن تدعو الكثير من الأصدقاء، عندما يكون عندنا ضيوف زائرين لنا. ولكن أعدُك بشرفي، بأني سأفعل المستحيل لأكون حكيمة في تصرفاتي في هذا الموضوع. والآن أرجو أن تكوني راضية!».

أكّدت السيدة جاردنر- زوجة خال اليزابيث- لها أنها راضية عن ردةِ فعلها تجاه الموضوع، ثم شكرتها اليزابيث على اهتمامها بها وعلى نصائحها، والتي كانت معطاة لها بطريقة لطيفة لا تستطيع أن ترفضها. ثم افترقا بعد ذلك.

عاد كولينز إلى هيرتفورد شاير بعد مغادرة آل جاردنر وجاين معهم إلى لندن، ولكنّه هذه المرة عندما جاء للبلدة، أقام في منزل آل لوكاس، وليس عند ابن عمه السيد بينيت كعادته، وذلك استعداداً ليوم زفافه على محبوبته وعروسه شارلوت. وقد حُدد الخميس يوم الزفاف.

حاولت السيدة بينيت أن تتقبل موضوع زواج كولينز وشارلوت، وبأنه لا مفر منه، وقد حاولت أن تهنئهما بطريقة غير لطيفة حتى، حين قالت لهما بجملة مواربة: «أتمنّى أنكما من الممكن أن تكونا سعيدين بهذا الزواج».

جاءت شارلوت يوم الأربعاء، قبل زفافها بيوم لتودع عائلة بينيت، ولكنَّ السيدة بينيت تعاملت معها بطريقة غير لطيفة أبداً، لذلك أحسّت اليزابيث بالذنب، ورافقت شارلوت وهي تغادر الغرفة، في طريقها إلى الخارج، وأثناء ذلك قالت شارلوت لاليزابيث: أرجو منك يا اليزابيث، أن نبقى على تواصل دوماً، وأرجو أن تأتي لتزوريني في هانزفورد، في منزلي.

- «سنتواصل بالتأكيد، ولكننا سنرى بعضنا هنا، في هيرتفورد شاير».

- «لكنني لن آتي هنا لوقت طويل، فأرجو أن تزوريني في هانز فورد، عديني بذلك».

لم تستطع اليزابيث أن ترفض، بالرغم من أنها توقّعت أن تكون الزيارة المرتقبة غير لطيفة بالنسبة لها.

وقالت لها شارلوت: «أن أبي وماريا أختي، سوف يزورانني في شهر مارس القادم، فأرجو أن تكوني في صحبتهما في هذه الزيارة، وأنا سأعتبرك كأنك واحدة من عائلتي في هذه الزيارة».

أقيمَ الزفافُ في الكنيسة، وغادر العروسان، كولينز وشارلوت من الكنيسة مباشرة، إلى مقاطعة هانز فورد، حيث منزل العريس. وسرعان ما أرسلت شارلوت رسالة إلى اليزابيث من هناك، واضطرت اليزابيث أن تردَ على رسالتها والرسائل التي تلتها بسرعة، من أجل صداقتهما القديمة، وليس من أجل إحساسها الحالي نحو شارلوت.

كانت الرسائلُ الأولى لشارلوت مليئة بالتفاصيل عن منزلها الجديد في هانزفورد وجماله وترتيبه، وعن جمال المدينة والحي والشوارع، وعن سعادتها بذلك وبلطف الليدي كاثرين وطريقتها الودودة مع شارلوت، لكن اليزابيث أحسّت حين قرأت الرسائل، أن شارلوت تكتب ما يتوقعه الآخرون عنها،

وليست الحقيقة أو الواقع، وكأنها أصبحت نسخة عن كولينز في طريقة وصف جمال ولطف الأشخاص والمكان. وقررت اليزابيث أنها ستعرف الحقيقة حين تزور المكان بنفسها.

استلمت اليزابيث أيضاً رسالة قصيرة من جاين أختها، تطمئنها فيها عن وصولهم بالسلامة إلى منزل خالها في لندن. وتمنت اليزابيث لو أن جاين في رسالتها الثانية ترسل لها أخباراً عن آل بينغلي، لو استطاعت أن تعرف شيئاً عنهم، وقد حصل ذلك، حيث أن جاين كتبت في رسالتها الثانية، أنها لم تعرف شيئاً عن كارولين لمدة أسبوع منذ وصولها إلى لندن، وبرّرت ذلك بأن رسالتها التي أرسلتها إلى كارولين وأخبرتها فيها بذهابها إلى لندن مع خالها، ربما ضاعت ولم تصلها.

وأخبرتها أيضاً أن زوجة خالها سوف تزور الجزء الآخر من المدينة غداً، وبالتالي سوف تذهب جاين معها لزيارة كارولين في بيتها.

وفي رسالتها الثالثة لاليزابيث، أخبرت جاين اليزابيث، أنها ذهبت بالأمس لزيارة كارولين، وأنها فرحت جداً بزيارتها، ثم لامتها لأنها لم تخبرها بوصولها إلى لندن. وبذلك تأكدت جاين بأن ظنها كان صحيحاً، بأن الرسالة ضاعت ولم تصل لكارولين. وسألتها عن أخيها السيد بينغلي، فأخبرتها كارولين أنهم لا يرونه إلا نادراً لأنه مشغول جداً مع دارسي. وعرفت أيضاً أن الآنسة دارسي، أخته، سوف تحضر للعشاء عندهم مساء ذلك اليوم. وكانت جاين تتمنى أن تراها، لكن زيارتها لهم كانت قصيرة، بسبب اضطرار كارولين وأختها للخروج من البيت وقتها. وكتبت أيضاً أنها تتوقع زيارتهم لها، في منزل خالها قريبا.

بقيت جاين أربعة أسابيع في لندن، دون أن ترى بينغلي أو تقابله، وأخبرت أختها أنها لا تهتم لذلك، ولكن الذي أحزنها هو عدم اهتمام كارولين

بوجودها في لندن، فلم تأتي لزيارتها عند خالها إلا بعد أسبوعين، وكانت زيارتها قصيرةً جداً، وحتى أنّ جاين لاحظت أن هناك تغيّر في معاملة كارولين لها أثناء الزيارة، وهنا اعترفت جاين لأختها، أنها كانت مخدوعةً بصفات الآنسة بينغلي واعتبارها أنها صديقةً لها، وتابعت: «وانقطعت كارولين بعدها عني أسبوعين كاملين، دون أي رسالة أو أي خبر. لكنّها البارحة جاءت فجأة، بزيارة قصيرة جداً، ويبدو عليها أنها لم تكن سعيدة بهذه الزيارة، واعتذرَت بشكل مقتضب،عن عدم إخبارها لي مسبقاً بهذه الزيارة، ولم تقل حتى أبداً أنها تريد رؤيتي مرة أخرى، كانت كأنها شخص آخر تماماً غير كارولين بينغلي التي عرفتها، حتى أنني قررت بعد مغادرتها، أنني لا أريد أن أراها مرة أخرى».

ومما قالته جاين في رسالتها أيضاً: «لقد فهمت من كلام كارولين، أن أخاها عرف بوجودي في لندن، ومع ذلك لم يحاول أن يراني أبداً، فتأكدتُ أنَّ ما حصل بيننا مجرد علاقة عابرة بالنسبة له، وأعتقد أنّه قد نسيني، كما حاولت كارولين أيضاً أن تنقل لي كيف أن أخاها مولع بالآنسة دارسي، وكأنها تحاول إثبات ذلك لنفسها، في الحقيقة إنني لا أفهم ما يحصل من تصرفات وأقوال منها، وأتمنى أن لا أكون قاسية في حكمي إذا قلت أنها تتعامل معي كأنها بوجهين. ولكنني بالرغم من كل ذلك سأحاول أن أبعدَ كل الأفكار الحزينة والسيئة عن تفكيري، وسوف أفكر فقط بالأشياء التي تسعدني، مثل حبك واهتمامك بي يا اليزابيث، وحب واهتمام خالي وزوجته. اكتبي لي أخبارك في أسرع وقت.

بالمناسبة، كارولين أخبرتني أن أخاها لن يعود إلى نيثرفيلد أبداً، وبأنه سيتخلى عن المنزل هناك، ولكن ذلك ليس أكيداً. دعينا لا نتحدث في هذا الموضوع. وأنا سعيدة أيضاً بالأخبار التي ذكرتيها عن شارلوت وكولينز،

ويجب أن تزوريهم في مارس كما وعدتيها مع السيد ويليام وماريا».

رغم حزن اليزابيث بهذه الرسالة من أختها، لكنها فرحت أن أختها أخيراً عرفت حقيقة شخصية كارولين وبذلك لن تخدعها بعد الآن. أما بالنسبة للسيد بينغلي، فقد فقدت كل الأمل به، وحزنت لأنها لم تفهم شخصيته منذ البداية وخدعت به. وتمنت لو يتزوج أخت دارسي، كعقاب له، حيث أنها لا زالت تذكر كلام ويكهام عن شخصية الأخت السيئة، والتي سوف تجعله يندم على ما خسره مع أختها جاين.

السيدةُ جاردنر لاحقاً أرسلت رسالة لاليزابيث، تسألها فيها عن ويكهام وما الذي حصل في الموضوع، وهل لا زالت ملتزمة بوعدها، فأخبرتها اليزابيث أن ويكهام تغيّر جداً عندما ابتعدت عنه قليلاً، وهي تظن أنه تعلق بفتاة أخرى، وأنها حتى لم تتأثر بذلك، عكس ما حصل معها في حالة شارلوت، لأنها تظن أنه لو كان عندها ثروةً كبيرةً، فسوف تكون هي خياره الوحيد. وبما أنها ليست كذلك، فلقد جذبته الآنسة كينج بثروتها ذات العشرة آلاف جنيه استرليني.

والغريب بالنسبة لها، أنها لم تلاحظ أن ويكهام لم يكن شخصاً يستحق الثقة، ورغم ذلك لم يؤثر ذلك عليها أبداً، بل بالعكس تمنت له السعادة، ولو أنها كانت تحبه حقاً لكانت أحست بنار الغيرة تقتلها من الآنسة كينج حبيبته الجديدة، ولكنها أيضاً لم تعنيها أبداً ولم تحس بالغيرة منها. أما بالنسبة لأخوات اليزابيث، ليديا وكاثرين، فإنهما صدمتا من تصرفات ويكهام، وأخبرت اليزابيث السيدة جاردنرفي رسالتها، أن أخواتها مسكيناتٍ لأنهن ما زلن صغيرات ولا يفهمن الحياة، ولا يعرفن بألاعيبِ الشباب مثل ويكهام.

الفصل الرابع

مضى شهرُ ينايروتلاه فبراير بشكلٍ سريع، وجاء شهر مارس، الذي كان يجب فيه على اليزابيث أن تذهبَ إلى هانزفورد لتلبّي دعوةَ صديقتها شارلوت وتزورها في بيتها هناك. تردّدت اليزابيث في البداية في الذهاب، لكنّ إصرار شارلوت في رسائلها جعلها لا تمانع في ذلك. خصوصاً بعدما شعرت بالشوق لرؤية شارلوت بعد هذه الشهور، وجعلها ذلك تحتمل أن ترى كولينز الذي باتت تشمئز منه.

عدة عوامل دفعت اليزابيث للسفر إلى شارلوت، منها أنها أرادت التغيير، خصوصاً أن أمها وأخواتها، لا يشتركنَّ معها بأفكارها، وأيضاً أنها من الممكن أن تمر على خالها في لندن، وترى أختها جاين في طريق سفرها. حيث أن هذه الخطة، في قضاء الليلة في لندن قبل مواصلة السفر مع السيد ويليام وابنته ماريا، إلى شارلوت في هانزفورد، أضيفت في آخر لحظة لخطةِ شارلوت السابقة.

الشيء الوحيد الذي أزعجها فيها، هو أنها ستفتقد أبيها، الذي سيشتاق لها كثير. وأثناء وداعها له طلب السيد بينيت منها أن تكتب له رسائل تطمئنه عنها، ووعدها بأنه سيقرأها.

ثم ذهبت لتوديع ويكهام، وتمنت له السعادة، وهو أيضاً تكلّم معها بشكل لطيف، لأنه لم ينس أنها كانت أول من أعجب بها في البلدة، وكانت لطيفة معه.

وبدأت اليزابيث الرحلة مع السيد لوكاس وماريا، اللذَين كانا لطيفين، لكنهما غير مثقفين أبداً. الرحلة كانت لمسافة ٢٤ ميلاً، وانطلقوا فيها باكراً حتى يصلوا الساعة الثانية عشر ظهراً إلى لندن، إلى منطقة شارع جرايس شرش، حيث يسكن خال اليزابيث، السيد جاردنر.

عندما وصلوا إلى هناك، كانت جاين واقفةً أمامَ النافذةِ تنتظر وصولهم، وعندما رأتهم ذهبت على الفور إلى الباب، لترحّب بهم. فرحت اليزابيث جداً عندما رأت أنَّ أختها جاين في أحسنِ حال، ثم جاءَ أولادُ وبناتِ خالها للتّرحيب بها. ومرَّ الوقتُ بشكل جميلٍ جداً، حيث ذهبوا للتسوّق نهاراً، وفي المساء ذهبوا إلى المسرح.

اغتنمت اليزابيث الفرصةَ لتكلّم زوجةَ خالها على انفراد، لتسألها عن أحوال أختها جاين، فحزنت عندما عرفت أنَّ جاين تحاولُ بجدّية نسيان بينغلي، لكنها تمّر بفترات صعبة في أحيان كثيرة من التفكير فيه وبمعاملة أخواته السيئة لها.

ثم سألت السيدة جاردنر اليزابيث، عن ويكهام، وهنأتها لأنها استطاعت أن تتغلب على أحزان تركِ ويكهام لها، وذهابه خلفَ فتاةٍ أخرى طمعاً في مالها. وهنا سألتها خالتها عن الآنسة كينغ وعن صفاتها وشكلها الخارجي، لكنّ اليزابيث رفضت الخوضَ في هذه التفاصيل، وقالت أنها فتاة لطيفة، وأنّ ويكهام لم يكن يلتفت لها من قبل، ولكنّها ورثت عشرة آلاف جنيه بعد وفاةِ جدّها، ولذلك طاردها ويكهام وطلب الزواج منها، وهي وافقت.

قبل أن تنتهي المسرحية التي كانوا يشاهدونَها في المسرح، تلقّت دعوةً لترافق خالها وزوجته في رحلةٍ ترفيهية مفتوحة في الصيف، وقال لها خالها: «لا نعرفُ بالضبط إلى أين ستأخذنا هذه الرحلة، ولكننا سنبدأ بمنطقةِ البحيرات».

لم تصدّق اليزابيث نفسها من فرطِ السعادة، من أنها ستذهب في رحلةٍ جميلةٍ كهذه، سيكون تغييراً شاملاً وجميلاً جداً لحياتها، وصرخت من الفرحة: «خالتي الحبيبة، خالتي الغالية، يا للسعادة، يا للبهجة، إنّك تمنحيني حياةً جميلة مليئة بالحماسِ والقوة، وداعاً لخيبة الأمل والكآبة، ما فائدة الحب والرجال، أمام جمال الجبال والطبيعة».

الفصل الخامس

كانَ كلُّ شيءٍ جديداً وسعيداً بالنسبة لاليزابيث في رحلتهم إلى هانز فورد في اليوم التالي، وكانت سعيدةً جداً لأنها رأت أختها جاين في أفضل حال، وحاولت التغلب على أحزانها، كما كانت فكرة الرحلة في الصيف مع خالها وزوجته إلى الشمال مصدرَ فرحٍ كبيرٍ لها.

حين غادرت اليزابيث مع السيد لوكاس وماريا في اليوم التالي إلى هانزفورد، كانوا يبحثون خلال طريقهم عن أبرشية ، حيث أنّه من الممكن أن يكون منزل كولينز وشارلوت، ثم رأوا أمامهم قصر آل روسينج، فعرفوا أنهم قد اقتربوا. ابتسمت اليزابيث في سرّها عندما تذكرت ما سمعت عن أصحاب القصر، ثم رأوا الأبرشية، وبعدها الحديقة التي في وسطها منزل كولينز، وعندما اقتربوا أكثر، رأوا شارلوت وكولينز في انتظارهم أمام باب منزلهم.

وقفت العربة أمام البوابة الصغيرة لحديقة المنزل، ودخلوا، وعندما وصلوا تعانق الجميع بطريقة عاطفية مؤثّرة. فرحت شارلوت كثيراً بحضور اليزابيث ورحبت بها بطريقة جميلة وحارة جداً، مما أسعد اليزابيث كثيراً.

لكنّ ابن عمها كولينز كان لا يزال على حاله قبل الزواج، بطريقتِهِ الغريبةِ تلك، وقد أوقفها لدقائق عند الباب يسألها عن أبويها وأخواتها وكل

التفاصيل، ثم بعد دخولهم، أعجبوا بالأثاث وبتفاصيل المنزل الجميلة، وكان كولينز يتوجه لاليزابيث بكل الكلام، وكأنه يريدها أن تعرف ماذا خسرت بعدم الزواج منه. وبالطبع اليزابيث لم تهتم لذلك، بل اندهشت من قوة شارلوت في أن تكون فرحة وسعيدة مع شخص كئيب مثل كولينز.

بعد ذلك دعاهم كولينز للتنزه في الحديقة، وكانت حديقة جميلة فعلاً، وهو يفتخر بأنه هو من يعمل بها ويشذّبها، وأثنَت شارلوت على أن ذلك تمرينٌ مفيد للصحة.

أثناء العشاء أخذ كولينز يتحدث عن الليدي كاثرين، وأن اليزابيث محظوظة لأنها ستراها في يوم الأحد في الكنيسة، وأنها ستحبها جداً، لأنها سيدة لطيفة ومهذّبة جداً، وقال: «أظن أنها سوف تدعوكم معنا لاحقاً إلى كل المناسبات في قصر روسينغ، فهي تعاملت مع شارلوت بشكل رائع منذ وصلنا، ونحن نتناول العشاء معها في القصر مرتين في الأسبوع. وهي لا تقبل أن نمشي في العودة للمنزل بل ترسل لنا العربة دوماً لتوصلنا، أقصد إحدى العربات خاصتها، لأنها تمتلك أكثر من عربة».

هنا تدخّلت شارلوت وقالت: «في الحقيقة فالليدي كاثرين، امرأة رائعة ومحترمة وحتى أنها جارة لا مثيل لها».

بعد العشاء وانتهاء الأمسية، ذهبت اليزابيث إلى غرفتها، وأخذت تفكّر في شارلوت وتتمنى أن تكون حقاً سعيدة مع كولينز.

في صباحِ اليوم التالي، وبينما كانت اليزابيث في غرفتها تستعدُ للخروج، والذهاب في نزهة، تناهى الى سمعها أصواتاً غريبة في الأسفل، وبعد قليلٍ صعدت ماريا، أخت شارلوت، وطرقت الباب وهي تتنفّس بصعوبة، وطلبت منها النزول للأسفل بسرعة حتى ترى شيئاً مهماً، ولم ترضَ أن تخبرها

ما هو هذا الشيء المهم، وحين وصلت اليزابيث إلى غرفةِ الطعام المواجهة للبوابة الخارجية للمنزل، طلبت منها ماريا أن تنظرَ للخارج من النافذة لترى المنظر هناك، وحين نظرت اليزابيث للخارج قرب البوابة، وجدت أن شارلوت وكولينز يقفان مع سيدة وفتاة صغيرة ويتحدثان، فسألت ماريا: «من تكونان؟»

فأخبرتها ماريا أن الفتاة هي ابنة الليدي كاثرين، والسيدة هي مربيتها، فضحكت اليزابيث، وقالت لها: «كل هذه الضجة بسبب إبنة الليدي كاثرين. ولاحظت اليزابيث، كم تبدو الفتاة نحيفة، مريضة وضئيلة، وسرحت بفكرها في دارسي، وضحكت حين خطر بفكرها فكرة زواجه من هذه الفتاة، إبنة خالته: نعم هو يستحقها، ستكونُ زوجة جيدة له -قالت في سرّها-».

بعد أن ذهبت الفتاة ومربيتها، رجعَ كولينز وشارلوت للبيت، وابتسم كولينز حين رأى الفتاتين، وأخبرهما أنهما محظوظتين، وعندما ظهرت علامات التعجّب على وجههما، أوضحت شارلوت: «إنه يعني أننا مدعوون جميعاً للعشاء في قصر آل روسينغ في مساء يوم الغد».

الفصل السادس

لقد أحسَّ كولينز بالتفوّق التام، نتيجة لتلك الدعوة للعشاء في القصر، أمام زواره، حيث أثبتَ لهم بذلك، مدى عظمة الراعية الخاصة به، ومدى اهتمامها به وبزوجته.

وأخذ يقول لزواره: «هذه السيدة، الليدي كاثرين، ليس لها مثيل، بأدبها وعطفها ورقتها، كنتُ أظنُّ أنها ستنتظر ليوم الأحد لتدعونا للشاي، بعد عظةِ الكنيسة، ولم أكن أتخيّل أنها سترسل دعوةً رسمية لنا للعشاء في القصر، بعد وصولكم مباشرة».

ردَّ السيد لوكاس وقال: «لست مندهشا أبداً من ذلك، نظراً لوضعي الإجتماعي، أعرف جيداً كيف تتصرف الطبقات الإجتماعية الأرستقراطية، وهذا التصرف ليس غريباً عليهم».

قضى كولينز بقية اليوم، وصباح اليوم التالي، يوضح لهم كيف يجب أن يتصرفوا، وأن لا يندهشوا من عظمة القصر، والأثاث، والخدم.

لاحقاً تكلّم مع اليزابيث على انفراد، وأخبرها أنها لا يجب أن تتأنق كثيرا في ملابسها، لأن الليدي كاثرين تحب أن تكون هي المتميزة في لبسها هي وابنتها.

حين ذهب الجميع ليرتدوا ملابسهم، وقفَ قرب أبواب غرفهم، يذكّرهم

بشكلٍ متكررٍ أن لا يتأخروا، لأن الليدي كاثرين لا تحب أن تتأخر في عشائها.

ثم مشى كولينز وضيوفه نصف ميل ليصلوا إلى قصر روسينغ، وكان الطقس لطيفاً، وكانت اليزابيث تستمتع بالمناظر الجميلة من حولها.

وعندما وصلوا إلى القصر، وصعدوا الدرجات إلى القاعة الرئيسية، اضطربت ماريا ووالدها قليلا من رهبة الموقف، لكن جرأة اليزابيث ساعدتها على تخطي الموقف، حيث أنه لم يكن يهمها لا المال ولا المركز الاجتماعي الراقي، ليجعلها تضطرب أمامه.

عندما وصلوا إلى القاعة الرئيسية، أوصلهم الخدمُ إلى القاعة التي كانت تنتظرهم فيها الليدي كاثرين وابنتها والسيدة جينكينز، المربية. وعندها وقفت الليدي كاثرين لتستقبلهم، وقامت شارلوت بالتعريف بالضيوف لليدي كاثرين. أحسَّ السيد لوكاس بالرهبة فحيّاها بانحناءة وجلس في مقعده دون أن ينطق بكلمة، وحتى ماريا شعرت بالرعب من الموقف، فجلست على حافة الكرسي وكادت تقع، ولم تعرف في أي اتجاه يجب أن تنظر، أما اليزابيث، فلم تحس أن السيدات الثلاث مختلفات عنها، لذلك تعاملت معهن بشكل طبيعي.

كانت الليدي كاثرين سيدةً طويلةً وضخمة، وملامحها حادة، ويبدو أنها كانت جميلة في يوم ما، لم تكن لطيفة في تعاملها، ولا في استقبالها لهم، وكانت تتكلم بلهجة آمرة كل الوقت، كأنها لتثبت أهمية مكانتها الاجتماعية.

وبعد أن تفحّصت الأمَّ وملامحها، ووجدت أن هناك تشابهاً بينها وبين دارسي، بعدها نظرت اليزابيث في الابنة نظرةً متفحصّة. كانت نحيفةً جداً وضئيلةَ الجسم، بعكس أمها في الملامح و بنية الجسد، فهي لا تتكلم إلا نادراً وبصوتٍ منخفضٍ جداً مع السيدة جينكينز، والأخيرة لم تكن ذات ملامح مميّزة.

بعد الجلوس لدقائق، طلبت منهم الليدي كاثرين، أن يذهبوا إلى النافذة

الكبيرة في الغرفة، ليتأملوا المنظر في الخارج، فأخذَ كولينز يشرح لهم جمالَ المناظر الطبيعية، وتكرمّت الليدي كاثرين بالقول أن المنظر في الصيف يبدو أجمل.

بدا العشاء رائعا كما وصف كولينز من قبل، بكل الخدم وأنواع الطعام اللذيذة والمتنوعة، وبدأ كولينز في الأكل، والتغزل بجمال ولذة أنواع الطعام واحداً بعد الآخر، وسانده في ذلك السيد لوكاس والد زوجته، الذي بدأ يتكلم مثله. حاولت اليزابيث أن تتكلم مع أحد، لكنها كانت تجلس بين شارلوت، المشدود انتباهها بالكامل نحو الليدي كاثرين، والآنسة دو بيرغ من الجهة الأخرى، والتي لم تتكلم ابداً معها طوال العشاء.

بعد انتهاء العشاء انتقلوا إلى قاعة الجلوس، حيث لم تتحِ الفرصةُ لأحدٍ منهم بالكلام ابداً، لأنهم كانوا يستمعون إلى الليدي كاثرين، تتحدث دونَ توقفٍ، ولم تصمت الا عندما جاء الخدمُ بالقهوة.

كانت الليدي كاثرين تتحدّث في كلِ موضوعٍ بشكل قاطع، وكأنها معتادة أن لا يناقشها أحد، حتى أنّها تتدخل في شؤون شارلوت المنزلية، وفي أدقِ التفاصيل، حتى في تربية الأبقار والدجاج عندها. بعد ذلك سألت ماريا واليزابيث بضعَ أسئلة، وأعطت ملاحظتها، أنّ اليزابيث فتاةٌ جميلة، وسألتها عن عائلتها، ثم أخبرتها أنها تعرف أنّ منزل عائلة بينيت سيصبح لكولينز بعد وفاة والدها، وقالت لشارلوت انها فرحت لها بذلك، ولكنها بالعموم، لا توافق أبداً على عدم توريث البنات، حيث أن زوجها الراحل كان قد غيّر الاجراءات القانونية في عائلته، ليورث ابنتها كلَّ أملاكه.

ثم سألت اليزابيث اذا كانت تجيدُ عزفَ الموسيقى وتغني، فأجابتها بالإيجاب، فأعجبها ذلك وقالت لها أنها ذات يوم ستعزف على الآلة الموسيقية المميّزة التي تملكها، وسألتها عن أدق تفاصيل حياتها وحياة أخواتها،

واستنكرت عدم وجود مربية في عائلة بينيت لتعتني بالبنات، وكيف أن جميع الأخوات يحضرن حفلات الرقص.

اندهشت الليدي كاثرين من أجوبة اليزابيث الناضجة، وهي ما زالت شابة صغيرة، فسألتها عن عمرها، لكن اليزابيث راوغت في البداية ولم تجب مباشرة، مما أثار غضب الليدي، ثم أخبرتها أن عمرها ٢١ سنة.

ثم جاء الخدمُ بأباريقِ الشاي المذهّبة، ووضِعت طاولاتُ لعبِ الورق، وتوزّع الجميع، وطبعا كانت طاولةُ الليدي كاثرين، تشهدُ فوزها وحدها كلَّ الوقت، بالإضافة إلى ثناء كولينزعليها بشكل مبالغٍ فيه.

بعد أن ملّت الليدي كاثرين وابنتها من اللعب، توقفت اللعبة مباشرة، وأمرت الخدم بإحضار العربة لتوصيل الضيوف إلى منزلهم، وهنا تدخلت شارلوت وجمعت ضيوفها ووقفوا لتوديع الليدي كاثرين وشكرها على كرمها.

وبمجرد أن صعد الجميع في العربة، ومشت بهم باتجاه المنزل، توجّه كولينز بالسؤال مباشرةً إلى اليزابيث، ليعرفَ رأيها فيما رأت أمامها، حاولت اليزابيث أن تجامل قليلا، حتى لا تتضايق شارلوت. لكن ذلك لم يعجب كولينز، بل كان من المفترض أنَّ اليزابيث يجب عليها أن تمدحَ الليدي كاثرين بشكل كبير، كالعادة أخذ هو المهمة على عاتقه في بقية طريق العودة .

الفصل السابع

بقي السيدُ ويليام لوكاس لمدةِ أسبوعٍ في هانزفورد، وعادَ بعدها إلى بلدته، بعد أن اطمئن أنّ ابنته شارلوت تعيشُ في أفضلِ حالٍ مع زوجها كولينز، ومع جيرانها المتميّزين.

أثناءَ وجود السيد لوكاس، كان كولينز يأخذه في جولات في المنطقة. ولكن بعد سفرهما، عاد الجميعُ إلى عاداتهم اليومية، وهكذا ارتاحت اليزابيث من صحبةِ كولينز كل الوقت، فهو عاد إلى روتينه اليومي، يقضي أغلب وقته في العمل في الحديقة، أو القراءة والكتابة.

لاحظت اليزابيث أنَّ كولينز لم يذهب لقصر روسينغ، لمدةِ أيام، ففكّرت اليزابيث أنّ هناك اموراً عائلية خاصةً عند الليدي كاثرين، لكن الليدي بقيت على اتصال معهم، وتأتي للزيارة كل مدة، وكعادتها تتدخل في الصغيرة والكبيرة في البيت، حتى في ترتيب الأثاث، في أنواع الطعام التي يجب أن تطبخ وكميّتها، في الخادمة، في ترتيب الحديقة، حتى أن الليدي تتدخل في حياة الفلاحين الموجودين في أرضِها، وفي منازعاتهم وطريقة حياتهم، وكأنها المسئولة عن الكون!.

كانت تدعوهم للعشاء عندها مرتين في الأسبوع، ورغم كل ذلك كانت

اليزابيث متأقلمةً على الحياةِ عند شارلوت، لأنها كانت تستمتع بحواراتها مع شارلوت، ولأن الطقس كان جيدا في ذلك الوقت من السنة، ولذلك كانت اليزابيث تذهب في نزهات تتمشى في الحدائق والحقول التي كانت في المنطقة حولهم، خصوصاً عندما كانت الليدي تأتي لزيارة شارلوت، فتخرج اليزابيث حتى لا تبقى معها.

كانت اليزابيث تفضّل الذهاب إلى طريقٍ تحوطه وتظلله الأشجار بين الحقول، حيث لم يكن يذهب إليه أحد، وبذلك تتخلص من رؤية الليدي كاثرين، ومن ملاحظاتها الآمرة كل الوقت، وتستمتع بجمال الطبيعة هناك. وبقيت تذهب إلى هناك يومياَ، لمدة أسبوعين منذ بداية زيارتها لكولينز وشارلوت.

اقتربَ عيدُ الفصح، وفي الأسبوع الذي سبقه، كانت هناك إضافةً عائليةً للأشخاص في قصر روسينغ، حيث حضر السيد دارسي في زيارة عائلية لخالته الليدي كاثرين. لم تتأثر اليزابيث بهذا الحدث ، مع أنها لا تطيق وجوده، لأنها كانت تريد أن ترى بعينيها تحطم أحلام الآنسة بينغلي في الزواج من دارسي. فهو سيتزوج إبنة خالته الليدى كاثرين. كانت اليزابيث تريد أن ترى كيف سيتعامل مع إبنة خالته.

كانت الليدي كاثرين سعيدةً جداً بحضور ابن اختها السيد دارسي، وتحدثت عنه وعن وصوله بسعادةٍ كبيرة، ولكنّها غضبت عندما علمت أن اليزابيث وشارلوت قد تعرفا عليه من قبل، ورأوه عدة مرات.

عندما علم كولينز بوصول السيد دارسي للقصر، سارع إلى الذهاب إلى هناك لتحيّته في صباح اليوم التالي، وقد حضر مع السيد دارسي شخص آخرمن أقرباء الليدي كاثرين. ابن خاله الكولونيل فيتزويليام. ابن اللورد فيتزويليام.

ولدهشةِ كولينز، فبعد أن ذهبَ لتحيتهم، طلب الشابان، أن يذهبا معه لمنزله، وعندما وصلوا إلى بوابةِ منزلِ كولينز، رأتهم شارلوت من النافذة، فاسرعت لتخبرَ اليزابيث، وتشكرَها، لأنّها تعلم أنّه لولا وجودها عندهم، لم يكن دارسي ليأتي إلى منزلهم.

وسرعانَ ما وصلَ الشبانُ الثلاثة ودخلوا غرفة الجلوس. كان فيتزويليام شاباً في الثلاثين من عمره، ليسَ وسيماً، لكنّه كان سيداً نبيلا بكلِّ ما للكلمة من معنى.

حيّا السيدُ دارسي، شارلوت واليزابيث باحترامٍ وتهذيب، ردَّت اليزابيث التحيةَ بشكلٍ مقتضب، ثم بدأ فيتزويليام الحديث بشكل تلقائي وعفوي، وبكل تهذيب. أما دارسي فلقد جلس طوال الوقت دون أن يكلّم أحدا، ما عدا قوله بضع ملاحظات عن البيت والحديقة. وأخيرا سأل دارسي اليزابيث عن عائلتها وعن أخواتها. فأخبرته اليزابيث أن أختها جاين في لندن منذ ثلاث شهور، وسألته اذا ما كان عرف بذلك.

كانت اليزابيث متأكّدة من خلال إحساسها، أنَّ دارسي كان يعلم بذهاب جاين إلى لندن، لكنها أرادت أن تتأكدَ بشكلٍ فعلي، وحين سألته اندهش وارتبك، وقال أنّه لم يحصل له الشرف ليرى أو يعرف أنّ الآنسة جاين في لندن، وصمتَ بعدها ولم يتكلّم بموضعٍ آخر، وتغيّر الحديث إلى أمور غير مهمّة أخرى ، ثم استأذن الشابان وانصرفا.

الفصل الثامن

لقد كان الجميعُ في الأبرشية، وفي قصرِ روسينغ، يقدّرون ويعتزّون بأخلاق وتهذيب الكولونيل فيتزويليام. وانشغلتِ الليدي كاثرين مع أقاربها، ولم تدعُ كولينز وضيوفه عندها في القصر، الا بعد وصول دارسي بأسبوع، حيث دعتهم لاحتساء الشاي في المساء، عندما رأتهم في الكنيسة، وكان من الواضح أن الليدي كاثرين، لم تكن تهتم بهم إلا لأنه لم يكن عندها أحد تتسلى معه من قبل.

عندما وصل كولينز وضيوفه لقصر روسيغ تمَّ الترحيب بهم في غرفة الجلوس مباشرة، وهناك بعد التحية، لم تهتم بهم الليدي كاثرين الا بشكلٍ نادرٍ جداً. حديثها طوال الوقت كان موجهاً لابني أخواتها فقط.

كان الكولونيل فيتزويليام سعيداً جداً بحضورهم، واهتم بهم كثيراً، خصوصا أنه كان يرغب بحضور أي أحد ليخلّصه من ملل الحياة بقصر روسينغ، وخصوصاً أنه كان قد أعجب باليزابيث وجمالها، عندما رآها لأول مرة، وظل يتحدث معها كل الوقت، بعد أن جلس بقربها، وأخذ يخبرها عن جمال بلدة هيرتفورد شاير وكنت، وعن السفر والتنقل، وتكلم عن الكتب وعن الموسيقى.

هذه العلاقة المستجدّة لفتت نظر السيد دارسي، حيث أن فيتزويليام كان يتحدّث مع اليزابيث لوقت طويل، ، كما أيضاً لفتت نظر الليدي كاثرين، التي سرعان ما تدخلت، وسألته عن الذي يتحدثان به كل الوقت.

فأخبرها فيتزويليام أنهما يتحدثان عن الموسيقى، فطلبت منه أن يتكلم بصوت عال، لأنها تريد أن تشارك في المحادثة، وقالت له: «أنا أحب الموسيقى جدا، ولا أحد في البلدة يحبها مثلي، ولو كان عندي الوقت كنت اصبحت خبيرة بها، حتى أن ابنتي، مثلي تحب الموسيقى جدا ولو كانت صحتها افضل من ذلك لكانت اصبحت خبيرة أيضا».

ثم التفتَت إلى دارسي وسألته عنه أخته جورجيانا، وكيف هي في عزف الموسيقى، فأخبرها بفخر، أن أخته ماهرة جداً وخبيرة في الموسيقى والعزف. طلبت منه خالته الليدي، أن يجعل أخته تتمرن على الموسيقى كل الوقت لتصبح محترفة، وأنها سترسل لها رسالة بذلك، وأن الليدي دوما ما تنصح الفتيات بذلك، حتى أنها نصحت اليزابيث أن تتمرن دوما، وبما أن السيدة كولينز ليس عندها بيانو في بيتها، فإن اليزابيث مرحبٌ بها دوما لتأتي لقصر روسينغ وتعزف وتتمرن في غرفة المربية السيدة جينكينز، وبذلك لا تكون عقبةً في طريق أحد.

أحسَّ دارسي بالحيرة من كلام خالته الليدي عن اليزابيث، ولذلك لم يعقّب على الموضوع.

بعد انتهائهم من شربِ القهوة، ذكّر فيتزويليام اليزابيث بأنها وعدته بأن تعزف له، فذهبت إلى البيانو وبدأت بالعزف مباشرةً، وجلس فيتزويليام بجانبها، وبعد أن مرَّ نصف الأغنية، بدأت الليدي تتحدث لدارسي دون توقف حتى قام من مكانه وتحرك باتجاه البيانو، حيث تعزف اليزابيث، وجلس بالقرب منها، بمكان يجعله يراقب وجهها وملامحها أثناء عزفها،

لاحظت اليزابيث ذلك، وما أن انتهت من العزف حتى استدارت إليه، وقالت له بابتسامة مصطنعة: «أعرف أنك تحاول إخافتي بفعلك ذلك، وبحضورك بقربي لتستمع لي يا سيد دارسي، ولكن لن يهمني ذلك، حتى لو كانت أختك تعزف أفضل مني، فأنا عندي عناد، يجعلني لا أخاف من الآخرين، مهما حاولوا إزعاجي».

ردَّ عليها دارسي وقال: «لن أخالفكِ الرأي، لأنني أعرفك جيداً، وأعرفُ أنّك تحبين أن تُطلقي أحكاماً على الآخرين، حتى لو كنتِ لا تؤمنين بها».

ضحكت اليزابيث من قلبها لهذه الصورة التي رسمها لها دارسي، واتجهت لفيتزويليام وقالت له: «إنَّ ابن خالك سوف يطلبُ منك أن لا تصدّق أي كلمة أقولها، لزعمه أنه يعرف جيداً كيف أفكر، وهو عنده فكرة ما عنّي، أنني غير محظوظة أبداً لأنني التقيت بشخص يستطيع أن يكشف شخصيتي بالكامل، في مكان بعيد عن بلدتي ومعارفي حيث كنت أظن أنني سأستطيع أن أحصل هنا على بعض التقدير ولكنّه جاء ليفضحني حسب زعمه. في الحقيقة يا سيد دارسي، إنه شيء غير لطيف منك أن تذكر كل ما ظننته ليس في صالحي عندما كنا في هيرتفورد شاير، واسمح لي أن أقول وبشكل غير مهذب أيضاً، أن ما تفعله الآن يستفزني لأثأر لنفسي منك، وما سأقوله الآن عنك سيصدم أقاربك».

ابتسم دارسي وقال: «إنني غير خائف منك».

فتحمّس فيتزويليام وقال:« اسرعي قولي لنا، أريد أن أعرف ما الذي ستتهميه به، أحب أن أعرف حقاً كيف يتصرف عندما يكون مع غرباء».

- «جهّز نفسك اذاً لتسمع عنه شيء فظيع، ففي أول مرة قابلته فيها في هيرتفوردشاير، كان ذلك في حفلٍ راقص، وفي هذا الحفل لم يرقص إلا أربع

رقصات، مع أن القاعة كانت مليئة بالفتيات اللواتي ينتظرن أدوارهن للرقص، مع العلم أنّه في حينها كان هناك نقص في عدد الرجال».

ردَّ دارسي: «لا تنكري أنني وقتها لم أكن قد تعرفت على أي سيدة هناك غير أخوات صديقي».

ردّت اليزابيث: «هذا صحيح، لكن عادة في حفلات الرقص، لا داعي لأن ترقصَ فقط مع من تعرفهم أليس كذلك ؟ وتابعت دون أن تعطيه فرصةً للرد:

والآن كولونيل فيتزويليام، ماذا أعزف على البيانو، فأصابعي مرهونة لإشارتك».

لكنَّ دارسي أكمل كلامه: «ربما كانت فرصتي بذلك ستكون أفضل، لو قدّمني أحد، فأنا لست ماهراً في تقديم نفسي للغرباء».

ثم أكملت اليزابيث كلامها مع فيتزويليام: «هل نسأل ابنَ خالك، ما الذي ينقصه ليقدّم نفسه، مع أنه رجل رزين، متعلم، وعنده تجارب في الحياة؟».

ردَّ عليها فيتزويليام: «سأجيبك أنا بدونِ الرجوع اليه، هو ببساطة لا يحب أن يُتعب نفسه».

أكمل دارسي: «أنا بالتأكيد ليس عندي الموهبة، في التحدث مع أشخاص لم أرهم من قبل في حياتي، حيث أني لن أستطيع أن أعرف اهتماماتهم، كي أستطيع أن أحدثهم بها».

ثمَّ تحدثت اليزابيث عن أنها لا تعزف بشكل ماهر على البيانو، لأنها لا تتمرن دائما، وهنا قاطعتهم الليدي كاثرين، وسألتهم عن ماذا يتحدثون، فأكملت اليزابيث العزف، فاقتربت الليدي كاثرين منها وأخبرتها، أنها يجب أن تتمرن أكثر على يد أستاذ موسيقى من لندن ليتحسن عزفها، وبالرغم من

أنها تعرف كيف تحرك أصابعها على البيانو، إلا أنّ ابنتها عندها ذوق أكبر في هذا المجال، لكنما ضعف صحتها، جعلها لا تتمرن كثيراً.

وهنا نظرت اليزابيث إلى دارسي، لترى كيف يتقبّل المديح في صفات ابنة خالته، فلم تلاحظ عليه أي اهتمام أبداً، ومن هنا توصلت لنتيجة، وهي أن الآنسة بينغلي لو كانت قريبته لكان تزوجها.

وبقيت اليزابيث تعزف على البيانو بناءً على طلبهم، والليدي كاثرين تعطيها تعليمات لتحسّن عزفها، حتى وصلت العربة التي ستأخذهم للمنزل.

الفصل التاسع

بينما كانت اليزابيث، جالسة لوحدها في المنزل، تكتبُ رسالةً لأختها جاين، حيث ذهبت شارلوت وماريا إلى سوق القرية لشراء بعض الأغراض، فاجأها صوت جرس الباب، وأخذت تفكر أنها بالتأكيد لم تكن الليدي كاثرين، لأنها لم تسمع صوت عربة.

وبينما كانت تضع رسالتها النصف مكتملة جانبا، حتى فُتح الباب فجأة واندهشت لرؤية السيد دارسي أمامها، وتفاجأ هو أيضاً عندما وجدها لوحدها، فاعتذر عن تطفله هكذا، وأخبرها أنه ظنّ أن كلَّ السيدات كانوا في الداخل. ثم جلسا وبدأت اليزابيث تسأله عن أحوال قصر روسينغ، وبعد أن انتهت الاستفسارات الروتينية ، فكّرت أنه يجب أن تتكلم في شيءٍ آخر، فقررت أن تتكلم عن آخر يوم لهم في هيرتفورد شاير.

قالت اليزابيث لدارسي: «لاحظت أنكم غادرتم نيثرفيلد بشكل مفاجئ وسريع في أواخر نوفمبر الماضي، وأذكر انكم لحقتم بالسيد بينغلي، في اليوم التالي لسفره إلى لندن. أتمنى أن يكون هو وأخواته بخير، عندما رأيتهم آخر مرة».

- «هم بخيرٍ جميعاً، شكراً لك».

ثمَّ أكملت اليزابيث مستفسرةً عندما وجَدَته قد صمتَ: «أظنُّ أنّني سمعت أن السيد بينغلي لن يعود لنيثرفيلد أبداً».

- «لم أسمعهُ يقولُ ذلك، لكنّه من المحتمل أنّه لن يذهب إلى هناك إلا في أوقاتٍ قليلةٍ في المستقبل، فقد أصبح عنده الكثيرَ من الأصدقاء والارتباطات، وهو في عمرٍ يجب أن يحتاط فيه من العلاقات الكثيرة والمتشعّبة ، لذلك فمن الأفضل لجيرانه هناك أن يقلّل من وجوده في نيثرفيلد، حيث لا يريد أن يستقر مع عائلته فيها، ولذلك لن أندهش، لو حاول أن يترك منزله هناك لمشترٍ مناسب، في أي وقت».

لم تتكلم اليزابيث أو تعلّق على الموضوع، حتى لا يكون كلُ كلامها عن صديقه، وقررت أن تترك له عناء إيجاد موضوع آخر للحديث.

وفهم السيد دارسي قصدها، فبدأ يتكلم عن منزل كولينز: «إنه منزل جميل هنا، حيث أن الليدي كاثرين، اعتنت بأن يكون مناسبا ولائقاً ومريحا للسيد كولينز».

- «نعم صحيح فالليدي كاثرين كانت من اللطفِ بحيث غمرت السيد كولينز بكرمها وعنايتها».

- «ويبدو أن السيد كولينز كان محظوظا بزوجته اللطيفة، السيدة كولينز».

ردّت اليزابيث: «نعم صحيح، فأصدقاؤه فرحوا جداً له، لأنه وجدَ واحدةً من النساء العاقلات القلائل اللواتي يقبلن الزواج به، وإسعاده، إن صديقتي السيدة شارلوت، إنسانة متفهمةٌ جداً، مع أنني لا أعتبر أنّ زواجها من السيد كولينز هو خيارٌ متعقلٌ، ولكنّها تبدو سعيدة معه».

- «يبدو أنها سعيدة، بأن زواجها، هو في منطقة قريبةٍ نسبياً لأهلها وأصدقائها».

- «قريبة؟ وهل مسافة ٥٠ ميلا هي مسافة قريبة؟»

- «وما الضير أن كانت ٥٠ ميلا؟، لا سيّما أن الطريق غير وعرٍ ، إنه سفرٌ يستغرق نصفَ يوم فقط، بالنسبة لي أعتبر تلك مسافة قريبة».

- «لم اعتقد أبدا أنّ قربَ المسافة، هو واحد من الأسباب المؤديةِ لنجاح زواجهم، بحسب اعتقادي، شارلوت لا تعتبر أنها تسكن قرب عائلتها».

ردَّ دارسي عليها: «كلامك هذا دليل على أنّك متعلّقة بهيرتفورد شاير، حيث أنَّ أي مسافةٍ تبعدك ولو قليلا عن لونغ بورن تعتبرينها بعيدة».

لاحظت اليزابيث أنّه كانت هناك ابتسامة على شفتي دارسي، أثناءَ حديثه، وظنّت أنّها بسبب اعتقاده بأن اليزابيث كانت تفكرُ بأختها جاين واستقرارها في نيثرفيلد، فاستدركت وقالت: «أنا لا أقولُ أنَّ الفتاة يجب أن تستقر في زواجها، قربَ منزلِ أهلها، حيث أنَّ هذا القرب والبعد، هو شيءٌ نسبي ويعتمدُ على عوامل كثيرة متغيرة، فحينما تكون لديك القدرة المادية على تحمل أعباء السفر فلا تعود المسافة تهم، وفي حالة كولينز وزوجته، فمع أن دخله جيد، الا أنه لا يُسمح له بالسفر المتكرر».

وهنا قرّب السيد دارسي كرسيه من اليزابيث وقال: «ليسَ لك الحق في أن تفكّري، في أنك يجب أن تكوني قريبة دوما لمنزل اهلك في لونغ بورن».

اندهشت اليزابيث من كلام دارسي، فلاحظ دارسي ذلك، لأنه أحس بتغييرٍ في مشاعره، فابتعد، وأخذ صحيفة من الطاولة التي قربه ونظر فيها قليلاً، ثم أخذ يسألها بطريقة رسمية: «هل أنت مسرورة هنا في كنت؟»

ودار حديثٌ مقتضبٌ عن المنطقة والطقس، سرعان ما انتهى بدخول شارلوت وأختها فجأة من الباب بعد عودتها من مشوارهما، اندهشت شارلوت جداً من وجود دارسي في البيت مع اليزابيث لوحدهما، وبّرر السيد

دارسي، بأنه جاء لأنه اعتقد أن الجميع في المنزل، ثم صمت ولم يتكلم مع أحد، وغادر بعدها بقليل.

بعد مغادرة دارسي، تكلمت شارلوت مع اليزابيث: «ما معنى هذا يا عزيزتي اليزابيث؟ إنَّ دارسي واقعٌ في غرامك، وإلا فأنه لم يكن ليحضر هكذا في زيارة غير رسمية».

حاولت اليزابيث أن تقنعها أنه لم يتكلم معها بشئ خاص أبداً، وطالت المناقشة بينهما، حتى اقتنعت شارلوت، أنه من الممكن أن يكون دارسي قد شعر بالملل في القصر، فجاء لزيارتهم.

ثم دار حديثٌ عن الكولونيل فيتزويليام وتهذيبه، وكونه إنساناً لطيفاً، ومعجباً باليزابيث أيضاً، وعند عودة الحديث عن دارسي لم تصلا لسبب معقول يجعله يزورهم.

بعد ذلك حاولت شارلوت أن تفهم ما اذا كان هناك هوى من دارسي اتجاه اليزابيث، ولم تستطع ذلك، رغم مراقبته كل الوقت.

الفصل العاشر

التقت اليزابيث بدارسي، عدّةَ مراتٍ، أثناء نزهاتها في الحقول حول المنزل، كانت تدهش من الصدفة الغريبة جداً التي تُحضر دارسي، إلى مكانها المفضّل والذي غالباً لا يأتي اليه أحد، فقررت أن تخبره أنه مكانها المفضل، حتى لا يأتي إليه مرةً أخرى ، وكانت الدهشة أكبر عندما رأته مرةً ثانية، وبل أيضا رأته مرة ثالثة. والغريب بالنسبة لها أنه كان يتمشّى معها عندما يصادفها هناك، بدل أن يستدير ويتركها. صحيح أنه لم يكن يتكلّم كثيرا، وهي أيضاً لم تبالي للحديث معه، أو تسمعه، لكنّه في لقائهم الثالث، تحدّث معها في مواضيعٍ غريبة، غير متصلة ببعضها، مثل سؤاله لها عن بقائها في هانزفورد وهل أحبت ذلك، وسؤاله عن رأيها في زواج السيد والسيدة كولينز، وعن حبها للتّنزه لوحدها، ثم سألها عن رأيها في قصر روسينغ، وكأنه كان يلمّح إلى أنها سوف تقيم هناك، فيما لو جاءت في زيارات قادمة. حينها أحسّت كأنه كان يشير ولو من بعيد عن علاقة ما قادمة بالكولونيل فيتزويليام، وهذا ما أزعجها.

وفي إحدى نزهاتها، وبينما كانت تقرأ رسالة اختها جاين ، وتتفكّر بها، رأت أمامها الكولونيل فيتزويليام، فقالت له: «لم أكن أعلم أنك تتمشى في هذه المنطقة».

أجابها بأنّه يقوم بجولته السنوية قبل ذهابه من كنت، وتمشّيا معاً باتجاه الأبرشية، وسألته عن إمكانية سفره يوم السبت، فأخبرها: «نعم بالتأكيد إذا لم يأخرني دارسي مرة أخرى، فهو يرتب كل الأمور كما يحب، وكما يلائمه فقط، فهو يحبُ أن يسيرَ كلُّ شيءٍ دوماً كما يرغب، ودارسي طبعاً يستطيع ذلك لأنه غنيٌّ وعنده من الأموال ما يساعده على تحقيق رغباته، بينما الابن الأصغر للإيرل (تعني لورد- لقب انكليزي)، فلا بد أن يتعلّم نكران الذات والإعتماد على غيره. ثم سأل اليزابيث: «هل جرّبتي يوماً نكران الذات والاعتماد على غيركِ وعدم قدرتك على أن تفعلي ما تريدين بسبب نقص المال معك؟ وأضاف أن هذه أسئلة عامة... ولا أستطيع القول أنني قد مررتُ بتلك التجارب، إلا أنّ الابن الأصغر مثلي، لا يستطيع أن يتزوج من يحب، إلا بحال كانت هذه الزوجة ثريّة، وخصوصاً أنّ منْ همُ في مثلِ مركزي الاجتماعي، يتعوّدون على مصاريفٍ معينة، لا يستطيعون أن يقلّلوا منها».

فكّرت اليزابيث، أنَّ فيتزويليام، يقصدها هي بهذا الكلام، ولذلك سألته بنبرةٍ مرحة: «وكم هو السعر المناسب للابن الأصغر لايرل؟ وماذا لو كان الابن الأكبر مريضاً جداً، لذلك لا أظن أن سعرك سيكون أكثر من ٥٠ الف جنيه استرليني؟»".

أجابها فيتزويليام بنفس الأسلوب الساخر، وأقفل الاثنين على الموضوع بعدها، وصمتا.

ثم قالت اليزابيث: «أظن أن ابن خالك قد أحضركَ معه، ليجدَ من يسلّيه، وأنا متعجّبة ، لماذا لا يتزوج، كي يجد من تقوم له بهذه المهمة؟ وأظنّه يتعامل بنفس الطريقة مع أختهِ، حيث يتحكّم في تصرفاتها بالكامل».

- «لا أبداً، فأنا شريكه في الوصاية على أخته، وهو لا يستطيع أن يتصرف لوحده دون الرجوع إلي».

- «أظنّ أنّ هذه مسئولية كبيرة عليكَ يا سيد فيتزويليام، خصوصاً أنَّ الآنسة دارسي في سن المراهقة، وإذا كانت مثل أخيها، فأكيد يصعب التعامل معها».

نظرَ فيتزويليام إلى اليزابيث بشكلٍ غريب وسألها: «كيف علمتِ أننا نجد صعوبة في التعامل مع الآنسة دارسي؟».

أجابتهُ بسرعة: «لا تخف أبداً من ذلك، فلَم أسمع أيَّ شئ سيئٍ عن الآنسة دارسي، وبالعكس أستطيعُ أن أقول أنّها محظوظة، فأنا أعرف سيدتين يحبانها ويمدحانها كثيراً، وهما الآنستين بينغلي، هل تعرفهما؟».

- «لا أعرفهما جيداً، لكنّي أعرفُ أخيها السيد بينغلي، وهو شابٌ مهذبٌ جداً ومحترم، وصديقٌ عزيز للسيد دارسي».

- «نعم حقاً فالسيد دارسي يحبُّ بينغلي كثيراً ويقرّبه منه طوال الوقت».

- «هذا صحيح ولكنّي أظنُّ لأن بينغلي مدين له بشيء ما، حسب ما أخبرني ونحن في طريقنا إلى هنا، لكن عذراً لن أستطيعَ أن أخبركِ ما الذي قاله، لأنَّ هذا شيء يخصّه، ولا أظنّه يريد أن يعرف أحدٌ ذلك».

- «أستطيعُ أن أؤكد لك أنني لن أقول أي شيء لأحدٍ عن هذا الموضوع».

- «قال لي دارسي، أنّه يهنيءُ نفسه، لأنه استطاعَ إنقاذَ صديقٍ له من عواقب زواجٍ سيءٍ وغير متكافيء، كان سيقعُ فيه، وهو لم يذكر أسماءَ أو تفاصيل، لكنّي خمّنتُ أنه بينغلي، لأنّ شخصيته تدلُ على ذلك».

- «وهل أعطاكَ دارسي أسبابَه لهذا التدخل في حياةِ صديقه؟»

- «أعتقدُ أنّهُ كان هناك اعتراضاتٍ كبيرةٍ على شخصية الفتاة».

- «وماذا كانت هذه الاعتراضات عليها، وكيف استطاع أن يقنعَه بذلك؟»

ضحكَ فيتزويليام وأخبرَها، أنَّ دارسي لم يحدّثه بالتفاصيل، وإنما كان هذا فقط ما قاله بالعموم. وصمَتت اليزابيث بعدها ولم تتكلّم، وأحسّت بألمٍ شديدٍ وحزنٍ بسببِ ذلك.

ثمَّ سألها فيتزويليام عن سببِ تأثّرها وشرودَها، فأجابت: «إنني أفكر بالفعلِ الذي قامَ بهِ ابنُ خالك، من الذي أعطاه الحقَ، ليكون القاضي ويتدخّل في الموضوع ويحكمُ على العلاقةِ من وجهةِ نظرِه، ربما كان صديقُه سيكون سعيداً مع فتاتهِ لو تزوّجها».

- «أنتِ هكذا تقلّلين من نتائجِ إحساسِ دارسي بالإنتصار في ذلكَ الموضوع».

انتبهت اليزابيث في أنّها لا يجب أن تتكلّم في الموضوع أكثر حتى لا يحسُ فيتزويليام بشيءٍ، فغيّرت الموضوع، وبمجرّد أن وصلا لبيتِ كولينز، ودّعته، وذهبت مباشرةً إلى غرفتِها.

أخـذت اليزابيث تفكّـر في كلِ ما قيل عن طريقةِ دارسي في إبعاد بينغلي عن أختها، وكيف أنّه كانَ السـبب الرئيسي لتعاسـةِ أختها جاين، الطيبةِ اللطيفةِ وكيـفَ كسَر قلبَهـا وجعلها تُعاني، لمجردِ أنّ كبرياءه أملى عليهِ أن يتدخلَ، وأن يمنع صديقَه من الزواج بجاين.

أحسّت اليزابيث بصداعٍ رهيبٍ بعد التفكير المطوّل في الموضوع، والذي سبّب لها الحزن الشديد ودفعها للبكاء، لذلك رفضت أن تذهب مع شارلوت وكولينز إلى قصر الليدي كاثرين، اقتنعت شارلوت عندما رأتها في تلك الحالة الصعبة وأقنعت زوجها بذلك.

وبعد ذهابهم، أخرجت اليزابيث رسائلَ جاين، ثم قرأتها من جديد، كلّ كلمةٍ تدلُّ على أنّ جاين تتعافى من جرحِ قلبها ومن حبها لبينغلي، لكنّها فقدتِ

روحها العفوية وجمال أسلوبها، وكلُّ ذلك بسبب كبرياء وغرور دارسي.

الفصل الحادي عشر

بعدَ ذهابِ شارلوت وكولينز إلى قصرِ روسينغ، أعادت اليزابيث قراءةَ رسائلَ اختها جاين عدةَ مراتٍ، وكأنها كانت تريدُ أن تكره دارسي أكثرفأكثر، كلّما لاحظت كيف تغيّرت أختها بعد معاناتها، بسببِ دارسي.

أحسّت اليزابيث بالراحة، لأن دارسي سيغادر هانزفورد خلالَ يومين، وأنها هي نفسها ستغادر وتكون مع أختها جاين خلال أسبوعين، وسوف تحاولُ أن تمنحها كلَّ الحبِ والعناية. صحيحٌ أنها تجدُ فيتزويليام لطيفاً ولا تتمنى ذهابه، لكنَّ ما العمل اذا كان مرتبطاً بدارسي هكذا.

وبينما كانت اليزابيث مستغرقةً في تفكيرها، سمعت جرس الباب، واعتقدت أنه ربما يكون فيتزويليام، فابتسمت لهذه الفكرة، وظنت أنه أتى ليسأل عنها.

لدهشتها، وجدت دارسي يقفُ أمامها حين فتحتِ الباب، ودخلَ بسرعةٍ وهو قلقٌ ويستفسرُ عن صحّتها، ويتمنى أن تكون بحالٍ أفضل. ردّت عليهِ بطريقةٍ مهذبةٍ ولكنها باردة نوعا ما. جلسَ قليلاً لبضعِ دقائق، ثم نهضَ فجأةً وأخذ يتمشّى في الغرفة، ثم توقف فجأة أمامها، وقال: «لقد حاولتُ بكل جهدي، أن أخفي مشاعري، لكن دونما أية فائدة، ولن أستطيع أن أضغطَ

على مشاعري وأمنعَها أكثرَ من هذا، يجب أن تسمحي لي بأن أقول لكِ، بأنني معجبٌ بكِ بجنون، وأنني أحبكِ!».

صُعقت اليزابيث من هذا الإعتراف الخطير، تغيّر لونها وحدّقت فيه بشكٍ، وبقيت صامتة، فاعتبر دارسي، أن هذا تشجيعٌ له ليكملَ كلامه، فأخبرها أنّه قد كافح نفسَه ليبعدَ هذا الحب من قلبه، بسبب كل العوائق الاجتماعية بينهما، وبسبب معرفته بالرفضِ القاطعِ لعائلته لأن يكون هناك بينهما أي ارتباط، لكنّ مشاعرَه نحوها كانت أقوى بكثيرٍ من كل تلك العوائق، وأنّ ذلك ما جعله يشعرُ بالألم والحزن دوماً.

أحسّت اليزابيث بالتعاطف معه، بالرغم من كرهِها الشديد له في داخلِ أعماقها، لأنها ببساطةٍ لم تستطع تجاهل كل تلكَ المشاعرِ الصادقةِ الجارفة، من شابٍ وسيمٍ متعلمٍ، ذو مركزٍ اجتماعي راقي جداً مثله، ونسيت للحظة خصومَتها معه، وشعرت بالأسف لكلِّ ذلك الألمِ الذي يُعاني منه، لكنّها عادت إلى عقلها، عندمَا تذكّرت كلامَه عن كونِها، أقلَّ منه اجتماعيا، وأنها لا تليق بعائلته، وها هو بعد اعترافه بالحب، أخذ يشرحُ لها وبصراحةٍ أسبابَ محاربته لذلك الحب في قلبه.

حاولت اليزابيث أن تصبّر نفسها وتستجمع قوتها، لتردَّ عليه في هدوءٍ وتهذيب، بعد انتهائه من كلامه. وبعد أن شرح لها كيف أنّه حاول المستحيل ليتخلص من حبه هذا ومشاعره نحوها، إلا أنّه وصلَ لقرارٍ بعد فشله في ذلك، وهذا القرار هو أن يتقدّم لطلبِ يدها للزواج. أخبرَها بكلِ ذلك بنبرةِ الواثق، وهو ليسَ عندَه أي شكٍ في أنّها سوف تقبل بعرضه.

بعدَ أن سمعتهُ اليزابيث لنهاية كلامه، بدأت في الرد عليه: «أظن أنه في مثل هذه الحالة، التي تكلّمت أنت بها، يجبُ على الطرفِ الآخرِ أن يرّد بشكلٍ إيجابي على عرضِك، حتى لو لم يكن الطرف الآخر عنده نفس القوةِ في المشاعر

مثلك. وإنه من الطبيعي أن أردَّ بايجابيةٍ، وحتى أن أشكركَ على تلك المشاعر والعرض الذي تقدّمت به، لكنني في الحقيقة لن أستطيعَ قبول عرضك ذلك، أو لا أقبله، لأنني لم أطلب أو حتى أفكّر بمثل ذلك العرض، ثانياً لأنّك أنت تعرض مشاعركَ لي بطريقةٍ أنتَ مجبر عليها، وضدّ رغبتِك، وأنا أعتذر لك لو كنتُ قد سبّبت لك الألم، حتى لو كان دون قصدٍ منّي، وأظنُّ أنّك تستطيع تقبّل هذا الألم لمرة أخيرة».

بدا دارسي شاحباً وغاضباً، من الدهشة، وهو يستمع إلى كلام اليزابيث الذي فاجأه، وبدا عليه الاضطراب، وإنْ حاول أن يبدو متماسكاً أمامها، ثم سألها بكل احترام وتقدير: «هل هذا فقط هو الرد الذي سأسمعه؟ هل لي أن أعرفَ الأسباب التي دعتك إلى رفضي، وإن كان التفسير غير مهم تماماً».

ردّت اليزابيث: «وهل لي أن أعرف أيضاً، لماذا اعترفتَ لي بحبّك بطريقة مهينة وغير مهذبة، وقلتَ أنه ضد إرادتك ومخالف لمنطقك، وأنه أيضا مخالف لشخصيتك، أليس في هذا الكلام عدم تهذيب؟ وأنا عندي أسباب أخرى تجعلني لا أوافق على طلبك، بالإضافة إلى مشاعري التي هي ضدك أيضاً. أليس من حقي ودون أي اعتبارات لثروتك ومكانتك، أن أرفض الرجل الذي حطم قلبَ أحب أخت إلى قلبي، ودمّر سعادتها للأبد؟ أنا عندي كلّ الحق والأسباب التي تمنعني من قبول عرضِك، ومن اعتبارك أنّك لا تستحقني، بعد تصرفك الغير عادل والسيء ضد أختي. لن تتجرأ أو تستطيع إنكار دورك السيء جداً في تفريق هذين الحبيبن عن بعض، وتدمير سعادتهما».

توقفت اليزابيث هنا ونظرت إلى دارسي، ولاحظت أنّ لونَه قد تغيّر، لكنّه لم ينطق بكلمةٍ ليبررَ فعلته، وكأنّه ليسَ عنده أي ندم أو تأنيب ضميرٍعلى ما فعله. ثم سألته: «هل تستطيع أن تنكر أنك من قام بهذا الفعل؟»

أجاب دارسي بهدوء مصطنع: «ليس عندي أي نية لإنكارِ أنني حاولت

بكل قواي، أن أمنع صديقي العزيز منَ الزواج بأختك، وأنني فرحت لذلك الإنفصال».

نظرَت اليزابيث إلى دارسي باحتقارٍ وقالت له: «ليس فقط هذا هو السبب في أني لا أحبُك، هناك أيضاً موضوع السيد ويكهام، الذي تصرفت فيه بشكلٍ سيءٍ جداً، ما قولك في هذا الموضوع، وبأيِ طريقةٍ ستوضح طريقة تعاملك معه؟»

- «انّك تهتمينَ كثيراً لموضوعِ هذا السيد، الذي يتميّز بسوءِ الحظ بشكلٍ كبير».

- «وأنتَ كنتَ السببَ في أنه انحدراه إلى هذه الحالة من المنصب الاجتماعي السيء، حتى وصلَ للفقر بسببكَ، لأنّك حرمته مما كان مخصصاً له».

أجابَ دارسي بغضبٍ: «هذه هي أسبابك اذاً لرفضي، وهي تبدو كما تقولينها بهذه الطريقة، أسباباً فظيعةً، لا أنكرُ ذلك، لكنني أريد أن أنبّهك إلى أنّك ما كنتِ ستقولينها هكذا، لو أنني اعترفت لك بحبي الآن دون أن أوضحَ لكِ الأسبابَ التي منعتني في البداية، أو لو أنني غازلتك وامتدحتُك ولم أذكر لك ما كانَ يؤلمني ويؤخّرني عن الإعتراف لك. لكنني أكره أن أكونَ بوجهين، وأن لا أقولَ الحقيقة، ولستُ خجلاً مما قلته لك الآن، لقد كان شيئاً طبيعياً بالنسبة لي، هل كنتِ تريدنني أن أكذبَ عليكِ وأخبرك أنني لا أخجل بعلاقاتكِ الاجتماعية وأقاربك الذين هم أقلّ مني مرتبةً اجتماعية؟»

أحسّت اليزابيث بالغضب أكثر من الأول من دارسي ومن كلامه الجارح، لكنّها حاولت أن تتماسك، وأن تردّ عليه بهدوءٍ: «سيد دارسي، أنتَ مخطئ لو كنتَ تظنُ أنني كنت سأقبل بك، حتى لو أنك اعترفت لي بحبك بطريقة لطيفة، ولم تقل لي الحقيقة، إذ إنّ مشاعري نحوكَ كانت في الأصل مشاعر

رفضٍ وعدم تقبّل، ولن يغيّرها شيء، وأنت مهما حاولتَ ، ولو بأي طريقة، فإنني لن أقبلَ بعرضك. يمكنني القول أنّه منذ البداية، وعندما رأيتك لأول مرة، كانت تصرفاتك تثبت لي شيئاً فشيئاً، أنك شخص مغرور ومتكبر، وتحتقر مشاعر الآخرين، ومنذ ذلك الوقت، وأنت تثبت لي مع تصاعد المواقف، أنك شخص لا تستحق محبتي، وبعد مرور شهرٍ فقط على معرفتي بك، كنتُ قد تأكّدت أنك آخرَ شخصٍ في العالم، من الممكن أن أقبل بالزواج منه».

- «سيدتي، لقد قلتِ بما فيه الكفاية لتعبّري عن رأيكِ في عرضي، ومن فضلك لقد فهمتُ رأيك ومشاعرك نحوي جيداً، وأنا أشعرُ الآن بالخجل الشديدِ من البوح بمشاعري نحوك، وأعتذرُ لكِ لأنني أخذتُ من وقتك. أتمنى لك السعادة والصحة الجيدة في حياتك».

بهذهِ الكلمات أنهى دارسي حديثه مع اليزابيث، ثمَّ غادر الغرفةَ بسرعةٍ، وسمِعَت صوت البوابة الخارجية للمنزل تُقفل وراءه بسرعة.

أحسّت اليزابيث بدوارٍ مؤلمٍ في رأسها، بعد ذهاب دارسي، جلَست في مكانها وأخذت تبكي لمدة نصف ساعة، أحسّت أنها مضطربة جداً وعاجزة عن التفكير. لم تستطع أن تتغلب على دهشتها في كل ما مرّ من حديثٍ بينها وبين دارسي. هل يعقلُ أنها تلقّت عرضاً للزواج من دارسي، وأنّه كانَ يحبُها إلى هذه الدرجة كل تلك الشهور الماضية! هل يُعقَلُ أنّه يحبها بشدةٍ لدرجةِ أن يطلب منها الزواج وأن يتناسى كل الفوارق الاجتماعية التي تفصلهما، والتي بسببها منَعَ بنفسه، صديقه من الزواج بأختها. ولكنَّ غضبها من غروره الكريه، الذي لم يمنعه من الاعتراف بأخطائه، وبأنه كسَر قلبَ أختِها، وبأنه أساءَ لويكهام، جعَلها تتغلبُ على مشاعرِ الحزنِ من رفضها لعرضِ الزواج من شخصٍ بمكانته.

بقيت اليزابيث في مكانها لوقتٍ طويل، تفكّر بالموضوع، حتى سمعت صوتَ العربة، وعرفت أنَّ شارلوت وزوجها قد وصلا، فأسرعت إلى غرفتها، حتى لا ترى أحداً.

الفصل الثاني عشر

إستيقظت اليزابيث في صباحِ اليومِ التالي وهي تفكّر في نفسِ الموضوع الذي نامت وهي تفكّر به، لم تستطع أن تتغلبَ على حالة الدهشة والاضطراب، فيما تفكّر بحوادث البارحة.

بعدَ الفطور قررت أن تذهب في نزهةٍ في الهواء الطلق لتريحَ أفكارها، وذهبت باتجاهِ مكانها المفضّل، وعندما تذكّرت أن دارسي كان يأتي لهذا المكان، غيّرت اتجاهها حتى لا تراه، وذهبت لمكانٍ مختلف بعيدٍ عنه .

أخذت تفكّرُ كيف أن الخمسة أسابيع التي قضتها في مقاطعة كنت، وتحوّل الطبيعة نحو الربيع وكيف بدأت الأشجار تزهر . وبينما كانت تتابع خلوتها، لمحت أنّ هناكَ رجلاً عند نهاية الدرب، فخافت أن يكون دارسي، لذلك تراجعت في مشيها، وغيّرت اتجاهها، وقبل أن تتحرك من مكانها سمعت صوتاً يقتربُ منها ويناديها، ورغم أنها عرفت صوت دارسي، إلا أنها اتجهت إلى مصدر الصوت تلقائياً، وكان دارسي قد وصل قربها، ويحملُ في يده رسالة، أخذت اليزابيث منه الرسالة بشكلٍ عفوي.

أخبرها دارسي بأنه كان يتمشّى هناك منذ مدة، على أمل أن يلتقي بها، ثم طلب منها أن تتنازل وتقرأ الرسالة. وبعد ذلك انحنى لتحيتها، واستدارَ ثم

مشى في الاتجاه المعاكس، واختفى.

فتحت اليزابيث الرسالة، لترُضي فضولها، ووجدت أن المغلف يحتوي على رسالتين، قد كتبتا كما الكلام على الظرف الخارجي، بخط متسرّع.

أكملت اليزابيث مشيها في الطريق، وأخذت تقرأ الرسالة، التي كُتبت في الثامنة من صباح اليوم في روسينغ، وقرأت:

{ أرجو أن لا تظني يا سيدتي، أنني سأعيد الكلام، أو العرض الذي ذكرتِه البارحة. إنني لا أنوي أن أؤلمك، أو أن أهين نفسي مرة أخرى.

أنا أريد فقط أن أوضح موقفي بالنسبة لموضوعين فظيعين، كنتِ قد اتهمتني البارحة بهما، الأول وهو أنني فرّقت بين أختك وحبيبها ومنعت زواجهما، والثاني وهو أنني قد خَذلتُ الشابَ الذي كان رفيقاً لطفولتي وشبابي، وكان شخصاً مفضَلاً عند أبي، لذا كان موعوداً برعايته المالية.

أعتقدُ أنّه من واجبي أن أشرحَ لكِ أسبابي في الأفعال التي اتهمتني بها البارحة، أولاً في موضوع أختك والسيد بينغلي، أخاف أن أشرح أكثر حتى لا أجرح شعورَك كما فعلتُ البارحة، لذلك أكتفي بالقول بأنني آسف جداً لذلك، غاية الأمر قد لاحظت أن بينغلي متعلقٌ بأختك، وبعدَ الحفل الراقص في نيثرفيلد، تأكّدت أنّه يريدُ أن يتزوجها، خصوصاً بعد الملاحظة التي ذكرها السيد لوكاس، عندما كنتُ أرقصُ معك، عن أن بينغلي سيتزوج جاين، وانّ هذا الزواج هو حتميٌ بالنسبة للجميع. وهنا بدأتُ أراقبُ بينغلي، واكتشفتُ أنّه متعلقٌ بجاين أكثر مما ينبغي، لكنني أيضاً لاحظت أن جاين معجبة به فقط، لكنّها من تصرفاتها كانت تبدو أنها غير متعلقة به بشكل كبير. ولذلك اعذريني، لأنني لاحظت أنّ درجة حب جاين له غير متناسبة مع درجة حبِّه لها، فتشجّعت على اجبار بينغلي على الابتعاد عنها، أمّا أنّه لو كنت أعلم بحبها

له ومع ذلك جعلته يبتعد عنها ، فلك الحق في أن تكرهيني.

وبالنسبة للأسباب التي جعلتني أبعدُ بينغلي عن جاين، فهي موجودةٌ في حالتي أيضا، ولا يمكن تجاهلها، وأنا مضطر أن أوضحها لك. بالنسبة لأقاربكم من جهة والدتك، فبالرغم من أنها مشكلة صعبة لمن يتقدم منكنَّ للزواج، ولكنها لا شيء مقارنة، بمشاكل أخواتك الثلاث الأصغر، وعذراً فيما سأقول انه ليؤلمني جدا أن أجرح شعورَك. لقد راقبتُ ولاحظت ليلة الحفلِ الراقص في نيثرفيلد، أنك وأختكِ جاين، كنتما تحاولان بشدةٍ، الابتعاد عن أسلوب عائلتك المعيب، والذي يجعل الشخصَ لا يريد الزواج منكنّ بسببه، وأنكما كنتما مختلفتين عن بقية أفراد العائلة. وسأشرح لك الآن ما حدث بالضبط، أنت تذكرين طبعاً، أنّ بينغلي كان سيغادر إلى لندن في اليوم التالي للحفل، وأنه وعدَكم أنه سيعود خلال يومين، لكنَّ دوري انا في الموضوع حصل كالتالي:

بعد سفره مباشرة، تكلمت أنا وأخوات بينغلي عن الموضوع، واكتشفتُ أنهما تفكران مثلي، في جعلِ بينغلي يترك جاين، لذلك تصرّفنا بسرعة ولحقنا به إلى لندن، وعندما وصلنا الى هناك حاولتُ أن أشرح وأوضح له مخاطر زواجه من جاين، لكنّه لم يقتنع وأصرَّ على الزواج منها، وقتها شرحتُ له أنني لاحظت أن جاين لا تحبّه، بعد مراقبتها في الحفل، وإنه حبٌ من طرفٍ واحد كان هذا هو الشيء الوحيد الذي أثّر فيه، وجعله يتأنى ولا يقدم على خطوة جديدة. والحقيقة أنَّ بينغلي يثق جداً بأحكامي ويصدّقني في كل ما أنصحه به، وهذا ما جعله يتراجع، ويرضى بالبقاء في لندن. وعندما جاءت أختك جاين إلى لندن، اتفقت مع أخته، على أن نخفي عنه ذلك، وكان الذنب في عدم رؤيته لجاين في لندن، هو ذنبي أنا. لقد جرحت مشاعر اختك وأعتذر لذلك، مع أنه لم يكن مقصوداً.

أما بالنسبة للذنبِ الثاني الذي اتهمتني به، وهو أنني آذيت السيد ويكهام، فإنني لا أعرف بالضبط كيف، ولكن سأشرح لك تاريخ علاقة ويكهام بعائلتي.

إن والد السيد ويكهام كان رجلاً محترماً جداً، ولقد أدارَ أملاكنا العقارية في بيمبرلي باخلاصٍ لسنواتٍ طويلة، ولذلك فإن أبي كان يحبّه ويقدّره كثيراً، لدرجةٍ أنّه كان يعامل ابنه جورج وكأنه ابنه، وحتى إنه كان عراب جورج، وكان يهتم بكل تفاصيل حياته، ولقد سانده في دراسته في المدرسة وفي الجامعة، حيث أدخله إلى كامبريدج، فيما لم يكن بمقدور والده المسكين أن يتحمّل تكاليف تعليمه ، بسبب مصاريف والدته الزائدة عن الحد، والتي جعلته فقيراً.

بالطبع كان والدي يحبّه ومتعلقٌ به، ويعتبره مثالاً للأخلاق النبيلة، لذلك كان يريده أن يلتحق بالكنيسة كعملٍ له، وكنت أنا مثل ابي أعتقدُ أنَّ أخلاقه نبيلة، إلا أنني اكتشفت مع الوقت، أنه يتظاهر بذلك فقط أمام أبي، لكن حينما يكون معي لا يهمّه لو عرفت بكل كذبه وادعاءاته.

كان أبي قد كتبَ له في وصيته مبلغ ١٠٠٠ جنيه استرليني، بشرط أن يستكمل تنصيبه كقسيس في الكنيسة، إلا أنّه بعد وفاة أبي غادر القصر، ثم أرسل لي رسالةً، بأنه يريد دراسة القانون بدلاً من تنصيبه كقسيس، ولذلك هو يريدُ زيادةً في المبلغ المخصصِ له، أي يريد ٣٠٠٠ جنيه، فصدّقته أنا في حينها، وأرسلتُ له المبلغ الذي طلبه، وعلمتُ بعدها أن دراسة القانون، كانت مجرّد ادعاءٍ، فيما هو قد أنفق جميع نقوده دون أن يتابع دراسته. ثمَّ أرسلَ لي يبلغني أنه يريد أن يعود للعمل في الكنيسة ويريد المبلغ الذي خصّصه والدي لذلك. طبعاً لم أصدّقه، بعد فعلته السابقة، ورفضت أن أعطيه المبلغ.

فما كان منه وحتى ينتقم مني، إلا أن خطّط ليهرب مع أختي جورجيانا

السنة الماضية ليتزوجها في السر، بمساعدة مربيتها التي تواطأت معه، ولكن عندما زرت أختي فجأة، اعترفت لي بما خططوا له، ففشل مخططهم. وسافر هو مباشرةً بعد ذلك، ولم يعرف أحدٌ بالموضوع، لأنني كنت أحاول أن أحمي سمعة أختي.

كان ويكهام يريد الحصول على ثروةِ أختي، وفي نفس الوقت ينتقم مني. وهو من بعد تلك الحوادث يشوّه سمعتي في كل مكان.

وهذه يا سيدتي كل التفسيرات للموقِفينِ اللذين سألتِ عنهما البارحة، واللذين سبّبا لك الأذى، ولم أستطع أن أجيبك عنهما البارحة، لأنني كنت مشوشاً ومضطرباً.

وأتمنى لو أنّك لا ترفضي تفسيراتي هذه، وتعذُرين تصرفاتي. وبإمكانك أن تتأكدي من كلامي هذا بسؤال ابن خالي الكولونيل فيتزوليام، فهو محيطٌ بكل هذه التفاصيل.

سوف أحاول أن أجد وسيلة لأسلمك هذه الرسالة في الصباح.

الشيء الوحيد الذي أضيفه هنا، هو فليباركك الله.

فيتزويليام دارسي }

الفصل الثالث عشر

لقد توقّعت اليزابيث منذ البداية، منذ أعطاها السيد دارسي الرسالة، أنّه يريد أن يجدّد العرض الذي عرضه البارحة، لذلك أخذتَها منه بسرعة، وبدأت في قراءتها بمجرد أن ذهب دارسي، وهي متشوقةٌ لتعرف مضمون الرسالة.

في البداية تعجّبت من أنه يعتذر، هذا يعني أنّه أخيراً فطن لبشاعة ما فعل مع أختها، وعندما لم يجد مبرراً مقبولاً أمام نفسه لجأ الى الاعتذار. ثمَّ قرَأت تفسيره لما حصل في نيثرفيلد في الحفل الراقص، لكنها زاد تحاملها عليه، و صارت متأكدة من أنّها لن تغفر له مهما قدّم من أعذار.

أما بالنسبة لتفسيره أنه لم يكن يعرف أن أختها واقعةً في حب بينغلي، فلم تصدّقه. وبالنسبة لتفسيراتِه عن سبب عدم موافقته على زواج جاين من بينغلي، ازدادَ غضبها جدا لتستطيع أن تعذره. وهو لم يبدِ أي ندمٍ على فعله، وهذا ما أرضى غرورَها، وأسلوبه لم يكن اسلوب نادم، بل اسلوب مترفعٍ، مليءٍ بالكبرياء والوقاحة.

وعندما وصلت لشرحه عن ويكهام، قرأت بتجرّد، اتبعت تسلسل الأحداث، فوجدت أنّ ويكهام لا يستحق التقديرَ بسبب أعماله، وملأتها مشاعرٌ متضاربة من الألم والغضبِ منه.

شعرت اليزابيث أنها لم تصدق شيئا مما جاء في الرسالة، فقررت أن تترك قراءتها لوقت آخر لا تكون فيه مضطربة إلى هذه الدرجة، حتى تفهم ما حصلَ حقاً.

حين أعادت قراءة الجزء المتعلق بويكهام، لاحظت أنَّ الجزء الأول ومعاملة السيد دارسي الأكبر، متطابقٌ في الروايتين، الاختلافُ بدأ في الوصية، وما تبعها، واندهشت أنها لم تعرف عن قصة ٣٠٠٠ جنيه من قبل، التي طلبها ويكهام، ليدرس الحقوق، وتخلّيه عن نصيبه في الوصية.

أخذت اليزابيث تُراجعُ كلمات ويكهام وتصرفاته وتناقضها، وكيف أنَّ ويكهام الذي أقسم لها أنّه لن يستطيع أن يشوّه سمعة السيد دارسي الأكبر، تحدّث لكل الناس بعد سفر دارسي، وأخلَّ بوعده ذاك، واندهشَت أنها لم تلاحظ ذلك من قبل، وتذكّرت حتى كلام الكولونيل فيتزويليام، عن أخت دارسي، كل الكلام كان متطابقا، وويكهام كان فعلاً شخص استغلالياً، يبحث عن المال في أي مكان، حتى لو لم يكن ذلك المال من حقه.

شيئاً فشيئاً، أخذت اليزابيث تلاحظ، أن كلام دارسي كان محقاً، وأنه لم يظلم ويكهام، وحتى بينغلي، فإنه المخطئ لأنه سمح لصديقه أن يؤثر عليه. تذكرت أيضاً أن دارسي، لم يكن سيئاً أخلاقياً، أو دينياً حتى، كيف أنها لم تكن تفهم صداقة الشاب الطيب بينغلي مع دارسي.

أدركت اليزابيث أنها كانت متحيزة، ومتعصبة بل حتى عمياء عن الحقيقة، بسبب تحيزها ضد دارسي، وأخذت تلوم نفسها، لأنها انجرفت وراء هذه الأفكار، وأن الغرور هو ما أعماها عن الحقيقة.

انّ أختها جاين حقاً لم تكن تظهر ما بقلبها من أحاسيس تجاه بينغلي، وهذه كانت غلطتها، التي أشارت إليها شارلوت أكثر من مرة، لذا فإنّ دارسي كان

عنده الحق فيما قال حول هذا الموضوع.

بقيت اليزابيث لمدةِ ساعتين تتمشى في المنتزه، وتعيدُ قراءة الرسالةَ كل فترة، وبعد أن شعرت بالإرهاق والتعب من ذلك، عادت إلى منزل كولينز، وبمجرد دخولها أخبروها أنَّ الشابين من قصرِ روسيغ قد أتيا في غيابها، وأن السيد دارسي جلسَ لعدة دقائق ثم ذهب، أما الكولونيل فيتزويليام فقد انتظرها لمدةِ ساعةٍ، ثم قرّر أن يذهبَ ليبحث عنها. فتأسّفت اليزابيث لأنّها لم تصادِفه.

الفصل الرابع عشر

غادرَ الشابان دارسي وفيتزويليام في صباح اليوم التالي، وذهبَ كولينز منذُ الصباح ليودّعهما وأخبرَ الجميع بعد عودته أنّهما كانا في أفضل حال، ومرحَين، خصوصاً بعدَ أن كانا في الأيام الماضية كئيبينِ بعض الشئ.

ذهبَ كولينز إلى الليدي كاثرين، ليخفّف عنها قليلاً بعد رحيل أقاربها، وعندما عادَ من هناك كانَ فرحاً، لأنَّ الليدي كاثرين قد أرسلت لهم دعوةً للعشاء عندها في القصر، لأنّها بدأت تشعرُ بالملل بعد رحيلِ دارسي وفيتزويليام.

ابتسمت اليزابيث مع نفسها، وتذكّرت أنّها لو قبلت بعرضِ دارسي، فإنها كانت ستُقَدَّمُ لليدي على أنها قريبتها الجديدة، وأخذت اليزابيث تضحك في سرّها، على ردة فعل الليدي كاثرين في هذا الموقف المتوقّع، والأخيرة تأمل في أن يتزوج دارسي ابنتها آن.

حين وصلَ الجميعُ لقصر روسينغ للعشاء، بدأتِ الليدي كاثرين في التحدث عن إبني أختيها، وكيف تفتقدهُما، وأنهما كانا أيضاً متعلقين بها وبقصر روسينغ. ثم انتقلت للحديث مع اليزابيث، وطلبت منها أن تأخذ الإذن من والدتها لتبقى في هانزفورد أكثر من ذلك، بما أنَّ اليزابيث أعجبها

المكان، وشارلوت تبدو عليها السعادة بوجودها.

شكرتها اليزابيث لتلك الدعوة، لكنّها أخبرت الليدي أنها لن تستطيع البقاء أكثر، لأنها يجب أن تكون في منزلِ أهلها يوم السبت القادم.

اعترضتِ الليدي على ذلك، لأنها توقعت أن تبقى اليزابيث في مقاطعة كنت، لمدة شهرين على الأقل، وليس لمدةِ ستةِ أسابيعٍ فقط، كما هي الحال الآن. وقالت لها: «ليس هناك أي مناسبة في هيرتفورد شاير تستدعي ذهابَك بهذه السرعة، وأظنُّ أن والدتَك السيدة بينيت تستطيع أن تنتظر أيضاً لأسبوعين حتى تعودي إليها».

- «ليست والدتي هي السبب، بل أبي، لأنه كتبَ لي رسالة الاسبوع الماضي، وطلب منّي أن أعود للمنزل بسرعة».

ردّت الليدي كاثرين: «لكنّ والدك يستطيع أن ينتظر قليلاً، ما دامت والدتُك تستطيع انتظار عودتك بعد ذلك، وكما هو معروف فإنَّ البنات لسنَ بذات الأهمية للأب، مثلما هنَّ للأم، ولو بقيتي هنا لمدة شهر زيادةً عن موعدك، أستطيع أن آخذك معي إلى لندن، لأنني سأذهب لهناك لمدة أسبوع، في أوائل يونيو».

أجابت اليزابيث: «أشكر لطفَك سيدتي، لكني أظن أنني يجب أن ألتزم بالمخطط الأول لرحلتي».

وعندما لم تقبل اليزابيث بالعرض، استسلمتِ الليدي كاثرين، ولكنّها طلبت من شارلوت أن ترسلَ مع أختها واليزابيث، خادماً ليُرافقهما في رحلة العودة إلى هيرتفورد شاير، فمن غير الملائم أن تسافر شابتين لوحدهما في الطريق. وهي قد فعلت نفس الشيء مع ابنة اختها جورجيانا دارسي، التي ذهبت إلى رامسجيت الصيف الماضي، وأرسلت معها خادمين ليحرسانها، لأنَّ

هذا فقط ما يليقُ بمقامها، على حدِّ قولها.

أجابت اليزابيث: «إن خالي سوف يرسلُ لنا خادماً، ليسافرَ معنا في رحلة العودة».

- «خالك؟ عنده خادم؟ هذا رائع أن هناك شخصاً غيري يفكر في مثل هذه الأشياء التي تقلِقني».

وهكذا سألت الليدي كاثرين، اليزابيث الكثيرَ من الأسئلة لتطمئِن عليها في رحلةِ عودتها، وحاولت اليزابيث أن تكون صافية الذهن، وأن لا تسرح بخيالها لتجيبها بطريقةٍ لائقة. فهي تعتقدُ أنَّ التفكيرَ في المواضيع الخاصة، يحتاجُ لأن يكون الشخصُ لوحده، حتى يسرحَ جيداً ويفكّر فيها. فرسالة دارسي، حفظتها وحفظت كل جملة فيها، من كثرة ما قرأتها وفكّرت فيها.

أخذَت اليزابيث تفكّر بكلامِ دارسي، عن والدَيها وأخواتَها الثلاث الأصغر، وكيفَ أنَّ أباها يدلّلهن ويسمحُ لهنَّ ولوالدتها بقولِ وفعلِ ما يحببنَ دون أيّ قيود، وهذا ما يجعل اليزابيث وأختها الكبرى جاين خجلاتٍ من تصرّفات عائلَتهن، ومهما حاولتا تغييرهذا السلوك في العائلة، فلم تقدرا على ذلك.

يمكنُ القول أنَّ جاين فقدت أملها في الزواج من بينغلي والسعادة معه، بسبب افتقاد أسرتها لقواعد اللياقة الاجتماعية كما يجب أن تكون حسب كلام دارسي، وهذا بدوره أثّر على بينغلي الذي يثقُ به صديقه المقرّب.

في أسبوعها الأخير في كنت، قضت اليزابيث أغلب أوقاتها في قصر روسينغ بناءً على دعوات الليدي كاثرين المتكررة، وفي الليلة الأخيرة لها قبل السفر، كانت اليزابيث هناك مع كولينز وزوجته على العشاء، وحاولت الليدي أن تتساءل مرةً أخرى عن التفاصيل الدقيقة لسفر اليزابيث وماريا اخت

شارلوت إلى بلدتهما.

ودّعت الليدي كاثرين اليزابيث وماريا، وقدّمت لهُما دعوةً بالعودة إلى هانزفورد في العامِ الذي يليه، ثم ودّعتهما بتأثرٍ، وحتى ابنتها الآنسة دو بورغ ودّعتهما برفعِ يدها تحيةً لهما.

الفصل الخامس عشر

التقت اليزابيث مع ابن عمِها كولينز على مائدةِ الإفطار، قبل أن يحضر البقية، صباح يوم السبت، وهنا ودّعها كولينز بكلماتٍ وداعيةٍ لائقة، ثم شكرَها كثيراً لحضورِها لزيارتِهم، وأخبرها عن سعادته هو وشارلوت بهذه الزيارة التي يقدّرانها كثيراً، خصوصاً أنّه يظنُّ أنّ منزلهما الصغير والمنعزل عن العالم، لن يعجب أيُّ شابة متألقة مثل اليزابيث.

شكرَته اليزابيث لحسنِ الضيافة، وأكّدت له أنها كانت سعيدة جدا بهذه الزيارة وباقامتها معهما، وباهتمامه الكبير هو وزوجته شارلوت بها وبأمورها.

كان كولينز سعيداً جداً برد فعل اليزابيث، وذكّرها أن زياراتِهم المتكررة إلى قصرِ روسينغ واهتمام الليدي كاثرين بها، لا بدّ أنّها خفّفت من مللِ الإقامة في هانزفورد. ثم طلبَ منها أن تنقل انطباعها عن الزيارة وعن حياتِه مع شارلوت إلى أهلها. وأخبرَها أنّه سعيداً جدا مع شارلوت، التي يعتقد أنّه محظوظٌ جداً بالزواج منها، بسبب أنّ طريقة تفكيرهما متطابقة، وكأنّهما قد خُلقا لبعضهما.

ثم وصلت العربةُ التي سيسافران بها، وُضعتِ الأمتعةُ هناكَ، وبدأ الوداعُ المؤثر بين الأصدقاء، ورافق كولينز ابنةَ عمّه اليزابيث إلى العربة، وودّعها

وأرسلَ التحيةَ لعائلتِها، ووصّاها أن تنقلَ جزيل الشكر لعائلتها على حسنِ اهتمامهم بهِ عندما زارهُم من قبل.

أثناء إغلاق باب العربة استعداداً للانطلاق، أوقفهما كولينز ليخبرهما أنهما نسيتا إرسال التحية والشكر لليدي كاثرين، على حسنِ ضيافتها لهما، وهنا أخبرته اليزابيث أنهما شاكرتان لها بالطبع، وأغلقَ باب العربة، وانطلقوا في رحلتهم .

وصلت العربةُ إلى لندن، إلى منزل خال اليزابيث السيد جاردنر، بعد أربعِ ساعاتٍ من السفر، وهناك كان مخططاً أنَّ الفتاتين ستبقيان لعدةِ أيام في ضيافته.

كانت جاين في حالةٍ جيدةٍ، وحاولت زوجةُ خالهما الترفيه عنها وعن اليزابيث بشكلٍ كبير، قبل أن تعود جاين مع اختها اليزابيث إلى هيرتفورد شاير.

حاولت اليزابيث أن تخبر جاين أختها عن عرضِ دارسي لها الذي رفضَته، دون أن تدخلَ في التفاصيل، حتى لا تذكر اسم بينغلي، وتضطر لتقول لها اي شئ عنه. قررت أن تخبرها بالباقي في منزلهما في لونغ بورن عندما تصلان إلى هناك.

الفصل السادس عشر

تحرّكت العربة متوجهة إلى هيرتفورد شاير من منزل السيد جاردنر في لندن، في الاسبوع الثاني من شهر مايو، وعليها الآنسات الثلاث، وعند المكان المحدد لالتحاق الفتيات الثلاث بعربة والدهن السيد بينيت، وجدنَ الشقيقتين ليديا وكاثرين في انتظارهنّ، وقد أعدَدنّ لهن مفاجأةً بحضورهما هكذا بلا موعد، ودعونَهنَّ على العشاء في مطعم فاخر، بعد أن اخبرنهنَّ أنهن يجب أن يقترضن منهن النقود ثمناً للعشاء، فكاثرين وليديا قد اشتريتا الكثير من الاغراض في ميرتون، ولم يبق معهما نقود.

ثمَّ اخبرتهما ليديا، أنَّ فرقة الجنود سوف تغادرميريتون خلال أسبوعين، وأنهم سوف يذهبون إلى برايتون لاقامةِ معسكرهم هناك، وأن ليديا تريد أن تطلب من أبيها، بأن تذهب العائلة إلى برايتون لفترة الصيف. وافقت اليزابيث على اقتراح ليديا بمرح، وقالت: «لم لا، سوف تكون رحلة ممتعة إلى هناك».

بعد أن جلست الفتيات إلى طاولة العشاء، قالت ليديا: «عندي أخبار لكما، وهي اخبار مهمة، عن شخص نحبه جميعا؟»

نظرت اليزابيث وجاين إلى بعضهما البعض وسألتا: «وما هي هذه الأخبار؟»

ضحكت ليديا وقالت: «إنّها عن السيد ويكهام، حيث لم يعد هناكَ خوف عليه من أن يتزوج الآنسة كينغ، لأنها ذهبَت لتعيش مع عمها في ليفربول، وهكذا ويكهام في أمان منها».

ردّت اليزابيث: «والآنسة كينغ في أمان من ويكهام أيضاً، ذلك الذي كان يريد الزواج منها لثروتها فقط».

وبعد أن انتهت الفتيات من الطعام، ذهبنَ وركبنَ العربة، وضحكت ليديا، لأن العربة ازدحمت بوجود الفتيات الخمس وأغراضهن جميعاً.

وبدأت ليديا بالثرثرة، وسألتهما عن أخبارهما و إذا كانتا قد قابلتا سادةً محترمين، أو حتى أيّ شاب مناسبٍ للزواج، خصوصاً أنّ جاين سوف تصبحُ عانساً قريباً وفقاً لرأي ليديا، لأنّها ستصبحُ في الثالثة والعشرين من العمر. وبالنسبة لاليزابيث، فإنها قد أخطأت حين لم تتزوج كولينز، وهكذا استمرت ثرثرة ليديا وكيتي طوال الطريق حتى وصلنَ إلى لونغ بورن.

كان الاستقبالُ حاراً هناك ، فرحت السيدة بينيت وابتهجت كثيراً برجوع جاين بصحةٍ جيدة، وفرح الأبُ كثيراً بعودة ليزي.

كانت عائلة لوكاس مدعوةً أيضاً للعشاء عند آل بينيت ليستقبلوا ابنتهم ماريا، وليعرفوا آخر الأخبار.

وبعدَ العشاء، قرّرت ليديا أن يذهبوا إلى ميريتون، لكنّ اليزابيث اعترضت على ذلك، لأنها تخشى أن ترى ويكهام هناك، فهي قد قرّرت أن تتجنب رؤية ويكهام على قدر استطاعتها، وخصوصاً أنَّ فرقتهم ستنتقل منَ البلدة بعد اسبوعين، وهذا ما جعلها تحسُّ بالراحةِ الشديدة.

وفي المساء، كان موضوعُ ذهابهم إلى برايتون للصيف، الذي اقترحتهُ ليديا، يناقشُ بين الوالدين، وإن كان السيد بينيت لم يستسلم ولم يوافق، وحتى

السيدة بينيت كانت مترددة ولم تعطِ موافقتها أيضاً.

الفصل السابع عشر

لم تستطع اليزابيث أن تنتظر أكثر من ذلك لتخبر جاين عن أخبارها، لذلك في صباح اليوم التالي، حدّثتها عن ما حصل بينها وبين دارسي، متجنبة أن تذكر اي شئ عن السيد بينغلي.

حزِنت جاين لأنَّ السيد دارسي لم يعرف كيف يوصل مشاعره بشكلٍ جيد لاليزابيث، ممّا اضطرّها أن ترفضه، وتعاطفت معه بسبب الألم الذي أحس به، بسبب رفضها له، وأيضاً اعتبرت أن طريقته في عرض الزواج على اليزابيث وهو يُظهِرُ أنّه واثقٌ من موافقتها على ذلك، كان خطأً كبيراً بالتأكيد، حسب رأي جاين.

ثم طلبت اليزابيث من جاين أن لا تلومَها لرفضها عرض دارسي بالزواج، فأجابت أختها أنّها لا تلومها أبداً لذلك.

قالت اليزابيث: «لكنّك تلومينني لأنني دافعتُ عن ويكهام من قبل، أليسَ كذلك؟»

- «لكنّني لم أعلم أنَّ كلامك عن ويكهام، لم يكن مصيباً يا اليزابيث!».

- «سوف تعرفين كل شيء عن ويكهام، سوف أخبرك بالتفاصيل».

ثم قرأت اليزابيث لجاين الرسالة، في الجزء الذي يحتوي التفاصيل عن ويكهام. لقد صُدِمت حيث أنه في أسوءِ خيالاتها، لم تكن تتوقع أن هناكَ أشخاصاً بهذا الشر والإحتيال مثل ويكهام، أو بهذا الإنتقام القاسي مثل دارسي.

تابعت الأختان حديثهما عن كيفيةِ أنَّ الإنسان يُخدع بالمظاهر، في حين كانتا تظنّان أن ويكهام شخصاً محترماً وطيباً استناداً على أنَّ مظهره كان جميلاً فقط، فيما العكسُ كان صحيحاً مع دارسي، حيث أن صفاته السيئة وغروره، جعل الجميع يظنون به الظنون.

طلبت اليزابيث نصيحة جاين، بخصوص ويكهام، فهي محتارةُ بين أن تفضحَ أمرَه وتخبرَ أخواتها وأهلها عن ماضيه وحقيقتِه، أو أن تُخفي ذلك. فأخبرتها جاين أنّه من الأفضلِ أن لا تخبر أحداً، ثم سألتها عن رأيها هي، فأجابت: «أظنُّ أنّه ليس من حقي أن أخبر أحداً، لأنّه موضوعٌ يخصّ دارسي وحده، وهو لم يمنحني الإذنَ بالكلام، وخصوصاً أن الموضوع له علاقة بأخته التي يحاول حماية سمعتها. وبالرغم أنني متحاملةٌ عليه جداً ولا أطيقه، إلا أنني لن أستطيع أن أكون بهذا السوء وأتكلم بما لا يسمحُ لي».

- «فعلاً يجب أن لا تتكلمي بموضوع ويكهام وتفضَحِيه، لأنه سيغادر المدينة بعد أسبوعين، وبالتالي فإنَّ ماضيه لن يهم أحد، وأيضاً ربما يكون قد ندِم على اعماله، وانتِ حين تتكلمين قد تدمّرين له مستقبله، وهو الذي من الممكن أنّه يرغب بالتوبة».

ارتاحت اليزابيث كثيراً بعد أن تكلّمت مع أختها الحبيبة جاين، وهي الإنسانة العاقلة الطيّبة، وارتاحت من سرّينِ كانا يضايقانها، وبقي عندها سرُ فقط ولكنّه يؤرقها ولا تستطيعُ البوحَ به، وهو الموجود في الجزء الأول من رسالة دارسي، واليزابيث لا تتجرأ أن تخبر جاين، بما فعله دارسي بحقها،

وبرأيه فيها.

كما أنَّ اليزابيث أخذت تراقبُ أختها جاين لتعرفَ إذا ما كانت قد تخطّت مشاعرها نحو بينغلي، فاكتشفت، أنها ما زالت تحبّه بشدةٍ، لأنه كان حبّها الأول ولم تستطع نسيانه.

في أحد الأيام التي تلت تلك الحوداث سألت السيدة بينيت، ابنتها اليزابيث: «حسنا يا عزيزتي، ما رأيك بالموضوع الحزين الذي حصل مع جاين؟» وقبل أن تسمع جوابَ ابنتها تابعت حديثها: «بالنسبة لي، فإنني عاهدت نفسي ألا أتكلم به مرة أخرى، وهذا ما قلته لأختيّ السيدة فيليبس البارحة، لكنني لا أظنُّ أن جاين قد قابلته عندما كانت في لندن، كم صدمني هذا السيد بينغلي، بأنه كان شاباً مخادعاً. لقد سألتُ عنه كثيرا وتأكّدت بأنه لن يعود أبداً إلى نيثرفيلد، وأظنُّ أن حبيبتي جاين سوف تموت في النهاية، لأنه كسَر قلبَها وجرحَ مشاعرَها، وإذا علمَ بذلك فإنه سوف يندمُ بقيّة حياته».

لم تردّ اليزابيث على أمِها، لأنه لم يعجبها تفسيرها.

ثم أكملتِ السيدة بينيت متسائلة: «وما أخبار شارلوت مع كولينز؟ أظن أنهما يعيشان بشكل جيد، خصوصاً أن شارلوت فتاة قديرة ومدبّرةً مثل والدتها، وبالتالي لن تعاني أبداً من مشاكل مالية، لأنها تعرف أصول التوفير في إدارة المنزل. وهل كانوا يتكلمون دوما عن أن كولينز سوف يرثُ منزلنا بعد وفاة والدك؟»

- «لا ...لم يتكلّموا أبداً حولَ هذا الموضوع، ربما أمامي فقط، لا أدري يا أمي!».

الفصل الثامن عشر

مرَّ أسبوعٌ منذ أن رجِعت اليزابيث وجاين إلى المنزل، وبقي أسبوعٌ آخر قبلَ أن تغادرَ كتيبةٌ الجنود والضباط بلدةَ ميريتون إلى برايتون، ولن يعودوا بعدها، وجميعُ الفتياتِ في البلدة بحالةِ سيئةٍ جداً، ويشعرون بالحزنِ الشديدِ لمغادرةِ الضبّاط.

ليديا وكاثرين كانتا بهذه الحالة السيئة أيضاً، لذلك حاولت جاين كثيرا أن تنصحهما بالتعقّل، وعدم إعطاء الموضوع حجماً أكبر من حجمه الطبيعي، لكنّهما لم تكونا قادرتين على استيعاب الموضوع، وكانت أمهنّ السيدة بينيت متعاطفةً معهما، لأنها عاشت هذا الاحساس بنفسها منذ ٢٥ سنة.

كانت كيتي وليديا تقولان لأمّهما: لو كان بالامكان فقط الذهاب إلى برايتون في الصيف، حيث أنّ السباحة والشمس تحسنا الحالة النفسية، كما تقول خالتنا السيدة فيليبس، ونستطيعُ رؤية الضبّاط أيضاً، لكنَّ أبانا يرفضُ رِفضاً تاماً هذا الأمر.

حاولت اليزابيث أن تبثّ الفرح والتسلية في البيت، دون فائدة، حيث يستمرُ البكاءُ والحزنُ من أخواتها طوال الوقت، حينها فكّرت اليزابيث أنَّ دارسي كان على صوابٍ في نقده لاخواتها السخيفات.

لم يتحسّن الحال إلا عندما تلقّت ليديا دعوة من زوجة الكولونيل فوستر قائد الكتيبة، وهي متزوجةٌ حديثاً وصغيرة جداً في السن، بأن طلبت منها مرافقتها الى برايتون.

السيدة فورستر، تعرّفت على ليديا منذ ثلاث أشهر، وأصبحتا صديقتينِ حميمتينِ لأنّهما تمتلكان نفس طريقة التفكير، وأسلوب الحياة.

فرحتِ السيدةُ بينيت جداً بهذه الدعوة. وابتهجت ليديا جداً وأخذت تدورُ في المنزل في حماسٍ كبير، تطلبُ من الجميعِ أن يهنئوها على حصولها على هذه الدعوة، ولم تهتم ابداً بحزن أختها كيتي وألَمها لأنها ستبقى في البيت.

بالنسبة لاليزابيث كانت هذه الدعوة غير مناسبة لأنّ سلوكَ ليديا السيء سيزدادُ سوءًا، وسوف يصبحُ من الصعبِ السيطرة على تصرفاتها، لذلك قرّرت أن تطلبَ من والدِها بالسرِ أن يمنع ليديا من الذهاب، وأخبرته كلَّ أسبابها، وبعد أن انتهت ردَّ عليها: «إنّ ليديا لن تهدأ أو تعقل إلا عندما تظهرُ في تجمعٍ عام أمامَ الكثير من الحضور، ولن نستطيع أن نوَّفر لها ذلك مادياً، كما في الظروف الحالية، حيث أنها مدعوة للذهاب، لذلك يجب أن أقبل بذهابها».

- «لكن يا أبي، لو تلاحظ أن تصرفاتها الهوجاء، وعدم اتزانها، قد يضرُّ بسمعتنا نحن بقية أخواتها، هذا إذا لم يكن قد اضرّ بنا فعلاً».

- «سلوكها قد أضرّ بسمعتكن؟ هل أخافت بعضاً ممن تقدم لخطبةِ واحدةٍ منكنَّ؟ مسكينةٌ يا ليزي لتتكلمي بهذه الطريقة، أريني قائمةً بالأحبابِ الذين هربوا بسبب حماقات ليديا؟»

- «إنني لا أتكلم عن نفسي يا أبي، أتكلم بشكلٍ عام، عن وضعٍ ممكن أن يؤذينا جميعاً، حيث أنّ تقديرنا واحترامنا في المجتمع يتأثر بسببِ عدمِ وجودِ قيودٍ وضوابط على تصرفات ليديا، أعذرني يا والدي العزيز، لأنني سأتكلمُ

بشكلٍ واضحٍ ومباشر، لكنّك إذا لم تعمل على تقويم سلوك ليديا الآن، وأن تُفهمها أنها تتصرف بشكلٍ خاطئ، فإنك لن تستطيع تقويمها بعد ذلك أبداً، إنها ستصبح في عمر ١٦ قريباً، وإذا لم تقم بتصحيحِ سلوكها، فإنها ستصبحُ كأيِّ سيدةٍ لعوبٍ لا يحترمُها أحد، وبالتالي ستؤثر على جميع أفرادِ العائلة، وخصوصاً أنَّ كيتي متأثرةٌ بها وستمشي على خطاها».

أحسّ السيد بينيت أن ليزي تتكلمُ بصدقٍ من قلبها، لذلك أمسكَ يدَها برقةٍ وقال لها: «لاتخافي يا حبيبتي ليزي فأنتِ وجاين مختلفتان جداً عن أخواتك السخيفات، ولا أظنُّ أنَّ أحداً سيلومكُما بسبب سخافتهن. أنتما موضع احترامٍ وتقدير لأنّكما تستحقان ذلك. سوف لن ننعمَ بالسلام هنا في لونغ بورن، إذا لم تذهب ليديا إلى برايتون، فلندعها تذهب، وأنا متأكدٌ أنَّ الكولونيل فورستر هو رجلٌ متعقّل، ولن يسمح لها بأن تقعَ في الأخطاء، ثم إنها فقيرةٌ جداً، لكي تكون فريسةً سهلةً لملاحقة أي شخص، وستعرفُ حجمها هناك، حيث لن يهتمَ أحدٌ لأمرها هناك كما كان الوضع هنا،فبرايتون مليئة بالسيدات الجميلات الغنيّات، وبذلك ستتعلم درساً لن تنساه، ما يساعدها على أن تهدأ قليلاً».

لم تقتنع اليزابيثُ بكلامِ أبيها، ولكنّها تعلم أنها لن تستطيع أن تغير شيئاً من طريقة تفكيره، فغادرت الغرفة وقد شعرت بأنها قامت بكل ما في وسعها من أجل هذه المشكلة .

أمّا بالنسبة لويكهام، فإن اليزابيث أحسّت بالإشمئزاز منه ومن كلِّ شيءٍ يمّت له بصلة، صارت تراه بعينٍ مختلفة عما كانت تراهُ من قبل، وبالفعل فقد رأتهُ قبلَ سفرِ كتيبتهم بيومٍ واحدٍ، حين دعتهم السيدة بينيت للعشاء عندهم في لونغ بورن.

حينها أحسّت اليزابيث كم أن ويكهام مغرور، لأنه كان يظنُّ أنّ اليزابيث

من الممكن أن ترجعَ له في أي وقتٍ يشاء، حتى لو تركَها لوقتٍ طويلٍ من أجلِ أُخرى. ولكنها بسببِ دماثةِ أخلاقها حاولت بقدر استطاعتها أن تتعامل معه بطريقةٍ ودّية لأنّها كانت ليلته الأخيرة في البلدة.

أثناء العشاء سألها ويكهام عن هانزفورد وكيف قضت وقتها هناك، فأخبرته أنَّ أياماً جميلة قد قضتها هناك، وأنّ دارسي وابن خاله فيتزويليام قد أتيا إلى هناك وقضيا ثلاثة أسابيع فيها.

ثم سألته عمّا إذا كان يعرفُ ابن خال دارسي من قبل، فتغير لوّنه، وقسمات وجهه، لكنّه قال أنه يعرفه جيداً، وكان يراه في قصر دارسي من قبل، وهو أفضلُ من دارسي في الشخصية والأخلاق، فأكّدت له اليزابيث أن ذلك كان انطباعها عنه أيضاً، فكانت تراه بشكل يوميٍ تقريباً هناك، ثم أخبرته أنّ دارسي قد تحسن وأصبح سلوكه أفضل.

هنا اضطرَب ويكهام، وقال لاليزابيث: «دارسي يتظاهر بذلك فقط، لأنه يخاف من خالته الليدي كاثرين، ويتصرف بشكلٍ جيدٍ أمامها».

حاول ويكهام بعدها أن يستدِّر عطفها كما في بداية معرفته بها فصار يذكّرها بالذي فعله دارسي به، وكيف ظلَمه، لكنّها اكتفت بالابتسام وأدارت وجهها، حتى لا يستدرجها مرةً أخرى إلى مشاكله وأكاذيبه، فلقد سقطَ من عينها، وفهم ويكهام ذلك، وحاول أن يبتعد عن اليزابيث لبقية الأمسية، وأثناء مغادرته صافحها باحترام، وبطريقة تدلُّ على أن لا أحد منهما يريد أن يرى الآخر لبقيةِ عمره.

غادرت ليديا مع السيدة فورستر وبقية الضباط، بعد العشاء الذي أقيم في منزل والديها، لأنها كانت من المفترض أن تسافر معهم في صباح اليوم التالي من ميريتون إلى برايتون، وهنا ودّعها أهلها وأخواتها بفرح وابتهاجٍ، إلا أختها

كيتي التي ودّعتها بالدموع، وذلك من الحسد والغيرة طبعاً.

الفصل التاسع عشر

لم تكن آراء اليزابيث في الحياةِ والمجتمع وشخصيتها القوية والمحترمة، مقتبسةً من أخلاق وسلوكيات عائلتها، ذلك لأنّ هناك عيباً كبيراً في العائلة، فالأب السيد بينيت، حين تزوج السيدة بينيت، كانت عنده آمال كبيرة في تكوين عائلة محترمة وجميلة، لكنّه اكتشف بعد زواجهما، أنها ذات شخصية ضعيفة ومهزوزة، وأنّ فهمها للحياة محدودٌ جداً وأفقها ضيق، ولذلك فإن إعجابه بها، وحتى الثقة والاحترام، قد انتهى منذ بداية زواجهما.

لم يكن السيد بينيت من الرجال الذين يبحثون عن التعويض حين يصابون بخيبة أمل، في أماكن أو اشياء يلجأ لها الرجال عادةً، فاكتفى بأن يأوي إلى ما يُحبه، وأن يعيشَ في الريف بعيداً عن ضجّة المدينة وبين ما يحبّه من الكتب، فكان يقتصرُ في تعامله مع زوجته على أقلِّ الممكنِ، ليتَجنَّب حماقاتها وطريقتها الغير متّزنة في الحياة.

لاحظت اليزابيث ذلك، والدُها لم يكن يتصرفُ كزوجٍ أو حتى كأبٍ كما يجبُ عليه، بالطبع كان ذلك يحزنها، الا أنها لم تستطع أن تعترض عليه، لأنها كانت تحبّه كثيراً لمعاملته الرائعة معها، كانت تحترمُ قدراته، لكنها بنفس الوقت تتألم من أنه ساهم في جعل بناته لا ينظرن إلى والدتهنّ باحترام.

كانت اليزابيث في هذا الوقت تلاحظُ لأولِ مرةٍ كيف أنَّ الزواج الغير متكافئ، تكون نتائجُه مدمّرة على الأولاد، وعدم تحمل المسؤولية المفروضة من الأب نحو أولاده غالباً ما تؤذي هؤلاء الأولاد. وكان من وجهة نظرها أن على السيد بينيت على الأقل، أن يعملَ من أجل أن تنال أمّه الإحترام والتقدير، حتى لو لم يستطع أن يجعل زوجَته تفكّر بشكلٍ أفضل، لترضي تطلعاته كزوجة.

فرحت اليزابيث بذهابِ ويكهام من البلدة بشكل نهائي، وأختها كيتي ستتحسن قليلاً في غياب ليديا التي كانت تؤثر عليها، لاسيّما في غياب فرقة الضباط التي تحوم حولها فتيات البلدة .

أما بالنسبة لليديا، فإنّ كل آمالها وتوقعاتها بالسعادة الكبرى في السفر إلى برايتون، والبقاء مع فرقة الضباط، باءت بخيبة الأمل، ولم تجرِ الأمورُ كما كانت متوقعة. هي تتمنى لو استطاعت أن تحضر اختها جاين معها في الرحلة، لأنّها تفرح بوجودها كثيراً، والآن هي حاولت أن ترضى بالواقع وتتعامل معه، لاسيّما أنها في برايتون ستكون في أسعد أيام حياتها.

كانت ليديا قد وعدت أمّها وكيتي أختها، بكتابةِ رسائلِ شبه يومية ومفصّلة عن كل ما يحصل معها في سفرها، لكنها لم تفِ بوعدها، وأرسلت رسائلَ قصيرةٍ على فترات متباعدة، وكما جرت العادة حاولت أمها أن تجد لها الأعذار المتنوعة.

بعد سفر ليديا بأسبوعين أو ثلاثةِ أسابيع، عادَت حالة المرح للمنزل في لونغ بورن، لا سيما مع بداية فصل الصيف، فعادَ كثيرٌ من العائلات التي كانت في الخارج اليها، وتعوّدت كيتي أخيراً على غياب اختها ليديا، وغياب فرقة الضباط عن ميريتون معاً ، وهذا ما أفرح اليزابيث، فأختها كيتي ستعتاد على أن لا تذكر اسم أحدٍ من الضباط مرةً أخرى،فذلك يسبب الحرج أمام

العائلات النبيلة .

مضى الوقت بسرعة، واقترب موعدُ السفرِ إلى الشمال، والذي خطط له السيد جاردنر خال اليزابيث، الذي قد وعدها بأنها ستسافر معه ومع عائلتِه في الصيف إلى هناك.

كان من المفترض أن تبدأ رحلة الشمال خلال أسبوعين، لكن وصلت رسالة من السيدة جاردنر، زوجة خال اليزابيث، وأخبرتها فيها، بتأجيل الرحلة إلى ما بعدَ أسبوعين من شهر يوليو القادم، لأنَّ خالها السيد جاردنر قد طرأ عليه عمل، كما إنّه مرتبطٌ بعملٍ في لندن، يستدعي منه العودةَ إليها بعد شهر واحد من الرحلة، أي أن مدة الرحلة قد قصرت أيضا، لذلك لن يكون لديهم وقت ليذهبوا لمنطقة البحيرات، كما كانوا قد خطّطوا من قبل، وسوف يذهبون إلى مكان آخر، وهو منطقة ديربي شاير، حيث أن السيدة جاردنر تحب هذه المنطقة ولها فيها ذكريات جميلة، عندما قضت فيها عدة سنوات من حياتها.

أحسّت اليزابيث بخيبة الأمل، فهي كانت وعدت نفسها بالذهاب إلى منطقة البحيرات، ثم لفتت نظرها كلمة ديربي شاير في الرسالة، فقصرُ دارسي المسمّى بيمبرلي يقع في ديربي شاير، ولكنّها أكّدت لنفسها، أنها ستذهب إلى هناك وتعود، دون أن يعرف دارسي بوجودها هناك.

سوف يكون على اليزابيث أن تنتظر الآن لمدة أربعة أسابيع، حتى يأتي خالها وزوجته وأولادهما الأربعة إلى لونغ بورن، ويأخذونها معهم في الرحلة.

كما هو حال الزمن فقد مرّت الأيام وجاء وقتُ بدايةِ الرحلة، وصل السيد جاردنر وزوجته والأولاد إلى منزل اليزابيث، وكان معهما أولادهما وهم فتاتين في عمر الثامنة والسادسة، وصبيين أصغر منهما، وقد وقعت مسؤولية

العناية بالأولاد على عاتق جاين في غياب والديهم، لأنها كانت لطيفة ومتزنة وتحب الأطفال، وتعرف كيف تعتني بهم.

وفي صباح اليوم التالي، غادر السيد جاردنر وزوجته مع اليزابيث في رحلتهم إلى ديربي شاير، لقضاء وقت لطيف بعيدا عن العمل والتوترات. مضت المجموعة في طريقها، ومرت على مناطق ومناظر جميلة جدا، ووصلوا إلى بلدة صغيرة في ديربي شاير، اسمها لامبتون، حيث كانت السيدة جاردنر تسكن منذ عدة سنوات، وحيث ما زال بعض معارفها حينذاك، يسكنون فيها.

علمت اليزابيث من زوجة خالها، أنَّ قصر بيمبرلي، يقعُ على بعدِ خمسة أميالٍ من لامبتون، ولقد اعربتِ السيدة جاردنر عن رغبتها في زيارةِ قصر بيمبرلي ورؤيته مرّة أخرى، القصر يبعد ميلين أو ثلاثة عن الطريق العام. وافق زوجها على الذهاب، لكن اليزابيث وافقت مجبرَة، لأنها كانت قد غيرمكترثة لرؤية القصور وسكّانها.

شعرت زوجة خالها أنّها لم تتحمّس لزيارة القصر فحاولت أن تقنعَها، وتخبرَها أنَّ المنطقة حول القصر هي رائعة وتستحق أن يشاهدوها، وافقت اليزابيث رغم خوفها الشديد من فكرة أن يلمحها دارسي هناك.

ولكنّها سألت الخادم في الفندق الذي يقيمون فيه، عن قصر بيمبرلي وسكّانه، وطمأنها الخادم، أنّ سكان القصر ليسوا موجودين فيه. هكذا وافقت اليزابيث على الذهابِ إلى هناك في الصباح.

المجلد الثالث

الفصل الأول

عندما وصلت اليزابيث مع خالها وزوجته، إلى مشارفِ قصرِ بيبمبرلي والغابةِ التي تحيطُ به، ودخلت عربَتهم إلى الغابة المحيطة بالقصر ومشوا فيها لمدةٍ من الزمن ، كانت اليزابيث منبهرة بجمالها وسحرها، وواصلوا مشيهم لمسافةٍ معيّنة صعوداً، حتى وجدوا أنفسهم في مكانٍ مرتفع، إلى أن انتهت حدود الغابة، ثمَّ وجدوا أنفسهم أمام قصر بيمبرلي.

كان منزلاً جميلاً مبنياً من الحجر، يقعُ على مرتفعٍ، وتحدُّه سلسلةٌ من التلال المليئةِ بالأشجار، وأمام المنزل كان هناكَ جدولٌ رقراقٌ يصبُّ في نهرٍ صغير بشكل طبيعي، دون أي تكلّف أو تزيين أو تدخّل للبشر.

انبهرت اليزابيث جداً بهذا الجمال الطبيعي الخلاب، وحينها انتابها شعورٌ وكأنَّه حلمُ يقظة، بأنها أذا أصبحت سيدة هذا القصر، فإن ذلك سوف يكون شيئاً عظيماً.

نزل الجميع من التلِ، وعبروا الجسرَ، وقادوا العربةَ حتى وصلوا إلى باب القصر، وفي تلك الاثناء عادت لها مخاوفها من أن تصادفَ دارسي فجأة، ربما كان الخادمُ مخطِئَ، حينَ أخبرها أنَّ سكان القصر غير موجودين.

وحين طلبوا أن يشاهدوا القصرَ، أُدخِلُوا إلى القاعة الرئيسية، وبينما كانوا

ينتظرون مديرة المنزل، أخذت اليزابيث تفكّر كيفَ استطاعت الوصول إلى هذا المكان، الذي سمعت عنه سابقاً وكيفَ أنَّ الزمن كفيلٌ بالكثير من الأمور التي تظّن أنها بعيدة أو لا تخطر على البال.

انقطع حبلُ أفكارها بعد وصولِ مديرة المنزل. كانت تبدو سيدة محترمة، كبيرةً في السن، فأخذتهم إلى قاعة الطعام، وهناك وجدوا قاعة كبيرة منظّمة التصميم، ومفروشة بطريقة أنيقة وجميلة، وذهبت اليزابيث إلى النافذة لتشاهدَ المنظرَ من هناك. كان مشهداً خلاباً، الغابة تتوّجُ التلَ الذي نزلوا منه.ومنظر النهرِ والاشجار المنتشرة على جانبيه. إنّه منظرٌ ساحرٌ وخلّاب .

قادتهم مديرةُ المنزلِ إلى بقية الغرف، كلُّ الغرف التي شاهدوها كانت غرفاً أنيقةً ومفروشةً باثاثٍ فاخرٍ تدلُّ على غنى أصحابها. أخذت اليزابيث تفكّر في أنها تلقّت عرضاً في أن تكون سيدة هذا المكان بكل جماله وفخامته، ولو قبلت سابقاً حينها كانت ستدعو خالها وزوجته للزيارة بدل من مشاهدة القصر كأغراب، ولكنّها تذكّرت أنّه مع شخصٍ مثل دارسي، فإنه كان سيمنعها من دعوةِ خالها للزيارة، لذا حمدَت ربّها أنها لم توافق، وهي غير نادمة الان.

خلال التجوال سأل خالها مديرة المنزل عن سيد القصر، فردّت السيدة رينولدز، وقالت أنّه سيأتي غداً، مع مجموعةٍ من أصدقائه، حينها فرحت اليزابيث، أن رحلتهم تلك لم تتأخر يوماً واحداً، وإلا كانت سترى دارسّي هنا.

أثناء سيرهم في القصر، طلبت السيدة جاردنر من اليزابيث أن تنظر إلى لوحةٍ معلّقة لشخص ما، وحين نظرَت وجدت أنَّ الصورة تشبه السيد ويكهام إلى حدٍ كبير، حينها قالت مديرة المنزل، أنَّ هذه الصورة لابن وكيل أعمالِ السيد دارسي الأكبر، والذي ربّاه السيد دارسي كإبنه، ولكنَّ الولد ذهب إلى الجيش بعد وفاة السيد دارسي الأكبر، وأنه تغيّر بعدها وأصبح صعبَ الأخلاق، ولم يعد يأتي للقصر أبداً.

أشارت السيدة رينولدز إلى رسمة أخرى، وقالت: «هذا هو سيد القصر، إنَّ هذه الصورة رُسِمَت تقريبا في نفس توقيت اللوحة الثانية للسيد ويكهام، منذ ثماني سنوات».

وقالت السيدة جاردنر: «لقد سمعت الكثير عن شخصية السيد دارسي المحترمة، يبدو وسيماً، أليس كذلك يا ليزي؟»

حينها نظرت مديرة المنزل بإعجابٍ وتقديرٍ إلى ليزي، حين سمعتها أنّها تعرف السيد دارسي وسألت السيدة جاردنر: «وهل تعرف تلك الشابة هناك السيد دارسي الأصغر؟»

أجابت اليزابيث التي تغير لونها حينها: «أعرفه قليلا».

- «ألا تظنين أنه شاب وسيم، يا آنستي؟»

- «نعم هو شابٌ وسيم».

- «صحيحٌ هو من أكثر الرجال وسامةً، ولكن له صورٌ في الطابق العلوي في الكاليري أكبر من هذه الصورة وتوضح شخصيته أكثر، هذه الغرفة هي للسيد دارسي الأب، وهذه الرسومات الصغيرة تخصّه وهو كان مولعاً بها، ولقد تُركت كما هي منذ وفاته».

وهكذا عرفت اليزابيث لماذا كانت صورة ويكهام موجودة في تلك الغرفة. ثم أشارت مديرةُ المنزلِ إلى لوحةٍ أخرى في الزاوية وقالت: «هذه صورة الآنسة دارسي عندما كانت صغيرةً في الثامنة من عمرها».

وسألت السيدة جاردنر: «هل الآنسة دارسي جميلةً مثل أخيها؟»

- «نعم، هي جميلة وموهوبة أيضاً، فهي تعزف الموسيقى وتغني كل الوقت، وهناك في الغرفة المجاورة، آلة موسيقية جديدة، وصلتها كهديةٍ من أخيها

السيد دارسي. وأحيطكم علماً أنَّ الآنسة دارسي ستأتي غدا مع السيد، إلى المنزل».

ثم سألَ السيدُ جاردنر السيدة رينولدز: «هل يبقى السيد دارسي هنا كثيراً في منزله؟»

- «للأسفِ لا، فهو يسافرُ كثيراً، وهو يقضي أوقاته في هذا القصر لنصف العام فقط».

- «أظنُّ أنّه سيبقى هنا أكثر لو تزوجَ واستقر».

- «أجل هذا صحيح، لكن للأسفِ ليست هناك فتاة جيدة كفاية، وجديرة بأن يتزوّجها».

وهنا تدخلت اليزابيث وقالت: «أظنَّ أنَّ هذا الوصف مبالغٌ فيه، سيدة رينولدز».

- «إنني لا أقولُ إلا حقيقته والتي يعرفها ويعترف بها كلُّ من قابلهُ، في الحقيقة هو لم يعاملني بطريقةٍ سيئةٍ كل حياته، أنا معه منذ طفولته منذ نعومة أظافره».

ذُهلت اليزابيث من هذا الكلام عن دارسي، فانطباعها وتجربتها معه تظهرأنّه سيء الخلق، وعصبي، ولا يحترم الآخرين، وأرادت أن تعرفَ أكثر عنه، وفرحت لأنّ خالها أكمل كلامَه مع السيدة رينولدز وقال لها: «إنّك محظوظة لأنّ سيدك محترمٌ وكريمٌ في معاملته معك».

- «نعم أعلم ذلك يا سيدي، فإنني لن أجد مثله في حياتي، وهناك حقيقة واضحة، والتي تقول أنّ من يكون لطيفا ومحترماً في طفولته، يبقى كذلك حين يكبر، وهو كان من أكثر الأولاد لطفاً ورقةً معي منذ طفولته».

اندهشت اليزابيث أكثر وحدّقت في السيدة رينولدز وقالت: «هل يعقل أنَّ هذا هو السيد دارسي؟»

وهنا قالت السيدة جاردنر: «لقد كان السيدُ دارسي الأب شخصاً يمتاز بأخلاقه ودمائته، وهو أيضاً لا بد أنه شبيه أبيه».

أرادت اليزابيث أن تعرِف أكثر عن دارسي من السيدة رينولدز. واستمرت السيدة رينولدز تكلّمهم عن صفات دارسي الرائعة وكرمه مع كل الخدم عنده في البيت، وأنه ليس مثل شبان هذه الأيام الذين لا يهتمون بأحد إلا بأنفسهم. وفي أثناء ذلك كانت السيدة رينولدز تقود السيد جاردنر والجميع إلى الطابق الثاني في الأعلى، ثم قالت: «بعضُ الناس يصفونه بأنه مختال ومعتزٌ بنفسه، ولكن هذا مخالف لحقيقته، ربما هو لا يحب أن يجامَل أحدٍ، لكنّه ليس مغروراً أو متكبراً».

وصل الجميعُ إلى الطابقِ العلوي، حيث شاهدوا أمامهم بهواً فسيحاً وأنيقاً، يقود إلى غرفة جلوسٍ فخمة وجميلة وحديثة،حيث أنّها مختلفة الطراز عن الأثاث في الأسفل، وهنا أخبرتهم السيدة رينولدز، أنَّ السيد دارسي قد أعاد تأثيثَ الغرفةِ لتفرحَ وتبهج أخته التي تقضي أغلب وقتها فيها، وأنه مستعد لأن يفعلَ أيّ شيءٍ في العالم ليسعدَ أخته.

أخذت اليزابيث تنظر إلى اللوحات المعلقة في الكاليري، وصور أجداده، حتى وصلت إلى الصورة التي تهمها، وهي صورة دارسي نفسه، واستغرقت بضع لحظات وهي تنظر إليها وتبتسم. أحسّت عند مشاهدتها، أنها نسيت كل المواضيع التي كرهتها في دارسي.

أخذت اليزابيث تفكّر أنَّ دارسي أخٌ رائعٌ وحنون، وسيدٌ كريم مع من يعملون عنده، وكان هذا التفكير شيئاً جديداً على اليزابيث. ترى هل كانت

مخطئةً بحقه، هذا ما فكرت فيه.

بعد أن انتهوا من مشاهدة الطابق العلوي، نزلوا إلى الأسفل واستأذنوا من السيدة رينولدز بالمغادرة، وكان الحارس، في انتظارهم في القاعة الرئيسة قرب الباب، وأوصلهم إلى الخارج، ثم مشى الجميعُ على العشب باتجاه النهر، ووقفوا لينظروا وراءهم إلى المنزل، حيث حاولَ السيد جاردنر قراءةَ تاريخِ بناءِ المنزل المكتوب على جدار البيت، وبينما هم كذلك، وصلَ مالك البيت، السيد دارسي، من الطريق الخلفيِّ للمنزل الذي يقود إلى الاسطبلات، وكانت بينه وبينهم عشرون ياردة فقط، تجمّد دارسي في مكانه عندما رآها أمامه، وتجمّدت هي في مكانها، ثم التقت عيناهما، وتغير لونهما من هول المفاجأة.

بعد برهةٍ استجمع دارسي نفسَه واقتربَ منهم، وألقى التحيةَ على اليزابيث باحترامٍ وتقدير، لكنّها ردّت التحية، وهي لا تستطيع التخلص من الإحراج الذي شعرت به، أمّا السيد جاردنر وزوجته، فقد عرفا أنّه السيد دارسي من الصورِ التي شاهدوها قبل قليلٍ في منزله، ولكنهما وقَفَا في مكانِهما ينتظرانه كي ينهي حواره مع ابنة أختهما اليزابيث، كانت مضطربةً ومصابةً بالإحراج الشديد، ولا تدري كيفَ تردُّ على أسئلته حول أهلها وعائلتها، كذلك كان دارسي يشعر بالإحراج، وأعاد أسئلتَه عليها عدة مرات، ثم صمتَ لدقائق، واستأذن منهم ومشى.

أخذ خالها وزوجته في مدحِ الشابِ وأدبه وأخلاقه، ثم مشَوا جميعاً باتجاه الطريق للعودةِ إلى منزلهم، أثناء ذلك كانت اليزابيث صامتة كل الطريق وتلومُ نفسَها لأنها وافقت على المجيء إلى قصره، حتى لا تظهر وكأنّها ترمي نفسها أمامه، جال في خاطرها فيما قد يظنُّ دارسي بسبب مجيئها هكذا إلى منزله. لكنّها اندهشت بطريقته الجديدة المهذبة، حيث كان سلوكه قد تغيّر تماما، وكلّمها باحترامٍ وتقديرٍ كما إنّه سأل عن أهلها، وهو لم يفعل ذلك من قبل

معها، فأخذت تتساءل عن سبب هذا التغيير الذي حدث له.

سارَ الجميع في الغابة القريبة والمنتزه الذي يحيط بقصر بيمبرلي، وسُحِروا بالمناظرِ الخلابةِ التي شاهدوها هناك، ثم وصلوا إلى مكانِ عربتِهم، وركبوا العربة ليعودوا إلى البيت، كان السائق يقود ببطءٍ لأنَّ السيد جاردنر كان يتأمّل النهَرَ والأسماك التي تتقافز وتسبحُ فيه، وهو المولع بصيدِ الأسماك، مرّة أخرى رأوا السيد دارسي قادماً باتجاههم، فاحتاروا لسبب قدومه، لكنّ اليزابيث كانت قد أعدّت نفسها لتتكلم معه باحترام عند وصوله، حتى لا تظهر أنها لازالت مضطربة.

عندما وصلَ دارسي ألقى التحية على اليزابيث باحترام، وطلب منها أن تعرّفه إلى أصدقائها. زادت الدهشة عند اليزابيث، فهذه لم تكن أخلاقه من قبل، وخافت من أن يتعامل مع خالِها بشكلٍ سيءٍ ولكنّها كانت مضطرة أن تعرّفه بهم، وفرحت حين تعاملَ بشكلٍ مهذبٍ مع خالها، وكانت اليزابيث فخورة بخالها، برزانته، وثقافته، وتهذيبه، خلال محادثته مع دارسي، الذي أعجبَ به أيضاً، ومشَوا جميعهم في المنتزه، وحين عرِف دارسي، أنَّ السيد جاردنر يحبُ صيدَ الأسماك، عرَض عليه أن يأخذه لأفضل بقعةٍ في النهر تصلحُ للصيد، وأن يعطهِ الأدواتَ التي يحتاجها للصيد طوال مدّة إقامتهم في المنطقة.

أثناء مشيهم، أحّست السيدة جاردنر بالإرهاق، فاضطرّت أن تمشي مع زوجها الذي كان يسبقها في المشي مع السيد دارسي لتستند عليه، وتبادلا الأماكن، فمشت اليزابيث مع دارسي، وبدأت هي في الكلام معه، فأخبرته أنها سألت عن وجوده في المنزل قبل أن تحضر لتراه، وأنها عندما تأكّدت فقط من وجوده في لندن قررت زيارة قصره، حتى مديرة منزله أكدت لهم أنه سيحضر في اليوم التالي، ولكنّه فاجأهم بحضوره خلال وجودهم هناك.

أكّد دارسي لها، أنّ كلّ الكلام الذي قيل حول وصوله كان صحيحاً، إلا أنّه اضطرّ أن يحضر مبكراً، لأنَّ وكيل أعماله، طلبَ منه الحضور باكراً من أجل موضوع عملٍ ضروري، فسبقَ أصدقاءَه، الذينَ سوف يحضرون في اليوم التالي، ثمَّ أخبرها أن من بين الذين سيحضرون، أشخاصاً تعرفهم، وهم السيد بينغلي وشقيقتيه، وهنا صمتت اليزابيث واجمة، وتذكرت أنَّ بينغلي كان آخر ما تحدثوا به في المرة السابقة. أكملَ دارسي كلامه وقال: «هناك شخصٌ آخر قادم معهم، وهو يحبُّ أن يتعرّف بك، وأتمنى أن أقدّمه لكِ، إذا لم يكن عندك مانع ولم تعتقدي أنّني أطلبُ منك الكثير، هذا الشخص هو أختي الآنسة دارسي».

دهشة اليزابيث تزداد أكثر وأكثر، ما الذي يحصل مع دارسي؟ وتساءلت في سرّها، كيف حصل كل ذلك التغيير؟ والأكيد أن الآنسة دارسي تريد رؤيتها بطلبٍ من أخيها.

ثم تمشّيا وهما صامتين، واليزابيث تفكّر، أن ّمجرّد طلبه منها أن تتعرّف على أخته، هو مجاملة رائعة لها، وهذا الأمر جعلها في غاية السعادة.

بعد ذلك عادوا إلى العربة، وانتظرا عودة خالها وزوجته، وحين وصلا، صعدَ الجميع إلى العربة، وودّعهم دارسي، ثمّ رجع إلى بيته.

في الطريق أثناء العودة بدأ السيدُ جاردنر بالحديث والثناءِ على دارسي وتصرفاته النبيلة والمهذّبة، فيما زوجته تقوم بتأكيد ذلك عبرَ إيماءاتٍ من رأسها، إلى أن توجهّت بالسؤال إلى اليزابيث، عن سبب إخبارهم من قبل بأنّه سيء الأخلاق ، فأجابت اليزابيث، أنه تغيّر بعد ذلك، وأنها تراه اليوم لأول مرّة وهو يتصرف بهذا الشكل من التهذيب والتقدير.

واستمّر سياق الحديث حتى قارنت السيدة جاردنر بينه وبين ويكهام، فقالت: «إن ويكهام أكثر وسامة، لكنَّ دارسي محترمٌ أكثر منه، وهي تستغرب

أن يكون دارسي، قد عامل ويكهام بشكلٍ سيء، خصوصاً أنّه يبدو عليه النبلُ والأخلاق العالية»، واندهشت السيدة جاردنر، عندما صمتت اليزابيث، ولم تتهم دارسي بشيء كما حدثَ سابقاً .

بعد أن تناولوا طعام العشاء وارتاحوا قليلا، طالبت السيدة جاردنر بالخروج، للذهاب لزيارة معارفها الذين كانت تربطهم بها علاقة صداقة منذ سنوات في هذه المنطقة، فشوقها كبير لذكرياتها معهم.

الفصل الثاني

توقّعت اليزابيث، أن يأتي دارسي وأخته لزيارتها في صباح اليوم التالي، وحاولت أن لا تخرج مع خالها في زياراتهم لاصدقائهم، لكنها كانت مضطرّة حتى لا يشعروا بشيء حول تغيّر سلوكها، وقبل أن يخرجوا، سمعوا صوتَ عربةٍ تقترب من النُزل الذي ينزلون به، وعندما أطلّوا من النافذة، رأوا رجلاً وشابة في العربة، حينها صار لا بدَّ لها أن تعترف لهما بالموضوع، وبأنّ دارسي جاء مع أخته لتتعرَّف عليها.

عاتبها خالها وزوجته لأنّها أخفت الأمر عنهما، لكنَّ ذلك ليس محل قلقها وإنما هو ردُّ فعل الآنسة دارسي، فهي تخشى من أنَّ دارسي ومن جراء حبّه لها الذي صار واضحاً وجليّاً الآن، أن يقدّم لأخته صورةً أضخم وأجمل من الحقيقة والواقع عن اليزابيث، فتصابُ أخته بخيبة الأمل بعد أن تقابلها.

عندما وصل دارسي وأخته لغرفتهم في النُزل، ألقى عليهم التحية وعرّفهم بأخته، والمُشاهد يبدو جليّاً له أنّها كانت مُحرَجة وخجولة جداً. اندهشت اليزابيث، لان جورجيانا كانت مختلفة تماماً عمّا وصفوها به من قوة الشخصية.

الآنسة دارسي في عمر السادسة عشر، لكنها طويلة ومكتملة الأنوثة، بما يوحي أنها أكبر من عمرها، وكانت أقلّ جمالاً من أخيها، بالرغم من

أنّ وجهها يظهر مسحةً خاصة من الجمال. وارتاحت اليزابيث كثيراً، لأن جورجيانا كانت لطيفة أكثر من أخيها أيضاً.

ثم أخبر دارسي اليزابيث، أن بينغلي قادم لزيارتها أيضاً، فرحت اليزابيث بذلك، وعندما وصل كانت تظنّ أنها لن تكون سعيدةً بحضوره، بسبب تصرّفه المشين مع أختها، لكن بمجرّد أن رأته تحوّل شعورها إلى الفرح بوجوده، لاسيّما أنّ سمات التهذيب والإحترام صارت ملازمة له، وفي هذه الزيارة أيضاً سألها عن أهلها وحالهم. بالطبع كان الخال وزوجته مشتاقَين لرؤيته أيضاً.

لاحظَ خال اليزابيث وزوجته، أنّ السيد دارسي كان واقعا في غرام اليزابيث، وأن جورجيانا، أخته، كانت تحاول التقرب منها هي والسيد بينغلي. أمّا إليزابيث فانشغلت بالسيد بينغلي، لأنه ذكّرها بأختها جاين بمجرّد رؤيته، وكانت تتساءل ما إذا كان بينغلي، لازال واقعاً في حب أختها. حاولت اليزابيث أيضاً أثناء اللقاء أن تراقب تصرفات بينغلي إزاء جورجيانا، وتصرفاتها تجاهه، لتتأكد من الكلام الذي قالته أخت بينغلي، عن ارتباطه بجورجيانا، ولاحظت أنّه ليس هناك مشاعر متبادلة، أو حتى أي اهتمام بينهما، وهذا ما أفرحها كثيراً.

وأخيرا تكلم بينغلي، وكان يتكلم بحزن، وقال أنه لم يرَهم منذ ثمانية شهور، بالتحديد منذ تاريخ ٢٦/ نوفمبر، عندما كانوا معاً، في الحفلِ الراقص في نيثرفيلد قبلَ سفره.

وعندما لاحظَ أنّ أحداً من الحضور لم يكن منتبهاً له ، مالَ إلى اليزابيث وسألها ما إذا كان جميع أخواتها في لونغ بورن في ذلك الوقت، ثم نظر إليها نظرة ذات مغزى فهمت اليزابيث معناها.

كانت اليزابيث أيضاً تراقبُ دارسي، وطريقة تصرفاته مع الآخرين، ومع أقاربها، لترى أن كان تغيّره ما زال مستمراً، لكن دهشتها ظلّت مستمرة، من لطافته ورقته في حديثه مع خالها وزوجته، فاستنتجت أنّ هذا التغيير مستمر معه إلى الأفضل، وهذا ما أسعدها.

بقي دارسي وأخته وصديقه لمدة نصف ساعة في زيارتهم، وحين نهَض ليستأذن وينصرف طلب من أخته أن تسانده في دعوة السيد جاردنر وزوجته والآنسة بينيت إلى العشاء في قصر بيمبرلي، قبل سفرِهم، ولبّت جورجيانا الطلب، ودَعتهم للعشاء. وافقت السيدة جاردنر على الدعوة، لأنها كانت تعرف كم يحب زوجها هذه المناسبات الاجتماعية، لكن إليزابيث أدارت وجهها خجلاً، فلم تعرف ما كان رأيها الصريح.

اتفقوا على أنّ العشاء سوف يكون بعد يومين في قصر بيمبرلي، وفرح بينغلي كثيراً بهذه الدعوة، لأنّه سيستطيع أن يرى اليزابيث مرة ثانية ويسألها كل التفاصيل عن جاين أختها.

حاولت اليزابيث أن لا تبقى كثيراً مع خالها وزوجته، لأنهما يسألانها كثيراً عن دارسي، وهي لا تحب الكلام في هذا الموضوع، ولكن كانَ يهمها رأيهما في بينغلي، وقد ركّزا حديثهما حول السيد دارسي وهم يكررون أنّ مديرة المنزل في بيمبرلي كان معها حق في مدح دارسي، لأنه إنسان مهذب ومحترم وكريم، ولا يعيبه شيء إلا مسحة الكبرياء الزائدة عن حدّها قليلاً ، وذلك ناتج حسب تفسير السيد جاردنر، عن أنّهم يعيشون في بلدة صغيرة، وبالتالي فإن دارسي، لا يختلط بسكانها، أو يزورهم، وإن كان يساعد المحتاجين والفقراء فيها، فذلك غير كافٍ لتحقيق الإختلاط والتفاعل. أيضاً بالنسبة لويكهام، فقد اكتشف آل جاردنر، أنه غير محبوبٍ في البلدة، وأنه ترك عدة ديون قبل أن يرحل عن البلدة، فيما السيد دارسي هو من دفعها بالنيابة عنه، لذلك فإنّ كلام

ويكهام السيء عن دارسي كان كذباً وافتراء.

اتفقت السيدة جاردنر واليزابيث في صباح اليوم التالي على الذهاب لزيارة جورجيانا في بيمبرلي، لاظهار شكرهما لها، على تقديرها واحترامها لهم وقدومها لزيارتهم في نفس اليوم الذي وصلوا فيه من السفر. وفي نفس الوقت خرج السيد جاردنر ليمارس هوايته في صيد السمك مع دارسي، كما اتفقا في اليوم السابق.

الفصل الثالث

اقتنعت السيدة جاردنر، مثلما كان رأي اليزابيث، أن الآنسة بينغلي، لم تكن مرحّبة بوجود اليزابيث في بيمبرلي، عندما وصلتا إلى هناك.

استقبلت الآنسة دارسي، اليزابيث وزوجة خالها في غرفة الجلوس الفاخرة، والتي كانت تطل على مناظر الوادي والمنتزه الذي يحيط بالقصر، بتقديرٍ واحترام. وكان معها في الغرفة، الأختين بينغلي، ومربيتها الخاصة السيدة أنيسلي، وهي سيدة محترمة ومهذبة.

بدأت السيدة أنيسلي الحديث مع السيدة جاردنر، وتبعتهما اليزابيث، لتحسين الأجواء في الغرفة، بعد أن صمتت الفتيات الثلاث في بداية الجلسة.

ثم حاولت جورجيانا المشاركة في الحديث مع اليزابيث، بأقل الحدود، خوفاً منها من أن تقول أي كلمة غير مناسبة. فيما الآنسة بينغلي في ذلك الوقت تنظر باستعلاء لاليزابيث، ولم تتكلم معها. وبعد ربع ساعة من الجلوس صامتة، تكلّمت الآنسة بينغلي أخيراً، وسألت اليزابيث ببرودٍ عن أهلها، وردّت اليزابيث بنفس البرود وعدم الاهتمام، فصمتت الآنسة بينغلي بعدها.

بعد ذلك، دخلت الخادمات وأحضرنَ بعض الطعام والفاكهة للزائرات، فانشغلَ الجميعُ بالأكل. في تلك الأثناء كانت اليزابيث تفكر في رد فعلها، لو

أنّ دارسي ظهرَ فجأة في الغرفة، هل ستفرح، أم سوف تشعر بالإحراج!

وبينما كانت اليزابيث سارحةً في أفكارها، دخلَ السيد دارسي إلى الغرفة، فارتبكت اليزابيث، هي لم تكن تتوقع أن أفكارها ستتحقق بهذه السرعة.

أخبرهم دارسي أنّه كان مع السيد جاردنر وثلاثة رجالٍ آخرين يصطادون السمك في النهر، لكنّه تركهم هناك وحضر للمنزل، عندما علمَ أنَّ السيدات سوف يأتين لزيارة أخته جورجيانا.

قرّرت اليزابيث أن تتعامل معه بشكل طبيعي، دون أن تظَهر أنها محرجة من قدومه، وهنا بدأت الآنسة بينغلي بالابتسام لدارسي، والتحدث مع أخته، لترضيه، لكنها لاحظت أنّ دارسي لم يكن مهتماً إلا بأخته وباليزابيث، وكان جلُّ همه أن يرى كل منهما تكلم الأخرى وتهتم بها، فحاولت الآنسة بينغلي، من غيرتها الشديدة من عدم اكتراثه لها ، أن تُحرِج اليزابيث، وتكلّمت بطريقةٍ سيئةٍ معها: «آنسة بينيت، أريدُ أن أعرف ماهو رد فعل عائلتك وأخواتك، بعد أن ترَكت فرقة الضباط مدينة ميريتون، لا بد أنها خسارة كبيرة لهم؟»

نظرَت اليزابيث إلى دارسي، ووجدت أن وجهه قد احمّر من هذا السؤال، واضطرب، ولاحظت أن جورجيانا قد أحسّت بالارتباك، وجعلت تنظر إلى الأسفل، وتأكّدت كم أنّ الآنسة بينغلي خبيثة ، لتُؤذيَ دارسي الذي كانت تحبّه، فقط لأنها تريد أن تُحرِج الفتاة التي تحوز على انتباهه في تلك اللحظة.

أجابتها اليزابيث بطريقة لامبالية، في محاولةٍ منها لاختصار الموضوع، حتى لا تسبب الألم أكثر لدارسي، وهو كان يحدّق فيها بينما كانت تتكلم، وكأنّه خاف أن تذكر اليزابيث السر الذي أخبرها به، عن محاولة جورجيانا الهرب مع ويكهام، حين كان عنصراً في الفرقة العسكرية، والتي أخفاها عن الجميع ولم يخبر أحداً بها إلا اليزابيث.

بعد هذا السؤال، استأذنت اليزابيث وزوجة خالها للإنصراف، وقام معهما دارسي، ليودّعهما إلى العربة، وبمجرّد خروج اليزابيث من الغرفة، بدأت الآنسة بينغلي بالحديث عنها وانتقادها بشكل سيء، لكن جورجيانا لم تشارك في الحديث، لأنها كانت تحترمُ رغبةَ أخيها، واهتمامه باليزابيث، وحتى أنّها وجدتها لطيفة أيضاً.

حين عاد دارسي إلى الغرفة، بدأت الآنسة بينغلي تنتقد اليزابيث، وتكرر ما كانت تقوله من سخرية وهي تضيف الى كلامها متسائلة : «ألم تلاحظ، كيف أنَّ اليزابيث، تغيّرت هذا الصيف وأصبحت سمراء وغير مقبولة أكثر من الأول، ثم إنها غير جميلة وملامحها ليسَ بها أي ميّزة جميلة، فوجهها نحيفٌ جداً، وأنفها ليس له ملامح محددة، أنها غير جميلة على الإطلاق».

بقي السيد دارسي صامتاً، وظهرَ عليه أنّه محرجٌ بشكل واضح، ولكنّه لم ينطق بكلمة، وكانت الآنسة بينغلي سعيدة بأنّها استطاعت أن تضايقه، لأنها لاحظت اهتمامه الكبير باليزابيث، وأحسّت بالغيرة الشديدة التي جعلتها تقول هذه الكلمات.

صمّمت الآنسة بينغلي، على جعله يتكلم، فقالت له: «هل تذكر عندما رأيناها لأول مرة، وكنت لا تستلطفها، ثم قلتَ لاحقاً أنها جميلة إلى حدٍ ما؟»

هنا ثار السيد دارسي وقال: «نعم أذكر، ولكنّ ذلك كان في البداية فقط، منذ عدة أشهر، والآن أجدها أجمل من أي سيدة قابلتها في حياتي».

ثم خرج بعد ذلك، والغيرةُ تأكل الآنسة بيغلي من هذا الكلام، لأنّها الوحيدة المتضررة من كلامه.

في طريق العودةِ أخذت اليزابيث والسيدة جاردنر تتكلمان عمّا حدث في زيارتهما لقصر بيمبرلي، تكلّما عن كل شيء هناك، إلا عن السيد دارسي، مع أنَّ

اليزابيث كانت تريد أن تعرف رأي زوجة خالها به ، إلا أنَّ السيدة جاردنر، انتظرت أن تبدأ اليزابيث الكلام .

الفصل الرابع

تأخّرت جاين في إرسال الرسائل لأختها اليزابيث، التي كانت تنتظر رسائلَها بفارغِ الصبر، إلى أن وصلها في اليوم الثالث لوصولهم إلى لامبتون، رسالتين منها، واحدة جديدة، والأخرى أقدم لكن تأخرت في الوصول. كان لا بد لاليزابيث أن تقرأ القديمة أولاً، والتي كتبت منذ خمسة أيام، ولم يكن فيها إلا أخباراً عادية عن المنزلِ والأحداث الصغيرة في النصف الأوّل من الرسالة، ولكنَّ النصف الثاني والذي كتبَ بعدها بيوم، كان يحتوي على أخبارٍ هامة جداً، وقد كتب بتأثّرٍ كبير، وهذا ما جاء فيه:

{ *منذ أن كتبت لك يا عزيزتي ليزي الرسالة الماضية، حصلَ شيءٌ جديد وهو غير متوقّع، لا بد أن أطلِعكِ عليه، لكن أرجو أن لا تقلقي، نحن جميعا بخير، لكن لقد وصلتنا البارحة برقية مستعجلة، من الكولونيل فورستر، يُخبرنا فيها، أنَّ ليديا قد سافرت إلى اسكتلندا فجأة، مع واحدٍ من ضباط فرقته، وللأسف هذا الشخص هو ويكهام، لقد صُدمنا جميعاً بالخبر، إلا كيتي، حيث قالت انها كانت تتوقّع منها أي شيء، أرجو أن لا تتضايقي، وتحزني يا عزيزتي، فربما ويكهام قد تغيّر وأصبح أفضل، وهو يعرف جيداً، أنّه لن يكسب من ورائها أي أموال، فدعينا نتأمل خيراً فيما حصل. إنّ أمي حزينةٌ جداً بسبب ذلك، لكنَّ أبي تقبّل الموضوع بشكلٍ أفضل. وأشكر الله أننا لم*

نخبرهم بماضي ويكهام، ودعينا ننسى هذا الموضوع.

لقد هربا مع بعضهما ليلة السبت، في الساعة الثانية عشر، فأرسل الكولونيل فورستر البرقيةَ لنا مباشرةً، لكنّها لم تصلنا إلا في صباح اليوم التالي، وهكذا كانا قد تحركا مسافةَ عشرةِ أميالٍ على الأقل. والكولونيل فورستر أخبرنا أيضاً، أنه سيزورنا قريباً، ليطلعنا على مضمونِ رسالة صغيرة تركتها ليديا لزوجته تعلِمُها فيها بخطتها مع ويكهام، قبل هروبها.

لن أتأخر أكثر وأنا أكتب رسالتي هذه، لأنني لا أستطيع ترك أمي المسكينة لوحدها لوقت طويل، لاأعرف ما الذي ستفعلينه يا عزيزتي. }

ثم سارعت اليزابيث إلى فتحِ و قراءة الرسالة الثانية، وتأكّدت أنها قد كُتِبت بعد نهاية الرسالة الأولى بيوم، وهذا نصها:

{ لا بد أنّك قد تسلمتي يا عزيزتي، رسالتي المستعجلة الأولى، وها أنا أكتب لكِ بتوضيحٍ وتفصيلٍ أكثر، البارحة جاء الكولونيل فوريستر لزيارتنا، ليكلّم أبي بالتفاصيل عن ليديا وليبحثوا عنها. لقد قال أنه عرف من الضابطديني، أنّ ويكهام أخبَره أنّه لا ينوي حقاً أن يتزوج ليديا، وهما لن يذهبا إلى اسكتلندا، بل إلى مكانٍ قربَ لندن، لذلك جاء فوريستر وأخذ أبي معه ليبحثوا عنها، لكنّ الكولونيل مضطر أن يرجع إلى عمله في برايتون وسيترك أبي لوحده في لندن، ليبحث عن ليديا، أرجوك يا عزيزتي اليزابيث، عودي إلى المنزل في أسرع وقت، واطلبي المساعدة من خالي، ليحضر ويساعد أبي، لأن عنده معارف كثيرة في لندن ويعرف كيف يتصرف أفضل. }

بعد أن أنهت اليزابيث قراءة الرسالة، أصبحَت في حالةٍ صعبةٍ جداً، وركضت لتنادي الخادم في الفندق ليذهب ويحضر خالها، ليسافروا في أسرع وقت.

وبمجرد أن فتحت باب غرفتها، وجدت أن الخادم قد أدخل السيد دارسي إلى الصالة، ذُهلت عندما رأته، فيما هو صدم بمنظرها وشحوبها واضطرابها، ثم قالت له: «عذراً لكن يجب أن أتركك الآن لأذهب وأبحث عن خالي في الحال، لأمر عاجل وضروري».

ردّ دارسي بذهول: «يا الله ما الموضوع، ما الذي حدث؟ ولماذا أنت مضطربة هكذا؟ لن أعطلّك أبداً، لكن يجب أن تبقي أنت هنا، لأنك في حالةٍ سيئةٍ جداً، وسوف أذهب أنا أو أرسل الخادم، لنبحث عن خالك ونحضره».

حاولت اليزابيث أن تعترض، ولكنها وجدت نفسها في حالةٍ صعبة وترتجف، وليس عندها القدرة على الوقوف على رجليها، لذا سارعت في الطلب من الخادم ليذهب ويحضر خالها وزوجته في أسرع وقت.

أخذ دارسي ينظر إليها وهي في تلك الحالة الصعبة، فنادى الخادمة لتحضرَ لها شيئاً لتشربه وترتاح قليلاً، خصوصاً أنّها تبدو مريضة ، لكنَّ اليزابيث بادرت للقول بأنّها ليست مريضة، لكنّها استلمت أخباراً مزعجة وخطيرةً للتو عن عائلتها في لونغ بورن، ثم بدأت بالبكاء الشديد.تشوّشت أفكار دارسي لأنّه لم يكن يعلم كيف يساعدها، تابعت اليزابيث حديثها لدارسي: «لقد استلمت للتو رسالةً من أختي جاين، تخبرني فيها، أن اختي ليديا قد هربت لتتزوجَ من السيد ويكهام، لقد هربا معاً من برايتون، وأنت تعرفهُ جيداً، دون أن اكمل لك الباقي، لقد كان بيدي أنا منع ذلك من الحدوث، لو أنني فقط أخبرتها وأخبرت أهلي عن ماضي ويكهام، أنا السبب، أنا التي يقع عليها اللوم».

تكلّم دارسي: «أنا مصدومٌ ومذهولٌ مما حدث، هل أنت متأكدة من هذا الكلام؟»

- «نعم هذا الكلام صحيح، لقد هربا صباح يوم الأحد من برايتون، وقد اقتفوا أثرهما، حتى حدود لندن، لكنهم لم يستطيعوا أن يجدوهما بعد ذلك».

- «وماذا فعلت عائلتك حتى الآن ليجدوها؟»

- «لقد ذهب أبي إلى لندن ليبحث عنها، وأرسلت جاين لي رسالة تطلب فيها مساعدة خالي، وعندما يرجع، سوف نغادرُ من هنا خلال نصف ساعة، لكنني أعرف أننا لن نصل إليها».

أخذ دارسي يغدو جيئةً وذهاباً في الغرفة، وهو مكتئبٌ وحزين، وعندها ظنّت اليزابيث، أن مشاعرَهُ نحوها الآن، ستتغيّر وتضيع للأبد، فكيف يستطيع أن يرتبط بفتاةٍ تنتمي لمثل هذه العائلة، وهل يستطيع أن يجاهد نفسه ليحتفظ بها رِغم كلِّ شيء؟ هنا أحسّت اليزابيث، أنها لم تكن تعرف حتى تلك اللحظة، أنها كانت تحبه، وللأسف.. اكتشفت ذلك متأخرّة، عندما أصبح الحب لا معنى له بينهما.

قطع دارسي حديثها مع نفسها وقال: «أظنُّ أنَّ وجودي هنا لن يفيدكِ بشيء، لأنّك تحتاجين لأن تبقي لوحدك الآن، فأي كلامٍ لن يخفف عنك، وبالطبع سوف أعتذرُ لأختي عن عدم قدرتك للمجيءِ للعشاء في بيمبرلي الليلة».

- «أكيد طبعاً اعتذر لها، وأخبرها أنني اضطررتُ للمغادرة فجأة بسبب رسالة وصلتني من أهلي، لكن أرجو أن لا تخبرها عن الموضوع».

- «أكيد لن أخبر أحداً، وأتمنى لكم التوفيق وأن تجدوها في أسرع وقت».

ثم ألقى دارسي عليها التحية وخرج.

بعد خروجه أخذت تفكر في كل ماجرى، وتتمنى لو أن ليديا تعرف كيف تحافظ على نفسها، خصوصاً انها قد دمّرت سمعةَ جميع من في البيت.

وعندما رجع خالها وزوجته، كانا في حالةٍ كبيرةٍ من الاضطراب، لقد خافا أن تكون اليزابيث مريضة، لكنّها بمجرد أن أخبرتهما بالوضع، صُدما، وقرّرا العودة في أسرع وقتٍ إلى لونغ بورن، وأكّد لها خالها، أنّه سيعمل كل ما في وسعه لإيجاد ليديا وحمايتها في أسرع وقت، شكرته اليزابيث كثيراً وهي تبكي، ثم قام الجميعُ للاستعداد لحزم أمتعتهم للعودة، وأرسلوا رسائلَ لاصدقائِهم يخبرونَهم فيها باضطرارهم للمغادرة فجأة.

وأخيراً ركبت اليزابيث وخالها وزوجته العربة، في رحلة العودة إلى لونغ بورن.

الفصل الخامس

السيد جاردنر، خالُ اليزابيث، كانَ يقول أثناء رحلةِ عودتهم: «لا أظنُّ يا اليزابيث، أنَّ ويكهام يستطيع التنصل من الزواج بليديا، لأنّه يخافُ من أن يخسر عمله في الفرقة العسكرية، خصوصاً أنّه هربَ مع فتاةٍ كانت في حماية الكولونيل، قائده في الفرقة».

فرِحت اليزابيث للحظات بهذه الفكرة، ثم قالت: «هل هذا صحيحٌ يا خالي، أتظنُّ أنّه سيتزوجها؟»

ثم تدخّلت زوجةَ خالها وقالت: «أنا مع رأي خالك، لا أظنُّ أنّه سيخاطر بمستقبله هكذا، لا بدَّ من أنّه سيتزوجها، حتى لو في لندن، ليس عليهما، الذهاب كل الطريق إلى اسكتلندا للزواج».

- «هذا صحيح، لكن أنا لا أفهم لماذا الزواج بالسر وبهذه الطريقة؟، ولمَ لا يطلبها من أهلها؟ ربما لأنّه ليس من طبعه ذلك؟ لأنّه يبحث عن المال دوماً، فكيف يتزوجها، وهي ليست ذات مال؟»

واستمر النقاش طوال الطريق بين الثلاثة عن هذه المشكلة، وعن ويكهام وأخلاقياته، وعن ليديا التي لا تفكر إلا في نفسها وجذب أنظار الشبان، دون أن تولي الجانب الأخلاقي أية أهمية، وكل ذلك بسبب تدليل الأب والأم لها،

وعدم الاعتناء بتعليمها أخلاقيات وآداب السلوك.

وأخيراً وصل جاردنر وزوجته واليزابيث إلى لونغ بورن بعد المساء في اليوم التالي لرحلتهم، حيث ناموا ليلة في نزلٍ على طريقهم. وبمجرد أن وصلت العربة إلى باب المنزل، نزلت اليزابيث منها بسرعة، وركضت للداخل، فرأت أختها جاين وحضنتها ،وشرعتا في البكاء.

بعد ذلك سألتها عما إذا كان هناك أخبار عن ليديا، فأخبرتها جاين، أنهم ما زالوا لا يعرفون شيئاً، ولعلَّ خالها الذي جاء يستطيع أن يمدَّ يدَ المساعدة. ثم سألتها اليزابيث عن أبيها، فأخبرتها أنه وصل الثلاثاء إلى لندن، وأرسل لها رسالة قصيرة يوم الأربعاء، يخبرها فيها أنه وصل بالسلامة ويعطيها بعض التعليمات، وأبلغها أنه لن يكتبَ مرةً ثانيةً، إلا إذا حصل أي تطور جديد.

ثم سألت اليزابيث عن والدتها وكيف أصبحت، فأجابتها أنّها أصبحت أفضل من بداية الأمر ولكنها لا تغادر غرفة نومها إلا نادراً، وأنها ستفرحُ كثيراً بوجودكِ ووجود خالي. ثم تبعها الخال وزوجته إلى داخل المنزل وسلّموا على أولادهم، وصعدوا إلى غرفة السيدة بينيت. وما أن رأتهم حتى أخذت في البكاء المختلط بشتم ويكهام الشرير المجرم الذي اختطف ابنتها البريئة ليديا. ثمَّ أردفت، إنّ كل ذلك ما كان ليحصل لو أن السيد بينيت وافق على أن يذهبوا جميعاً إلى برايتون، حتى لا تذهب ليديا وحدها مع آل فوريستر الذين لم يهتموا بها كما هو مفروض، فالمسكينة تحتاج إلى عناية ورعاية. وهكذا ألقَت السيدة بينيت اللومَ على الجميع ما عدا ابنتها ليديا.

ثم تابعت نشيجها وهي تقول: «زوجي الآن في لندن، وبحال وجد ويكهام فسيقوم بضربه، وبالتالي فإن ويكهام ممكن أن يرد على ذلك بأن يقتله، وإذا ما مات زوجها، فإن كولينز سوف يأتي بسرعةٍ إلى لونغ بورن ويأخذ منهم المنزل ويطردَهم، فيصبحون في الشارع، إلا اذا وقف بجانبهم أخوها السيد

جاردنر».

فتدَخّل الخالُ وقال: «لا تخافي يا أختي لن يحدث كل ذلك، واصبري قليلاً فأنا سوف أكون بجانبك دوماً، ولكنني في البداية، يجب أن أذهب غداً إلى لندن ، لأعمل ما بوسعي لمساعدة زوجك في العثور على ليديا وإرجاعها للمنزل».

ثم أكملت السيدة بنيت كلامها لأخيها وقالت: «أرجوك يا أخي أن تبذل قصارى جهدك كي تجدها، وإذا كانت لم تتزوج ويكهام بعد، حاول أن يتم ذلك في أسرع وقت، واقنع ليديا أن لا تؤخر الزواج، من أجل فستان الزفاف، لأنني لاحقاً سأعطيها كل النقود التي تريدها لشراء الفستان الفاخر من أجل زفافها، وقل لها أن تنتظرني لأساعدها في الشراء لأنها لا تعرف أن تختار جيداً. وأرجوك يا أخي أن تحاول اقناع زوجي بأن لا يضرب ويكهام اذا رآه، وأخبره أنني مريضةٌ جداً وأتعرض لنوبات شديدة وتقلصاتٍ في الأعصابِ والعضلات، ولن أحتمل أن أخسره هكذا».

ثم نزلَ الجميعُ إلى الأسفل لتناول العشاء، فجاءت كيتي وتبعتها ماري وجلستا مع العائلة، وحاولت ماري أن تعطي وجهة نظرها في موضوع ليديا وأن تتفلسف فيه، موجهة كلامها إلى اليزابيث التي لم ترد عليها.

بعد العشاء انفردت اليزابيث مع جاين في غرفتها، وبدأتا بمناقشة الموضوع، وما حصل بالضبط وكيف جاء الكولونيل فوريستر ليطمأنهم عن الموضوع، وعن كلام ديني الضابط صديق ويكهام، الذي غيّر كلامه لاحقاً. ثم أخبرتها جاين أنَّ كيتي لا بد أن تعرف شيئاً عن الموضوع، لأنها قرأت عن ذلك في رسالة ليديا الأخيرة لها، حين أخبرتها أنها واقعةٌ في غرام ويكهام، وأنهما اعترفا لبعضهما البعض بذلك من عدة أسابيع، ولكنَّ ذلك لم يكن قبل ذهابها إلى برايتون.

وسألتها اليزابيث، عن رأي الكولونيل فوريستر في ويكهام، فقالت: «إنّه يراهُ شخصٌ محترمٌ ولكن حماسته غالبة على طبعه، وأضاف أنّه عندما ترك مريتون كان مديوناً للكثيرين هناك».

ثم أحضرت جاين الرسالة التي كتَبتها ليديا لزوجة فوريستر قبل هروبها، وقرأتها:

{ عزيزتي هارييت،

سوف تضحكينَ وتفرحين عندما تعلمين أين سأذهب غداً، بعد أن تفتقديني، وأنا سوفَ أضحك على ردة فعلك المتوقعة، أنا ذاهبة إلى مدينة جرينتا جرين، وسوف أكونُ مع الشخصِ الوحيد الذي أحبّه في هذه الدنيا. إنّه ملاك، وأنا لا أستطيعُ العيشَ بدونه. ولا تخافي، فإنَّ ما سوف أقدم عليه لن يسببَ ليَ الأذى، ولا تخبري أحداً في لونغ بورن عن الموضوع، لأنني أحبُ أن أفاجئهم عندما أكتب لهم في رسالة وأوقّعها بإسم ليديا ويكهام. وأرجو أن تبلغي الضابط برات اعتذاري لأنني لن ارقصَ معهُ الليلةَ في الحفل الراقص كما وعدته، وأخبريه أنني سأفعل ذلك عندما أراه في الحفل القادم. أمّا بالنسبةِ لملابسي، فإنني سأرسلُ في طلبها عندما أرجع إلى لونغ بورن. أرجو أن تخبرِي الخياطةَ، أن تصلحَ الشرخَ في ثوبِ الموسلين خاصتي.

وأخيرا تمنّي ليَ الخيرَ في رحلتي.

مع حبي وتحياتي لك وللكولونيل،

المحبة: ليديا بينيت }

هنا صرخت اليزابيث: «يا للصغيرةِ المجنونة، كم أنّها بلا أيِّ عقلٍ أو تفكير هذه المجنونة الخرقاء، ما هذه الرسالة؟، يبدو منها أنها هربت وهي مصممةٌ

على الزواج وليس أيُّ شيءٍ آخر، أي لم تفكر في أنّها ستقع في الخطيئة، ولا أدري بماذا أقنَعها ويكهام لاحقاً. كم أُرثي لحالِ أبي المسكين، حين عرف مضمون الرسالة».

كان ردُّ جاين : «لقد ذُهِل تماماً، وبقي صامتاً لعشرِ دقائق، ولكنَّ أمي مرِضت في الحال حين قرأت الرسالة، حاولت أن أهدّئها وأواسيها على قدر استطاعتي، لأنني كنتُ مصدومةً أيضاً، ثمّ جاءت خالتي السيدةُ فيلبيس يوم الثلاثاء ومكَثت إلى يوم الخميس، وساعدتني كثيراً في المنزل على قَدر استطاعتها. كما أن السيدة لوكاس جاءت أيضا لتقف معنا وتواسينا».

- «أخبريني يا جاين، ما هي خطة أبي لاسترجاع ليديا؟»

- «لقد أخبرني أنّه سيذهب إلى منطقة ابسوم قرب لندن، ويسأل عنهما، في محطة كلابهام، حيث قيلَ أنهما قد استبدلا العربات هناك، قبل اختفائهما».

الفصل السادس

في صباحِ اليوم التالي، انتظر الجميعُ في لونغ بورن، رسالةً من السيد بينيت ليخبرهم بآخر التطورات، لكن للأسف لم تصل أي رسالة، وانطلق بعدها السيد جاردنر إلى لندن ليلتقيه، ويساعده في إيجاد ليديا. ووعدهم بأنه سوف يقنعه بالرجوع إلى لونغ بورن، وقد ترك زوجته وأطفاله في لونغ بورن، لتقف معهم وتواسيهم. وكان ذلك ذا منفعة، حيث أن السيدة جاردنر ذات منفعةٍ وعونٍ كبيرٍ لهم.

كما حضرت خالتهم السيدة فيليبس إلى لونغ بورن عدّة مراتٍ لتساعدهم، لكنّها في كلِّ مرةٍ، كانت تقول لهم أشياءَ سيئةٍ عن ويكهام، عندما كان في ميريتون، وما يقوله الناسُ عنه هناك ، وعن ديونه ومشاكله المالية، وكان هذا الكلام يخيفُ البنات أكثر من بداية الحادثة.

سافرَ الخالُ يوم السبت إلى لندن، ووصلت إلى زوجته رسالةً منه يوم الثلاثاء، يخبرُها فيها أنه وجدَ السيد بينيت وأقنعهُ ليذهب معه إلى منزله في لندن، وأن السيد بينيت سألَ كثيراً في محطة كلابهام لكنّه لم يصل إلى أية معلومة عن ليديا، وأنه سوف يسأل في الفنادقِ في تلك المنطقة، علّه يعثر عليهما. وأنّه لم يستطع اقناع السيد بينيت بالعودة إلى لونغ بورن، ثم كتبَ ملاحظةً في نهاية

الرسالة، وهي أنه كتب إلى فوريستر، يريد منه أن يسألَ أصدقاءَ ويكهام في الكتيبة، ما إذا كانوا يعرفون عن وجود أي أقرباء لويكهام، وختم الرسالة بقوله أنّه يظن أن اليزابيث من الممكن أن تساعد في ذلك الموضوع، لأنها كانت تعرفُ ويكهام جيداً.

لم يكن لدى إليزابيث أية معلومات ممكن أن تساعد في ذلك الموضوع لأنّه لم يذكر لها ويكهام أيُّ شيءٍ عن عناوين أقاربه في لندن ، لذا لم يرسلوا للسيد جادنر رداً على رسالته.

لاحقاً أرسل السيد جادنر رسالته الثانية ليخبرهم، أنَّ الكولونيل فوريستر، لم يعطِهِ أي أسماء لأقارب لويكهام، لأنَّ ليس لديه معلومات حول أي أقارب معروفين، وأنه ترك برايتون وهو مدينٌ بأكثرِ من ١٠٠٠ جنيه، في لعبِ القمار. وأخبرهم الخال أن ينتظروا عودةَ السيدِ بينيت للبيتِ في الغد، لأنّه اقنعه أخيراً بأن يعود ويبقي على عاتقه مهمة البحث عن ليديا.

تم الإتفاق على أنَّ العربة التي تأخذ السيدة جاردنر وأطفالها إلى لندن في صباح اليوم المقبل، سوف تُرجع السيد بينيت للمنزل في لونغ بورن. وحين وصل السيد بينيت فرحت الفتيات بعودته، لكنه كان حزيناً وكسير النفس، ولم يستطع أن يعودَ إلى طبيعته السابقة.

حاولت اليزابيث أن تخفف عنه، لكن بلا فائدة، ثم أخبرها، أنه لم يغضب منها حينما حاولت أن تنصحه في شهر مايو الماضي بأن يكون أكثرَ شدةٍ مع بناته، وأنّه نتيجة لما حدث فسوف يغيّر من معاملته لهنَّ، وسوف يكون شديداً مع كيتي، ولن يسمحَ لها بالخروج من المنزل، إلا مع إحدى اخواتها، وأنه يجب عليها، أن تقرأ وتدرس يومياً، قبل التفكير بالخروج من المنزل، كما أنه سيمنع أيَّ ضابطٍ من الضباط من المجيء إلى منزله، أو حتى إلى قريته.

بدأت كيتي في البكاء، لأنها أحست أنَّ أباها جديٌّ وحازمٌ في كلامه.

الفصل السابع

بعدَ يومينِ من عودةِ السيد بينغلي، كانت اليزابيث وجاين تتمشيان في الحديقة وراءَ البيت، فشاهدا الخادمةَ قادمةٌ باتجاهها، وسألتهما عن آخر أخبار ليديا، لأنَّ هناكَ رسالةً وصلت من خالهم منذ قليل، ركضَتِ الفتاتين إلى المنزلِ تبحثان عن أبيهما، وعندما لم تجداه، أخبرهما الخادم، أنّه في الخارج، فبحثا عنه حتى وجداه يتمشى في الخارج، وعندما وصلتا اليه، سألته اليزابيث عن الأخبار، فأعطاها رسالة خالها، لتقرأها بصوتٍ مسموع:

{ عزيزي السيد بينيت،

لقد وصلتني أخبار عن مكان ليديا وويكهام في لندن، واستطعتُ أن أصل إليهما وأن أراهما معاً، هما لم يتزوجا حتى الآن، وليسَ عندهما النيّة في ذلك، لكني أقنعتهما بالزواج، ووافق ويكهام بشرط أن توافق على شرطين أملاهما علينا، أولهما أن تكتب نصيبها من الإرث بعد وفاتك ٥٠ جنيها استرلينياً في السنة، وأن تعطيها ١٠٠ جنيه استرليني سنوياً طالما أنتَ على قيدِ الحياة

أنا في انتظارِ ردّك لأعلم كيف ستجري الأمور، حتى يسعني توكيل محامٍ لمتابعةِ الإجراءات القانونية. وأؤكد لكَ أنّه ليس من الضروري أبداً حضورك إلى لندن، حيث أنني ساقومُ بكلِ الإجراءات بالنيابة عنك.

في انتظار ردك لأتصرف.

ادوارد جاردنر}

وهنا صرخت اليزابيث: «إذاً من الممكن أن يتزوجها!».

فقالت جاين: «يعني أنَّ ويكهام ليس بهذا السوء الذي صوّره به الآخرون، أهنئك يا أبي، وهل كتبتَ له رداً على رسالته؟»

- «لا ليس بعد، وإن كان يجب عليَّ أن أسرعَ في ذلك، فكلُّ دقيقةٍ تمرُّ مهمةً للغاية».

فعرضت عليه أن تكتب الرسالة عنه لتريحه من هذا العبء، لكنّه رفَض، ثم استداروا جميعاً ورجعوا إلى المنزل. وأثناء ذلك سألت اليزابيث والدها: «وهل يجب أن نلتزمَ بالشروط المالية؟»

فرد الوالد باستهجان: «نلتزم؟ أنا مذهولٌ أنّه لم يطلب أكثر من ذلك، لأنّه حتى لو طلب، فإنني حتماً سأقبل بأي مبلغ، لأنني أريده فقط أن يتزوجها، لكن أريد أن أعرف ما هو المبلغ الذي دفعه خالك ليصل معه إلى تلك الإتفاقية؟! حيث أنه لم يكن سيقبل لولا ذلك، أتذكران في الرسالة عندما أخبرنا خالك، أن ويكهام عنده مبلغ من المال، وسيدفع منه ديونه، ويتبقى مبلغ يكفي ليعيش هو وليديا، مع نقودها مني حياة كريمة، ذلك المبلغ هو من خالك. كم هو كريم ومحترم خالك، ومتى من الممكن أن أستطيع أن أرجع له تلكَ النقود!».

وهنا قالت جاين باندهاش: «ماذا تعني يا أبي، بأنَّ خالي دفعَ له نقوداً؟»

- «أعني أنَّ شخصاً انتهازياً مثله، لن يقبلَ بالزواج بليديا فقط لأنه سيأخذ

١٠٠ جنيه في السنة مني، وخمسين جنيهاً سنوياً بعد مماتي».

وعلّقت اليزابيث: «هذا صحيح يا أبي، فليس من المعقول أن يقبلَ بهذا المبلغ البسيط، مع أنّ ذلك لم يخطر ببالي حين قرأتُ الرسالة، مسكين خالي، كم تتصور أنّه دفع له؟»

- «ليس أقل من ١٠٠٠٠ جنيه، فويكهام طماعٌ واستغلالي، وخالكُ كان يريده أن يوافقَ على الزواج بأي وسيلةٍ ممكنة».

- «يا إلهي! عشرةَ آلافِ جنيه، كيفَ من الممكنِ أن نُرجع لخال حتى نصف هذا المبلغ؟»

صمتَ السيدُ بينيت ولم يعرف بماذا يجيب، واستمرّوا في طريقهم للمنزل، وعندما وصلوا ذهب السيد بينيت إلى المكتبة ليكتبَ الرسالةَ لجاردنر، وذهبت اليزابيث وجاين إلى غرفةِ الجلوس، وهما تعلّقان بإضافاتٍ واستنتاجاتٍ أخرى حول ما جرى، لكنّهما كانتا سعيدتين لأنه سيتزوجها في النهاية، حتى لو كان شخصاً سيئاً، ومن الممكن أن لا تكون ليديا سعيدةً معه، لكنَّ ذلك الزواج أمرٌ حتمي من أجل سمعةِ العائلة. ثم أنّهما كانتا حزينتين لأنَّ خالهما دفعَ مبلغاً كبيراً كهذا ليساعدهم، وهو عنده أطفالٌ ومسئوليات جمّة، كما أنّهما لا يعرفان كيف بوسع أبيهما أن يعيد ذلك المبلغ لخالهما، ناهيك عن أنَّ خالهما الآن، قد أخذ ليديا إلى منزله ووضعها تحت عنايته هو وزوجته.

ثم ذهبتِ الفتاتان إلى أبيهما في المكتبة وأخذا الإذنَ بالحصولِ على الرسالة وأخذها إلى أمهما لتعلم بما حصل، لأنَّ ذلك سيفرحها، فسلّمهما الرسالة بينما كان يكتبُ رسالته إلى جاردنر.

فرحت الأمُ كثيراً وابتهجت بأنَّ ليديا ستتزوج أخيراً، وأنها ستراها بعد غيابٍ طويل، فهي مشتاقةُ لابنتها، لكنّها بادرت إلى التفكير في ملابس

الزفاف، وقرّرت السيدة بينيت، أن تنزلَ إلى الأب في المكتبة، لتعرفَ كم سيعطيها من نقودٍ لتشتري ثوبَ زفافٍ ليديا.

ثم طلبت السيدة بينيت من جاين أن تحصي الأغراضَ والأقمشة المطلوبة للزفاف، وهي ستكلّم زوجها لاحقاً في بقيّة التكاليف، وقررت الذهاب إلى ميريتون لتخبر أختها السيدة فيليبس بالأخبار السارة، ثمَّ طلبت من الخادمة أن تذهب وتستدعي السيدة لوكاس والسيدة لونغ لتخبرهما بأنَّ ليديا سوف تتزوج أخيراً.

الفصل الثامن

أخذَ السيدُ بينيت يفكّر أثناءَ كتابته الرسالة في المكتبة، بأنّه يجب أن يعرفَ ما هو المبلغ الذي دفعَه جاردنر من أجل أن تعود ليديا، لأنّه لا يريدُ أن تبقى ليديا مدينةً لخالها كل حياتها، وخصوصاً أنّه يكفيها سوءَ حظها أنّها ستتزوج أسوأَ شابٍ في كل انجلترا. وفكّر أيضاً في أن يوزّع ثروته على بناته وزوجته قبل مماته، لأنّه كان حزيناً أنّه لن يورّث البيت لهم، بسبب سوء الحظ أيضاً في عدم إنجاب ابنٍ ذكر يحمي أخواته وأمه من أن يذهبَ منهم البيت الذي يأويهم.

ثم أكملَ كتابة الرسالة إلى جاردنر، فشكره على جهوده، وطلب منه أن يخبره بالمبلغ الذي دفعه لويكهام، كي يقوم بسداده له لاحقاً. وختم الرسالة وأرسلها بالبريد.

أما السيدة بينيت فقد نزلت أخيراً من غرفتها وهي في أفضل حالاتها، بعد بقائِها أسبوعين منعزلة. كانت سعيدة وتتصدّر المائدةَ بفخر، لأنّه أخيراً ستتحقق أمنيةً من أمنياتها وتتزوج إحدى بناتها، وهي لا زالت في السادسة عشر، وهذه الأمنية تعود إلى زمنٍ منذ أن أصبحت جاين في السادسة عشر ولم تتزوج. فرحت السيدة بينيت أيضاً لأنّها أرسلَت تلكَ الأخبار لجميعِ الجيران في المنطقة.

إنتظر السيد بينيت الخدمَ ليذهبوا، ليقاطِعَ حديثَ زوجته عن تحضيرات زفاف ليديا، ليخبرها بقراراتهِ بشأنِ زواجِ ليديا، وكان القرارُ الأول بأنّه لن يسمحَ أبداً لابنته ليديا ولا لزوجها بدخول منزله في لونغ بورن على الإطلاق، والثاني بأنّه لن يدفع لها أيُّ نقود لتحضيراتِ الزواج، لأنّه لن يكافئها على وقاحتِها. صُدمت السيدة بينيت من هذه القرارات، ولم تقدر أن تتصور كيف يعامل ابنته بهذه الطريقةِ القاسية.

أخذت اليزابيث تفكّر في هذا الزواج الذي سوف يتم بين ليديا وويكهام، وكيفَ أنّه بحصوله، سيُلغي كلَّ أملٍ لها في أن تتزوج من دارسي الشخصِ الوحيدِ الذي كانَ يصلحُ لها، بمواصفاته الشخصيّة المتزنة الرصينة، ولكنَّ هذا الأمل الذي أدركت أهميّته الآن فقط، قد ذهبَ بلا عودةٍ، بسببِ زواج أختِها من الشخصِ الذي آذى حبيبها دارسي وهو ويكهام الانتهازي الطمّاع.

وصلت رسالةٌ من السيد جاردنر للسيد بينيت، يخبرُه فيها، أنّه لا يريد من أحدٍ أن يدفعَ لهُ أي نقود، لأنّه فعلَ ذلك بدافعِ الوقوف مع عائلته ومساندتها، وأن ويكهام، سوف يستقيلُ من كتيبته، ويلتحقُ بعملٍ آخر في الشمال، حتى يكون في منطقةٍ لا يعرف أهلها شيئاً عن مشاكلهِ السابقة، وسوفَ يذهبُ مع ليديا إلى هناك بعد إتمام إجراءات الزواج خلال أسبوع. وأنَّ ويكهام قد أخبر الخال بقائمةِ الذين يدين لهم بنقود، وأنّه سوف يسدد للجميع ديونهم التي على ويكهام.

وأخيراً أخبرهُ بأنَّ ليديا تريدُ أن تحضر إلى لونغ بورن لتودّع أمّها وأبيها قبل سفرها إلى الشمال.

رفضَ السيدُ بينيت في البداية أن يستقبل ابنته وزوجها في لونغ بورن، لكنّه وافق بعد إصرارِ اليزابيث وجاين على ذلك والتحايل عليه واستدرار عطفه، في ذلك الحين أرادت أمها أن تجعل جميع الجيران يرونَها ويعرفون أنّها قد

تزوجت.

حينها كتب السيد بينيت رسالة الى السيد جاردنر يعلمه فيها بموافقته على حضور ليديا الى البلدة.

الفصل التاسع

أقبلَ يومُ زفافِ ليديا وويكهام، وكانت الترتيباتُ، أن تُرسَل لهم العربة بعد انتهاء إجراءات الزواج، ليصلوا إلى لونغ بورن في المساء.

وصلَ العروسان إلى لونغ بورن، وكانَ الجميعُ في انتظارهم في غرفةِ الجلوس، وبمجرّد أن سمعوا صوتَ العربة تصلُ إلى المدخل، ابتسمت السيدةُ بينيت، واكفهرَّ وجهُ السيد بينيت، أمّا الأخوات فكنَّ ينتظرنَها في قلقٍ وترقب، ثمَّ سمعَ الجميعُ صوتَها في المدخل، ودخلت ليديا راكضةً إلى غرفة الجلوس، واحتضنت أمها، وكان ويكهام في إثرها، فمدّت السيدة بينيت يدها وصافحته، وتمنّت لهما زواجا موفقاً، أمّا والدها فقد صافحهما بطريقة رسمية وغير ودودة، لأنّه وجدَهما يتصرّفان بثقةٍ بالنفس، وكأنّهما لم يرتكبا أيَ خطأ. كانت اليزابيث تشعرُ بالاشمئزازِ منهما، أمّا جاين فقد أحسّت بالصدمةِ من طريقةِ تصرّف ليديا معهم وكأنَّ شيئاً لم يحدث.

ثم جلسَت وطلبت من الجميع أن يُهنئوها على الزواج، وحتى ويكهام أخذَ يتصرّف بلطافةٍ وكأنَّ شيئاً لم يحدث.

تحدّث ويكهام أمامهم، عن أنّه يعلم كم أنّ العائلة سعيدةٌ بالارتباط بهِ كصهرٍ لهم. فيما كانت اليزابيث تحدّثُ نفسها، كيف ظنّت سابقاً أنَّ لوقاحةِ

ويكهام من حدود، لكنّها الآن متأكدةٌ من أنّه ليس لوقاحته وجلافته أيَّ حدود.

ولسوء حظِ اليزابيث، كانَ ويكهام يجلسُ بقربها، فأخذ يتحدّث معها في لطفٍ ومرحٍ عن الجيران في الجوار، وذكرياته السعيدة معهم. وحتى ليديا، صرّحت أنَّ غيابها عن البيت منذ ثلاثة أشهرٍ مضت وكأنهم أسبوعين فقط. وسألت أمها فيما لو كان الجيران يعلمون بزواجها، لأنّها حين سافرت لم تكن تعلم أنها ستعود متزوّجة.، مع أنّ الزواج شيءٌ جميلٌ كما اكتشفت.

أحسّت اليزابيث بالاشمئزاز من تصرفات وكلام أختها، ولم يعد لديها طاقةً للإستماع إليها، فنهضت من مكانها وخرجت بسرعةٍ من الغرفة، ولم تعد إلا عندما ذهبَ الجميعُ إلى غرفةِ الطعام، هناكَ سبقت جاين وجلست على يمين أمّها، وقالت لها: «حسنٌ ياجاين، هذا مكاني الآن، لأنني أرفع منكِ مرتبة عائلية، فأنا امرأة متزوجة الآن».

ثم بعدَ العشاء ذهبت ليديا لزيارة الجيران، لتجعلهم يشاهدون خاتم زواجها، وتتفاخر بهذا الزواج أمامهم، وتطلب منهم أن ينادوها، السيدة ويكهام، كما أخبرت أخواتها. ثمَّ سألت أمها: «حسناً يا أمي، ما رأيك بزوجي، أليس وسيماً؟ لا بدَّ أن أخواتي يحسدنني عليه! أتمنى لهنَّ الحصول على حظي الجميل، ولكن عليهنَّ الذهاب إلى برايتون للحصول على أزواج، فهناك هو المكان المناسب لذلك».

ردّت أمّها: «حسناً يا عزيزتي، معكِ حق، لكنني أريد أن أخبركِ أنني غيرُسعيدةٍ أبداً بذهابك إلى الشمال، فذلك لا يعجبني. هل يجب عليكم الذهاب إلى هناك، يا إلهي لماذا لا تبقي هنا؟»

- «لا أمّي، ليسَ في الأمر من سوء، أنا سعيدة بذهابي إلى هناك، وسوفَ

نقضي كلَّ الشتاء في نيوكاسل، في الشمال، وأريدكَ أن تأتي أنت وأبي وأخواتي لزيارتي هناك، ولسوفَ يكونُ هناك الكثير من حفلاتِ الرقصِ، وسوف أحاولُ أن أجدَ لهنَّ شباباً محترمين كشركاءٍ هناك».

- «أتمنى ذلكَ يا حبيبتي ليديا، سوف يُسعدني ذلك بشكلٍ كبير».

- «كما أنني أريدك أن تتركي واحدةً او اثنتين منهنَّ معي هناك، وأنا أعدُك أنني سأسعى لتزويج كل واحدةٍ منهنَّ، قبل انتهاء الشتاء».

أجابت اليزابيث: «أشكرَكِ بالنسبة للجزءِ الخاصِ بي من هذا المخطط، إنّما لا أحبُّ طريقتك في إيجاد الأزواج».

غادرت ليديا وويكهام لونغ بورن، بعدَ عشرةِ أيامٍ، لأنّه جاءَ وقتُ التحاقِ ويكهام بكتيبتِه في الشمال، ولم يحزن لزيارتهم القصيرة إلا السيدة بينيت، التي حزِنت كثيراً. وقد استغلتا ليديا والسيدة بينيت هذه الزيارةَ في الذهاب إلى الجيران والأقارب، حتى يرى الجميعُ أنَّ ليديا متزوجة من ويكهام الوسيم، وأنّه يحبها كثيراً، حسب رأي السيدةِ بينيت.

كانت اليزابيث تتساءل طوالَ تلك المدة، عن سببِ هروب ويكهام مع ليديا، وقرّرت أن تراقبَ سلوكَه عندما يصلُ مع أختها، وعندما وصلوا، وبعد مراقبته، علمت أن ليديا هي التي وقعت في غرامِه بجنون وتوّسلته أن يهرب معها، وبما أنّه ليس عنده أيَّ موانع أخلاقيةٍ تردعه، فقرّر أن يستغل الفرصة. وكان هذا واضحاً من طريقةِ تعامله معها.

وقبل مغادرتِها كانت ليديا تجلسُ مع جاين واليزابيث، فسألتِ اليزابيث: «أنتِ لم تسمعي التفاصيل عن يوم زواجي، أليس كذلك؟»

ردّت اليزابيث: «لا يهمني أن أعرف، ولا أريد».

هنا اعترضت ليديا: «لكن يجب أن تعرفي يا اليزابيث، لقد تعاملَ خالي

وزوجَتَه معي بحزمٍ وشدّة، عندما وجداني أخذاني معهما إلى بيتهما، ومنعاني من الخروج من البيت لمدةِ أسبوعين كاملين. وتمَّ الإتفاق على أن تجري مراسمَ الزواجِ في الكنيسة، وأنَّ خالي هو الذي كان سيسلّمني إلى ويكهام، لكن جاءَه زوارٌ بشأنِ عملٍ ما، وتأخّر معهم، وأنا كنتُ قد لبستُ ثوب الزفاف، وتحضّرت للذهاب للكنيسة، وفيما كنتُ أنتظرُ خالي، خفتُ إن تأخرت أن يُلغى الزواج، فكنت مرعوبةً من ذلك، لكن الحمد الله انتهى خالي من صديقه بعد عشرِ دقائق، وذهبنا للكنيسة، وكانَ ذلكَ رائعاً. إنّما علمتُ بعد ذلك، أنّه كان من الممكنِ للسيدِ دارسي أن يأخذَ مكان خالي ويسلّمني لعريسي».

هنا صُدمت اليزابيث وصرخت: «السيد دارسي، وما صلته بالموضوع، ولمَ كانَ هناك في الكنيسة؟»

- «لقد جاءَ مع ويكهام إلى الكنيسة، ولا أستطيع أن أقولَ أكثرَ من ذلك، لأنَّ عزيزي ويكهام سيغضبُ إن ثرثرت حول ذلك، فهو جعلني أقسمُ أن لا أخبرَ أحداً عن وجود دارسي معه».

تدخّلت جاين وقالت: «إذاً لا تقولي شيئاً حول الموضوع، حتى لا تفقدي ثقة ويكهام، وهو زوجك الآن».

ولتخفيَ اهتمامها، قالت اليزابيث أيضاً، أنّها لا تريد أن تعرفَ ولا يهمها الموضوع. وأسرعت بالخروج من الغرفة، حتى لا تضعَفَ وتلحَّ في سؤال ليديا عن ذلك، مع أنها كانت ستُجن لتعرف السبب في وجود دارسي وكيف علم بالأحداث.

ثم قررت اليزابيث أن تكتب رسالة لزوجة خالها، تقنعها فيها بأن تخبرها عن سبب وجود دارسي مع ويكهام في الكنيسة، وتخبرها أيضاً أنها أن لم تقل لها الأسباب، فإنها ستبحث بنفسها عن ذلك بطرقٍ ملتوية.

الفصل العاشر

تسلّمت اليزابيث الردَّ على رسالتها من زوجةِ خالها، في أسرعِ وقت، وعندما تسلّمتها، أسرعت إلى ركنٍ بعيدٍ في الحديقة، لتجلس لوحدها دون أن يوقفها أحدٌ عن القراءة. وعندما فتحت الرسالة، وجدَتها طويلة، ففرحت لأنَّها متأكدة من أنَّ زوجة خالها، ستخبرها عن السبب، وقرأت:

{ عزيزتي إليزابيث

لقد تسلّمتُ رسالتَكَ الآن، وسوفَ أخصّص لها كلَّ الصباحِ للرِّد عليها، حيث أنّني أريدُ أن أشرَحَ لكِ ما حصل بالضبط.

في نفسِ اليوم الذي غادَرتُ فيه لونغ بورن إلى لندن، وعندما وصلتُ إلى البيت، وجدتُ أنَّ عندنا زائر غريب، وكان ذلك هو السّيد دارسي. وقد جلسَ مع خالكِ في مكتبه لعدة ساعات، وبعد ذهابِه، أخبرني خالك، أنَّ السيد دارسي جاء إلى لندن بعد وصولنا إلى لونغ بورن بيوم واحد، ليبحث عن ويكهام، معتبراً أنَّ ما حدَث كان بسببِ غلطته، بعدم إخباره الناس بشرورِ ويكهام، وبالتالي لم يحذر الناسُ كي يبتعدوا عنه. لذلك كان يجب أن يجد ويكهام وليديا ليصحّح غلطته.

ولقد كانت لديه مصادراً للبحث لم تكن موجودة لدينا، لذلك استطاع

أن يصل لهما ويحضر ليديا لمنزلنا. لقد كان يعرف سيدة، تدعى السيدة يونغ، والتي كانت مربيّةً لأختِ السيد دارسي، لكنّه أوقفها من العمل، لأسباب لم يذكرها أمامنا، وبعد ذلك جاءت السيدة يونغ إلى لندن واشترت منزلاً كبيراً في شارع ادوارد، وأخذت تؤجّرغرفه للناس كنُزلٍ للعموم. وكان ويكهام على علاقة بهذه السيدة من قبل، لذلك عندما جاء دارسي إلى لندن أخذ يبحثُ عن عنوانها حتى وجدَها، وجعلها تعترفُ في نهاية المطاف عن مكان ويكهام وليديا.

بعد ذلك تكلّم دارسي مع ويكهام عدّة مرات، ومع ليديا مرةً واحدة، حيث حاول في البداية اقناعها بالعودة إلى أصدقائها في برايتون، وترك ويكهام، لكنّها رفضت، وأخبرته أنّها تحب ويكهام ولن تتركه، وأنّه لا بد أن يتزوجها في يوم من الأيام، ولا يهمها متى سيحدث ذلك طالما هي تحبّه. وقد علمَ من ويكهام عندما رآه أولَ مرةٍ هناك، أنّه لا يرغب بالزواج من ليديا ابداً.

قرّر دارسي، أن يُقنع ويكهام بالزواج منها، بما أنها لا تريد أن تتركه. فأخبره ويكهام أنه اضطر لمغادرة الكتيبة التي كان يعمل بها، بسبب ديونٍ مالية كثيرةٍ متراكمةٍ عليه، و لم تكن ليديا هي سبب هروبه من هناك، وهكذا كان تائهاً ولا يعلم ماذا يفعل بمستقبله، وعندما سأله دارسي عن سبب عدم زواجه من ليديا في الحال، أخبره أنه لا زال عنده أمل في أن يجد فتاة غنيّة ليتزوّجها وتضمن مستقبله، فوجد دارسي أنَّ الوقت مناسب وبشكل مباشر للبدء بالمفاوضات. وقد استمرت هذه المفاوضات لعدة أيام وذلك من أجل أن يضمن زواجه منها. بعدها جاء دارسي إلى خالك ليعلمه بما توصّل إليه، وقد جاء أول مرةٍ إلى بيتنا، في الليلة السابقة لوصولي إلى لندن، لكنّه علم أن والدك كان هنا مع خالك، وأنه سيغادر إلى لونغ بورن في صباح اليوم التالي، فانتظر دارسي ذهابه، لأنّه علم أنه سيتفاهم مع خالك بشكلٍ أفضل حين يكون

وحيداً.

وهكذا حضَر في صباح اليوم التالي، واستمر حضوره وتفاوضه مع خالك لمدة ثلاث أيام، حتى وصلوا إلى قرار. ثم أرسل خالك لكم الرسالة ليعلمكم بما وصلوا إليه من نتائج.

وأودُّ أن أعلمك أنّه كانت هناك مشكلة، فقد تجادل خالك مع دارسي بجنون لمدة ثلاث أيام دون أي فائدة. لقد اكتشفتُ أنَّ العيبَ الوحيد في دارسي هو العناد، بالرغم من العيوب الكثيرة التي نُسبت إليه. كان خالك يريدُ أن يدفعَ النقودَ لويكهام ليسدّد ديونَه ويتزوّج أختك، لكنَّ دارسي رفض ذلكَ بجنون، وأرادَ هو أن يدفع هذا المبلغ، وأصرَّ على خالك أن يُخبر الجميع أنّه هو من دفع لويكهام، وكان هذا الموضوع مؤلماً لخالك. حتى وصلت رسالتُك التي تطلبين فيها فهمَ ما حدث، ففرِح خالك حينما وجد الوسيلة الناجحة التي ستعطي الحق لصاحبه.

عزيزتي ليزي أرجو منك أن لا تُخبري أحداً بهذا الموضوع، إلا إذا أردت إخبار جاين فقط. لقد دفع دارسي لويكهام الكثير من الأموال، حيث أنَّ دُيونَه التي دُفِعت شارَفت على الألف جنيه استرليني، وألفٌ أخرى له ولأختَك لمصروفات زواجهم، كما أنّه دفع مبلغاً كبيراً لصاحب عملِه الجديد في الشمال أيضاً حتى يقبله معهم. وحين سأله خالك، برّر دارسي، أنه يحاول أن يكفّر عن ذنبه السابق، وعدم إفصاحه عن فظائع ويكهام مما أدّى ذلك إلى تسلله إلى العائلات والتعرّف ببناتها ثمَّ ابتزازها، ولكنني أظنُّ أن هناك سبباً آخر أيضاً، وكوني متأكدة يا ليزي، أنَّ خالك لم يكن ليرضى بذلك، لولا أنَّ دارسي أخبره بسبب آخر مهم، جعل خالك يستسلم عندها.

بعد ذلك سافر دارسي إلى بيمبرلي ليلتحقَ بأصدقائهِ الذين كانوا ما يزالونَ في انتظاره، وأمضى عدةَ أيام، وعادَ إلى لندن ليصحَب ويكهام إلى الكنيسة

للزواج، وكي يسلّمه النقود التي اتفقوا عليها.

في الحقيقة، أريد أن أقول شيئاً وأرجو أن لا تتضايقي مني، لقد أحببت هذا الرجل واحترمته، لشهامته ولطفه وتقديره للآخرين.

أرجو أن تكوني في أحسن حالٍ، وأنّك قد فهمت تفسير وجود دارسي في زواج ليديا.

زوجة خالك المحبة: السيدة جاردنر }

فرحت اليزابيث بشكلٍ لا يوصف بالرسالة، وما جاء فيها، ثمَّ غمرتها أحاسيس متضاربة من الحزن والفرح، وفكّرت كيفَ أنَّ دارسي قد فعلَ المستحيلَ ليساعِدَ أختها، وتحمّل صفاقةَ ويكهام ووقاحتِه من أجلِ ليديا، وتساءلت: هل حقاً فعل ذلك من أجل الواجب، أم من أجلِ شيءٍ آخر؟ هل من الممكن أن يكون فعل ذلك من أجلها هي؟

لقد أحسّت اليزابيث بعد ذلك بالحزن والألم، لأنهم جميعاً مدينون له الآن بالمال، وبإنقاذ سمعة ليديا وسمعة العائلة. لقد حزنت وندمت على المعاملة والأحاسيسِ السيئةِ التي أحسّت بها نحوه سابقاً، وعلى الكلمات القاسية التي وجهتها له، وأيقنت أنّه إنسانٌ يستحقُ كلَّ الحب والتقدير. والآن هي أيضاً فخورةً به، لأنّه استطاعَ أن يسمو بنفسه وأخلاقه، في موقفٍ تطلّب منه الشرف والتعاطف.

أعادت قراءة الرسالة عدّة مراتٍ، وأثناء ذلك اضطّرت للتوقف، لأنّها سمِعت وقع أقدام شخصٍ يقترب منها، نهضت من مكانها لتبتعد، وفجأة وجدت ويكهام يقفُ أمَامها، وقال لها: «أخشى أنني أقطع عليك نزهتَك وخلوتَك يا أختي العزيزة».

أجابت اليزابيث بابتسامة: «صحيحُ أنكَ تقطع نزهتي، لكنَّ ذلك لا يعني بالضرورةِ أنكَ غير مرحبٍ بك».

- «أنا آسفٌ حقاً إذا كُنتُ أفعلُ ذلك، ولكن كنّا دوماً أصدقاءً مقربين، والآن أصبحنا متقاربينِ أكثر من الأول».

- «هذا صحيح، ولكن أينَ الآخرين هل هم قادمون إلى هنا؟»

- «لا أدري، لكنَّ السيدة بينيت وليديا ذهبتا بالعربة إلى ميريتون، وقد علمتُ من حماي وحماتي يا عزيزتي أنّك قد ذهبتِ ورأيتِ بيمبرلي والقصر هناك، إنني أحسدك على ذلك، مع أنني أستطيع أن أزورها وأنا في طريقي إلى نيوكاسل». ثم سألها :«هل رأيتِ مديرة المنزل العجوز المسكينة رينولدز، كانت دوماً متعلقةً بي وتحبّني، ولكن بالتأكيد هي لم تذكر اسمي لك».

- «في الحقيقة لقد ذكرتك».

- «حقاً، وماذا قالت؟»

- «قالت أنّك ذهبتَ إلى الجيش، وأنّك قد تغيّرت إلى الأسوء، ولكن أنتَ تعرف أنَّ الأمور قد تختلطُ على الناس، مع كل هذه المسافات البعيدة».

أجابها وقد اضطرب وأخذ يعضُّ شفتيه: «بالتأكيد هذا صحيح».

توقّعت اليزابيث، بكلامها أنّها ربما أسكتته، ليذهبَ في طريقه، لكنّه سرعان ما قال لها: «لقد فوجئت برؤية دارسي في لندن الشهر الماضي، لقد صادفنا بعضنا عدةَ مراتٍ، لا أدري ما الذي كان يفعله هناك. وتابع تساؤله - لا بُد أنه يحضّر لزواجه من الآنسة دو بيرغ، وإلا ما كان ليذهب إلى لندن في ذلك الوقت من السنة، أليسَ كذلك؟ ثم سألَها أخيراً - هل رأيتِ دارسي عندما كنتِ في لامبتون، أعتقد أن هذا ما فهمته من آل جاردنر؟»

- «نعم رأيتُه، ولقد عرفّنا بأخته الآنسة دارسي».

- «وهل أحببتِها؟»

- «نعم أحببتُها واستلطفتها، هي إنسانة ودودة ومهذّبة».

- «هذا صحيحٌ، لقد سمعت أنّها قد تحسّنت خلال السنة الماضية، وأصبحت أفضلَ، أنا سعيدٌ أنَّكِ أحببتها يا اليزابيث، وأتمنّى لها أن تصبح أفضل دوماً، وهل ذهبتم إلى قرية كيمبتون؟»

- «لا أذكر أننا ذهبنا الى هناك».

- «إنه المكان الذي عشتُ فيه أفضلَ أيام حياتي، في الأبرشية التي أنتمي لها، وكنت سأصبح قسيساً فيها».

- «وهل كنتَ ستحبُ إلقاءَ العظاتِ كقسيسٍ يا سيد ويكهام؟»

- «بالطبع كنت سأحبُ ذلك كثيراً، لأنّه سيُعتبر ذلك جزءاً من واجباتي كقسيس، ومع الوقت كنتُ سأعتادُ على ذلك ولن أصابَ بالإجهادِ والتعب منه، ربما ستكون أفضلَ حياةٍ بالنسبة لي، لو أنّ الموضوع كان قد اكتمل ووصل إلى خواتيمه السعيدة، ولكن أخبريني يا اليزابيث، هل سمعت دارسي يقول شيئاً عن أمورٍ تخصّني، أثناء وجودك هناك؟»

- «لقد سمعتُ من مصدرٍ موثوقٍ، أنّ الموضوعَ تُركَ في يدك، وبإرادة الراعي الحالي لك».

-«نعم صحيح، وكنتُ قد أخبرتُك ذلك من قبل، ألا تذكرين؟»

- «كما أنني قد سمعت يا ويكهام، أنَّ إعطاء العظات في الكنيسة، لم يكن بوسعك القيام به لأنّك قد تثبتُ مع الوقتِ أنّك لا تلتزم بأي أوامر أو قواعد ولذلك فإنّك قد خسرتَ هذه الوظيفة والمنحة المالية بسبب ذلك».

- «هذا صحيح، أتذكرين أنني أخبرتك بذلك عندما التقينا لأول مرة.!!»

عند ذلك الجزء من الحديث، كانا قد وصلا إلى باب البيت، فهي تمشي بخطوات سريعة لتتخلص منه ومن كلامه، وكانت قررّت ألاَّ تواجهه بالحقائق، لأجل أختها ليديا، ولذلك عندما وصلا، قالت له بابتسامة: «تفضّل أدخل يا سيد ويكهام، دعنا لا نتجادل في شيءٍ وننسى الماضي، لأننا قد أصبحنا نظير أخٍ وأخته».

الفصل الحادي عشر

فرحَ ويكهام بنتائج محادثته مع اليزابيث، وبالطريقة التي أدارت فيها الحديث معه عن الماضي، ومن حينها نسيَ الموضوع ولم يعد يتكلم فيه أبداً. حان الوقت لويكهام وليديا ليغادرا إلى نيوكاسل ليلتحق بعمله. وحزنت السيدة بينيت كثيراً لهذا الفراق، وتجادلت مع زوجها كثيرا في موضوع ذهاب العائلة كلها لزيارة ليديا في نيوكاسل.

عند الوداع، أخذت السيدة بينت تبكي وتقول لليديا: «أوه يا حبيبتي، متى أراكِ وقد أصبحتِ بعيدة عني، وجاء وقت الفراق، اكتبي لي دوماً الكثير من الرسائل».

ردّت ليديا: «ليسَ قبل ثلاثِ أو أربعِ سنوات قد نتقابل يا أمي، وأنتِ تعرفين أنني قد أصبحتُ امرأةً متزوجة، ولن يكون عندي الوقت لكتابة الرسائل الكثيرة لكم، دعي أخواتي يكتبنَ لي الرسائل، لأنّه لن يكون عندهم شيء يشغلهم».

كانت طريقة ويكهام في الوداع عاطفية ومحترمة أكثر من طريقة ليديا، حيث ودّعهم بحبٍ وتقديرٍ وطريقةٍ جميلة، وقال السيدُ بينيت بعدها: «إن السيد ويكهام شاب رائع ، وحالياً هو محترمٌ مثلما عرفناه أول مرة، لقد تأثّر وبكى في

وداعِنا، وإنني أتحدى حتى السيد لوكاس، أن يكون صهره أفضل من صهري هذا».

بقيت السيدة بينيت حزينة ومتأثرة لغياب ليديا عدة أيام، لكن سرعان ما سمعت خبراً أفرحَها، لقد سمعت أن مدبرة منزل نيثرفيلد، تعد المنزل لاستقبال سيدها حيث أن السيد بينغلي، قادم إلى نيثرفيلد للبقاء فيها عدة أسابيع، فنظرت إلى ابنتها جاين وهي تبتسم وتهز رأسها، وتقول لأختها السيدة فيليبس التي جاءت لزيارتها، وأخبرتها بهذه الأخبار: «هذا جميل يا أختي، لكن في الحقيقة لا يهمّني هذا الموضوع لأنَّ السيد بينغلي لا يعنينا، أتعلمين أنني لا أريد أن أراه مرة أخرى، لكن بالطبع أهلاً به في بيته، ومن يدري ماذا ستؤول إليه الأحداث؟!»

تغيّر لون جاين عندما سمعت أن السيد بينغلي قادم إلى نيثرفيلد، وعندما سألتها اليزابيث لاحقاً، أجابتها أن حالة التوتر تصيبها، كلّما ذُكر إسم بينغلي، فإن الجميع ينظر إليها، بينما هي لا تهتم بالموضوع لا سلباً ولا إيجاباً ، فهو لا يعنيها البتة، وأخبرت اليزابيث، أنها سعيدة لانه سيأتي لوحده بلا شقيقتيه، حيث معنى ذلك أنها لن تراه كثيراً.

لم تدرِ اليزابيث ماذا تقول لجاين، لأنّها كانت ستفكّر مثلها، لو أنها لم تقابل بينغلي في ديربي شاير، ولكن عندما رأته هناك تأكدت أنه مازال يحب أختها، وحتى أنّ أختها ما زالت تحبّه، من طريقة ردّة فعلها على الموضوع.

وبدأت المضايقات من السيدة بينيت، إذ قالت لابنتها جاين: «عندما يصلُ السيد بينغلي، لا بّد أن نذهب لزيارته».

لكنّ جاين ردّت عليها بعصبية: «لاأبداً يا أمي، لن أذهب. منذُ سنة عندما وصل إلى نيثرفيلد أنتِ من أجبرتِنا على الذهابِ إلى هناك، لأنّك كنتِ تأملينَ

أن يتزوج إحدانا، وكان كل ذلك المجهود بلا فائدة، ولم يحدث شيء، لن أعودَ لذلك التصرّف، ولن أجعلَ من نفسي حمقاءَ مرةً أخرى».

وحتى السيد بينيت قال لزوجته عندما طلبت منه أن يذهب لزيارة بينغلي عندما يعود: «لن أذهبَ إلى هناك، حتى لو كانت الأعراف الإجتماعية تقضي بأن يزور الرجالُ بعضهم عندما يعود أحدهم للحي بعد غيابٍ أو سفر، فأنا أكره تلك العادات الإجتماعية، ولن ألاحقَ جيراني لأزورهم كلما عاد أحدهم من السفر، من يريدنا هو يعرف منزلنا، يستطيع أن يأتي ليزورنا متى يشاء».

- «أنتَ حرٌ في رأيك، ولكنّه لن يمنعني ذلك من دعوته للعشاء عندنا ، مع السيدة لونغ والسيدة جولدنغ».

وبعدها قالت جاين لأختها اليزابيث: «لقد بدأت أتضايق من أن بينغلي سيأتي مرةً أخرى، مشكلتي ليست معه، بل مع طريقة أمي في التعامل مع كل الموضوع، إنها تؤلمني، وتجعلني أعاني وأتوتر كلما ذكرت اسمه، وماذا تريد منه أن يفعل؟ هو لم يعد يعني لي شيئاً، وسأكونُ سعيدةً عندما تنتهي زيارته في أسرع وقت لنيثرفيلد».

ردّت اليزابيث: «أتمنى أن أقول لك أي شيء ليريحك يا حبيبتي جاين، لكنّ الموضوع ليس بيدي».

وصلَ السيد بينغلي إلى نيثرفيلد، وكانت السيدة بينيت من أوائل الذين عرِفوا بوصوله بمساعدةِ الخدم الذين أوصلوا لها الأخبار، وأخذت تنتظر الأيام ليصبحَ الوقتُ ملائماً لدعوته للعشاء، لأنه لم يكن عندها أمل في أن يأتي لزيارتهم من نفسه.

لكن في صباح اليوم الثالث من وصول بينغلي إلى البلدة، رأت السيدة بينيت من نافذة غرفتها أن السيد بينغلي يتجه لمنزلهم من الممر الواصل من البوابة

الخارجية للبيت، صرخت وطلبت من بناتها أن ينظرنَ من النافذة ليشاركنها فرحتها، لم تستجب لها جاين وبقيت في مكانها، لكنَّ اليزابيث أرادت أن ترضي والدتها، فنهضت ونظرت من النافذة، ودهشت لرؤية دارسي معه، فرجعت إلى مكانها وجلست قرب أختها.

هتفت كيتي قائلة: «هناك رجل آخر معه يا أمّي، يا ترى من عساه يكون؟»

- «أظنُّ أنّه أحد معارفه يا عزيزتي، إنها لا أعرفه».

- «أظن يا أمي أنه صديقه المرافق الدائم له، الرجل الطويل المتفاخر بنفسه، آه... انه السيد دارسي».

- «يا إلهي، أنا قلت دوماً أنَّ أي شخص من أصدقاء بينغلي مرحبٌ به هنا، إلا هذا الرجل، إنني أكره حتى أن أراه».

نظرت اليزابيث وجاين إلى بعضهما، وأشفقت كل واحدة منهن على الأخرى من هذا الموقف المحرج، وما لبثت أن أخبرتهن الأم، أنها قررت أن تكون لطيفة معه فقط، من أجل خاطر السيد بينغلي».

أحسّت اليزابيث بالإحراج، لأنها لم تُخبر جاين بعد برسالة السيدة جاردنر عن دارسي، ولم تخبرها أيضاً، أن مشاعرها نحو دارسي قد تحوّلت الى الود والاحترام والثقة.

عندما ذهبت الخادمة لتفتح الباب، تغيّرلونُ جاين وأصبحت شاحبةً، ثمَّ استردّت لونها بمجرد ظهور السيد بينغلي، ولكنّها استقبلته ببرودٍ، بينما استقبلت اليزابيث الرجلينِ بترحيبٍ غير مبالغٍ فيه، ثم جلست مكانها، ونظرت نظرةً خاطفة إلى دارسي، ولاحظت أنَّ الجديّة بدت عليه أكثر مما كان في ديربي شاير عندما قابلَ خالَها وزوجته، ولكنّها فسّرت ذلك، بسبب تواجد أمّها. أحسّت الفتاتان بالخجلِ من طريقة أمّهما في الترحيب الشديد والحميم

بالسيد بينغلي، والترحيب البارد المصطنع بصديقه السيد دارسي. استاءت اليزابيث كثيراً لأنَّ دارسي لا يستحق تلك المعاملة السيئة من أمّها، خصوصاً أنّه من أنقذ ابنتها الصغيرة من العار، وحزنت أيضاً لأنّ دارسي لم يستطع أن يتصرّف على سجيته كما كان في ديربي شاير.

بدأت السيدة بينيت الحديث مع بينغلي:

- «لقد ذهبتَ من هنا منذ وقتٍ طويل يا سيد بينغلي».

فردَّ عليها بينغلي بالايجاب.

ثم تابعت: «لقد بدأت أشكُ في أنّك لن ترجع للبلدة، حتى أنَّ بعض الجيران قالوا أنّك هجرتَ منزلك في نيثرفيلد للأبد. أوّد أن أخبرك أنّه حدثت أمور كثيرة في غيابك، مثلاً، تزوجت الآنسة لوكاس واستقرّت، وتزوجت إحدى بناتنا، لا بدّ أنّك سمعت عن ذلك، حيث كان الخبر في جريدتي التايمز وكوريير، لكنَّ طريقة صياغة الخبرين لم تعجبني، حيث لم يذكروا اسم والدها، ولا مكان سكنها السابق، هل رأيت الخبر؟»

أجاب بينغلي بأنّه رآه، ثم هنأها بذلك الزواج. وفي تلك اللحظة أحسّت اليزابيث بالإحراجِ الشديد، ولم تتجرأ أن ترفع عينيها.

أكملت الأم ثرثرتها: «هل عرفتَ أنّ ويكهام ترك كتيبته القديمة وذهب إلى الشمال، مع أنّه أبعدَ ابنتي عني بهذه الطريقة، لكن الحمد لله أنّ عنده أصدقاء يساعدونه، رغم أنّه يستحقُ أفضل من أؤلئك الأصدقاء القدماء».

زاد اضطراب اليزابيث وشعورها بالخجل والعار من كلام أمها الذي يشير إلى دارسي، ذلك الرجلُ الذي أنقذَ ابنتها، فتدخلت اليزابيث لتسكت أمها قليلاً، وسألت بينغلي عن مدّة إقامته في البلدة، فأخبرها أنه سيمكث عدة أسابيع.

لم يلجم أمها ذلك فأكملت مرّة أخرى وقالت لبينغلي: «تستطيع أن تأتي وتصطاد الطيور عندنا في مزرعتنا، متى ما أحببت، خصوصاً أنَّ السيد بينيت سيرحّب بكَ كثيراً».

أحسّت اليزابيث أنها وأختها جاين ستحتاجان إلى سنوات لتنسيا إحراج هذه اللحظات التي تؤذيهما فيها والدتهما أمام من يحبّان.

نهض بينغلي ودارسي ليستأذنا في الذهاب، فوجّهت لهما السيدة بينيت الدعوة للعشاء ، وذكّرت بينغلي بأنّه كان وعدها بأن يأتي للعشاء السنة الماضية ولم يحضر، فاعتذر لها، معللاً أن العمل وحده من منعه عن تفيذ وعده. ثم خرجا سوياً .

الفصل الثاني عشر

بعد ذهاب بينغلي ودارسي، خرجت اليزابيث من الغرفة مباشرةً، لتكون لوحدها وتستطيع أن تفكّر فيما حدث منذ قليل.

سيطر عليها الاضطراب والغضب والتعاسة وغضبها كان بسبب دارسي. كيف لم يتكلّم معها أثناء زيارته لهم، بل تعاملَ معها بلامبالاة، وتعجّبت كيف كان قد تعامل مع خالها وزوجته بطريقة لطيفة ومرحة عندما كانوا في ديربي شاير، وكأنّه شخص آخر، وفكّرت: هل يقصد بذلك أن يغيظني؟، لماذا حضرَ لزيارتنا اذا كان لم يبدِ أي اهتمامٍ بي؟

حضور أختها جاين قطع حبلَ أفكارها. كانت جاين سعيدةً ومبتهجة من تلك الزيارة، فأسرعت بالقول لأختها: «ها قد مرت الزيارة الأولى على خير، وقد أدركتُ أنني قوية، ولن أشعر بالإحراج إذا جاءَ مرّة أخرى. إنني سعيدة أنّه سيتناول العشاء عندنا يوم الثلاثاء القادم، وهكذا سيعرف الجميع أننا نلتقي بشكل عادي، ودون أي اهتمامٍ خاص».

ضحكت اليزابيث وقالت لها: «صحيح حبيبتي جاين، واضحُ أنّه دون أدنى اهتمام».

- «ماذا تقصدين يا اليزابيث، أنني ضعيفةٌ أمامه، وأنني لا زلت في خطر

من وقوعي في حبه مرّة اخرى!».

- «أعتقد أن الخطر الوحيد هو وقوع بينغلي في غرامك، حتى أكثر مما كان في الأول».

وهكذا مرّت الأيام وجاء يوم الثلاثاء، وعندما وصل الشابان إلى لونغ بورن، أدخِلوا إلى قاعة الطعام، وكانت اليزابيث وأمّها تراقبان السيد بينغلي، إذا ما كان سيجلس في مكانه القديم الذي كان دوماً بالقرب من جاين. وعندما دخل، رأى جاين جالسةً في كرسيها تبتسمُ له، فلم يتردد لحظةً بالجلوس في الكرسي المجاور لها على طاولة الطعام.

تأكّدت اليزابيث عندها، أن بينغلي لو تُرِك لقراره الخاص، دون تدخل أحد، فإنه لن يختار إلا جاين، وسيتزوجها ويعيشان في قمة السعادة.

أمّا بالنسبة لها، وهي التي كانت تنتظر وصول دارسي وبينغلي بفارغ الصبر، لترى كيف سيتصرف معها هذه المرة، لتقدّر طريقة معاملته لها ومشاعرها نحوه، لذا قد قرّرت بحال دخوله من الباب ولم يتجه إليها مباشرة، فإنها ستنسى أمره، ولكن الذي حصل، أنّه اتجه اليها مباشرةَ، وأراد أن يجلس بقربها، لكنَّ اختها جاءت وجلست على الكرسي الشاغر قربها، مما لم تُتح له الفرصة ليكون بقربها، فاضطّر أن يجلس بعيداً.

واتتها فرصة مناسبة لتتحدث معه، عندما اقترب منها، واحضرَ كوبَ قهوتِه بنفسه لتسكُبَ له، عندها سألته عن أخته، وعمّا إذا كانت ما زالت في بيمبرلي، فأجابها أنّها ستبقى حتى احتفالات عيد الميلاد، واقتربت منها أختها وهمسَت لها، مما اضطره أن يبتعد مرة أخرى.

كانت اليزابيث تأمل أن تجلس بقرب دارسي بعد العشاء أثناء لعب الورق لكن لم يتحقق لها ذلك، لأنّ أمّها وزّعت الطاولات بطريقة لم يستطع فيها

دارسي أن يجلس على طاولة اليزابيث، لكنّه بقيَ طوالَ الأمسية ينظر باتجاهها، ويخسر في اللعب لأنّ تركيزه في مكان آخر، وهذا ما حدّث مع إليزابيث بالضبط.

بعد انصراف الجميع، أخذت السيدة بينيت تتحدث في زهوٍ وفرح، عمَّ حدث في حفل العشاء، وتجّددت آمالها بأن بينغلي سيتزوج ابنتها أخيراً. حتى أخبرتهم أنَّ السيدة لونغ لاحظت ذلك وتحدّثا بشكلٍ مقتضب حول هذا الزواج المرتقب.

أمّا اليزابيث وجاين، فتكلما مع بعضهما في غرفتهما لوحدهما، جاين اعتبرت أن بينغلي يعاملها كصديقة فقط وليس كحبيبة، ممّا أغاظ اليزابيث، التي كانت متأكدة من حب بينغلي لجاين ولكن لم تتحدّث مع أختها عن ما لديها من معطيات سابقة .

الفصل الثالث عشر

جاء بينغلي لوحده، لزيارتهم مرةً أخرى بعد عدة أيام من حفل العشاء السابق، وأخبرهم، أن صديقه دارسي قد ذهب إلى لندن لمدة عشر أيام على أمل أن يعود بعدها. فرحت السيدة بينيت كثيراً ودعَته للعشاء معهم ولكنه كان مرتبطاً بموعدٍ آخر، ووعدها بتلبية دعوتها في فرصة أخرى. لكنّ السيدة بينيت ألحّت أن يأتي للعشاء في اليوم التالي فوافق على ذلك.

في مساء اليوم التالي وصل بينغلي مبكراً، ولم تكن الفتيات قد أرتدينَ كامل ثيابهنَّ استعداداً للسهرة، فذهبت السيدة بينيت إلى غرفة جاين تستعجلها بحماسة.

يمكن ملاحظة أنّ جاين كانت الأكثر فرحاً على مائدة العشاء من الشعاع المنبعث من عينيها، وبعد العشاء جلسوا جميعاً في غرفة الجلوس، ثمَّ استأذن السيد بينيت وذهب إلى غرفة المكتبة، وصعدت ماري إلى الأعلى، وانتهزت السيدة بينيت الفرصة، لكي تجعلَ جاين تكون لوحدها مع بينغلي، فطلبت من أختها كيتي، أن تصعد معها للأعلى بحجّة أنهّا تحتاجها، وأعطت اليزابيث عدّة إشارات من عيونها لتخرج أيضاً، لكنَّ اليزابيث تجاهلت ذلك ولم تردّ من فورها، لأنها كانت ترى أن حركات أمها مفضوحة، وبعد أن خرجت السيدة

بينت نادت اليزابيث لتصعد معها أيضاً فاستسلمت حينها واستأذنت منهما وتبعت أمّها، وهكذا تُركت الفرصة لجاين لتكون وحدها مع بينغلي في الغرفة، ليكلّمها بالزواج، حسب خطة الأم.

في صباح اليوم التالي جاء بينغلي أيضاً ، تلبية لدعوة السيدة بينيت ليصطاد مع زوجها. فقضى السيد بينيت معه ردحاً من النهار، وبعد ذلك شاركهم بينغلي مائدة العشاء أيضاً في البيت.

بعد العشاء استأذنت اليزابيث من الجميع، وصعدت إلى غرفتها لتكتب رسالة، وبعد أن انتهت من كتابة تلك الرسالة ، نزلت إلى الأسفل إلى غرفة الجلوس، وحين دخلتها تفاجأت أن الجميع خارجها، ما عدا جاين وبينغلي، يقفان مع بعض قرب المدفأة، وهما يهمسان لبعض ويبتسمان.

تفاجأ بينغلي وجاين كثيراً واضطربا بدخول اليزابيث، فابتعدا عن المدفأة، وجلس كل منهما في مقعدٍ مختلفٍ بعيدين عن بعضهما، وأوقفا حديثهما لبرهة حتى نهض بينغلي وهمسَ لجاين بكلماتٍ، وأسرع في مغادرة الغرفة بصمت.

بعد ذهاب بينغلي، أسرعت جاين وهي تبتسم بسعادة غامرة إلى أختها اليزابيث وعانقتها، وأخبرتها أنها أسعد مخلوقةٍ في العالم، وصارت تردد: «أن ّهذا كثير، كثيرةٌ حقاً هذه السعادة، لِمَ لا يشعرُ جميعُ الناس في هذا العالم بهذه السعادة؟»

قبّلتها اليزابيث وهنأتها بسعادة غامرة، كانت حقا سعيدة من أجلها، وقرّرت جاين أن تذهب لأمها مباشرة لتخبرها بالأخبار السعيدة، لأنّها تريدها أن تفرحَ وتبتهج بعد كلِّ الأحداث العاصفة التي مرّوا بها، وأخبرت اليزابيث أنّ بينغلي قد ذهب ليطلبها من والدها في ذلك الوقت.

بقيت اليزابيث لوحدها في الغرفة تفكّر كيف أنّ الأمور قد وصلت بلطف

وسهولة إلى النهاية السعيدة، وأنَّ بينغلي وجاين سيتزوجان أخيراً. و بينغلي بطلبه الزواج ومصاهرة العائلة، قد وضع حداً للتَدخلات السيئة لصديقه دارسي وأختيه، وهم الذين قد سبّبوا التعاسة للعاشقين ولكل الأسرة، خلال الشهور التي مضت.

بعد وقت قصير دخل بينغلي إلى غرفة الجلوس، حيث أن اجتماعه مع السيد بينيت في غرفة المكتبة كان قصيراً ومختصراً. ثم سأل بينغلي اليزابيث عن أختها، فأخبرته أنّها صعدت لترى أمّها، وستنزل خلال وقتٍ قصير.

اقترب بينغلي من اليزابيث، وتكلّم معها كأختِه من الآن فصاعداً، وصافحها بسعادةٍ وسرور، وأخذ يحدّثها عن فرحته بجاين وشخصيتها الرائعة وجمالها، ولطفها وطيبتها، كانَ يشعر أنّه أسعد انسان في العالم.

ثم جاءت جاين وأمها وأخواتها، والسعادة ظاهرة على محياهم، وحضَر بعدها السيد بينيت للغرفة، وبدت عليه السعادة والفرح ولاطف الجميع ومازحهم. بعد ذلك استأذنَ بينغلي في الإنصراف وذهب.

بعد انتهاء السهرة وذهاب السيد بينغلي، وقفَ السيّد بينيت واقترب من إبنته جاين وعانقها، وهنأها، ثم أخبرها أنّها ستكون سعيدة جداً مع هذا الرجل، لأنّه انسانٌ محترمٌ وطيبٌ، ولكن يجب عليهما الحذر من الآخرين لأن طيبتهما هما الاثنين زائدةٌ عن الحد. وافتخرت السيدة بينيت بأنّ ابنتها ستتزوج أخيراً من الشخص الذي تعتقد أنّه أفضل شخصٍ في العالم.

منذ ذلك اليوم، أصبحَ بينغلي يأتي في الصباح قبل الفطور، ويذهب آخر الليل بعد العشاء، ويبقى مع جاين كل الوقت يتكلمان وينسيان العالم كله من حولهما.

لم تعد تتحدّث جاين مع اليزابيث إلا بعد ذهاب بينغلي، وتخبرها عن

سعادتها وحبّها، ووسامة بينغلي وطيبته. وفرِحت اليزابيث كثيراً لفرحهما.
وأخبرت جاين أختها، أنَّ بينغلي اعترف لها أنه كان يحبّها بجنونٍ منذ السنة الماضية، وأنّه لم يعد إلى البلدة لاستكمال العلاقة، لأنّه اعتبر أنها لا تحبّه بعد أن اعتبرها أنّها لم تظهر له أي إعجاب أو ودٍّ. فرحت اليزابيث في سرّها، أنّ بينغلي لم يخبر جاين، بموضوع دارسي، وأنه كان هو السبب في ابتعاده عنها.
وأوضحت جاين أيضاً، أنّها ستتسامح مع أخوات بينغلي، وأنهما سوف تتعوّدان على ذلك عندما تعلمان كم أنَّ أخيهما سعيدٌ معها، لكن بالطبع لن تعود العلاقة معهما كما كانت في السابق، عندما اعتقدت أنهما صديقتان لطيفتان.

أخوات جاين وضعن آمالهن في نتائج هذا الزواج أيضاً، حيث طلبت ماري أن تزور المكتبة يومياً في نيثرفيلد بعد زواجهما، وطلبت كيتي من بينغلي، أن يقيم حفلات راقصة هناك دوماً.

وأخبرت السيدة بينيت أختها السيدة فيليبس بالموضوع، فانتشر الخبرُ في كل مكان، واعتبرهم الجميع أكثر عائلةٍ محظوظةٍ في العالم.

الفصل الرابع عشر

ذات صباح بعد أسبوعٍ من خطوبة جاين وبينغلي، بينما كان الجميعُ في غرفة الفطور، سمِعوا صوتَ عربةٍ تتقدم من مدخل البيت، فاستغربوا الأمرَ حيث أن الوقت كان باكراً للزيارات.

كانت عربةً كبيرةً ومعها مجموعة من الخدم، فيما لم يعرف أحد هوية الزائر.

فجأة نهض بينغلي وطلب من جاين أن يذهبا إلى الحديقة الخلفية للمنزل، قبل دخول الزوار، حتى لا يعيقهما وصولهم عن الخروج لاحقاً. وأمسكَ يدها وخرجا متسللين.

فتحت الخادمة الباب، فرأت الفتياتُ أنَّ الزائرة هي الليدي كاثرين دو بيرغ، ذُهِل الجميع من هول المفاجأة، إلى أن دخلت الليدي كاثرين وجلست دون أن تتكلّم أي كلمة، حتى أنّها لم تردّ على تحية اليزابيث، إلا بانحناءةٍ صغيرةٍ برأسها، وبعدَ عدّة دقائق تكلّمت مع اليزابيث بطريقة غير محبّبة قائلة: «إذاً يا آنسة بينيت، هذه السيدة التي هناك هي أمّك؟ وتلكَ الفتاة هي إحدى أخواتك؟»

ردّت السيدةُ بينيت: «نعم أنا والدتها، وتلك ابنتي الصغيرة، بالرغم أنّ لديَّ ابنة أصغر منها، قد تزوّجت، وابنتي الكبرى ستتزوج قريباً».

تابعت الليدي كاثرين حديثها بغرورٍ بعد فترة من الصمت، وقالت: «إن لديك هنا حديقة صغيرة جداً ياسيدة بينيت، ولا تُقارن بحدائقي في قصر روسينغ، ومع ذلك فهي أكبر بكثيرٍ من حديقة آل لوكاس. أمّا غرفة الجلوس هذه، فهي أكثرُ غرفةٍ غير مريحة رأيتها في حياتي».

فأكّدت لها السيدة بينيت، أنّهم لا يجلسون فيها أبداً بعد العشاء، ثم حاولت تغيير الحديث، فسألتها عن السيد والسيدة كولينز، فأجابتها الليدي كاثرين بلا إهتمام أنّهما بخير.

رفضت بعدها الليدي كاثرين بشكلٍ قاطعٍ، أن تشربَ أو تأكلَ أيَّ شيءٍ عرضته عليها السيدة بينيت، ثم نهضت فجأةً وقالت لاليزابيث: «آنسة بينيت، لديكم هنا أنواعٌ جميلةٌ من النباتات في الخارج، أرجو أن ترافقيني إلى الحديقة، لأراها عن قرب».

فقالت السيدة بينيت: «إذهبي معها يا عزيزتي اليزابيث، وخذيها في جولة كي تشاهد الليدي النباتاتَ المتفرّقة في عدة زوايا في الحديقة».

أجابت اليزابيث بالموافقة، وصعدت إلى غرفتها لتحضر مظلتها الخاصة، ثم نزلت ووجدت الليدي تنتظرها أسفل الدرج، مشت معها، وعندما وصلتا أمام باب قاعةِ الطعام، وغرفة الجلوس الكبرى، وقفت أمامهما وفتحت الباب، ونظرت بتمعّنٍ إلى كلتا الغرفتين وأثاثهما، ثم قالت: «غرفٌ جميلةٌ ورحبَة، لا بأس بها».

ثم خرجت اليزابيث والليدي من البيت، فوجدت أنّ عربتها في انتظارها، وأنّ مرافقة الليدي كاثرين ما زالت في العربة في انتظارها بما يوحي أنَّ الزيارة ستكون قصيرة.

تمشّت السيدتان في صمت، حتى وصلتا إلى أيكةٍ في جانبِ الحديقة تغطّيها

الأشجار، وأثناء الطريق كانت اليزابيث عازمةً على ألا تكلّم الليدي التي بدتِ اليومَ وقحةً وأكثر غروراً من المعتاد، ما لم تبدأ هي في الكلام.

وما أن وصلتا الأيكة، تكلّمت الليدي وقالت: «أظنّك تعرفين سبب مجيئي إلى هنا اليوم يا آنسة اليزابيث؟»

ردّت اليزابيث بدهشة: «في الحقيقة، أنت مخطئة، لا أعرف أبداً سبب زيارتك إلى هنا».

أجابت الليدي بلهجةٍ غاضبة: «آنسة بينيت، يجب أن تعرفي أنّه لا أحد يستهينُ بي، ولكن بما أنّك اخترت أن لا تكوني صادقة، فلن أتعامل معك بالمثل في أمرٍ خطيرٍ مثل هذا. لقد وصَلني تقرير يشوبُه الكثيرُ من الحذر منذ يومين، وفي مضمونه بأنّه ليس أختُك فقط ستتزوج قريباً من شخصٍ نبيلٍ من عائلة مهمّة، بل حتى أنتِ أيضاً، اليزابيث بينيت، سوفَ تتزوجينَ من ابن اختي، السيد دارسي، وبالرغم من أنني أعرفُ أنّ هذه مجرد إشاعة مغرضة، إلا أنني لن أسأل ابن اختي وأجرح شعوره، عن موضوعٍ أعلمُ أنّه غير صحيح ، ولذلك قرّرت أن آتي إلى هنا، وأبلغك موقفي من الموضوع برمّته».

ردّت اليزابيث بطريقة تجمع بين الدهشة والاشمئزاز:

- «إذا كنتِ متأكدة أنه غير صحيح، ومستحيل حدوثه، فلماذا عذّبت نفسك وجئت كل الطريق إلى هنا لتقولي لي ذلك، في الحقيقة، فإنّك بحضورك إلى لونغ بورن تؤكدين أنّ هذا التقرير حقيقي؟»

- «إذا كنت تدّعين أنكِ لم تسمعي بهذا الكلام من قبل، فربّما لأنّكِ أنت وأهلك من سرّب هذه الشائعة التي أصبحت منتشرة في كل مكان».

- «لا أعرف ولم أسمع بالموضوع من قبل».

- «إذا كنت صادقة، فيجبُ عليكِ أن تُعلني أنَّ هذا الكلام غير حقيقي،

وليسَ له أساس».

- «لا أدّعي بأن هناك صراحة بيني وبينك يا ليدي كاثرين، ولكِ مطلق الحرية أن تسألي أو تقولي ما تريدين، ولكن بالمقابل أنا لي مطلق الحرية، في أن أجيب على أسئلتك أو أن لا أستجيب لكلامك، أو أن أرفض الرد».

- «آنسة بينيت، لن أحتمل كلامك هذا، لن أرضى إلا بما يقنعني فقط، هل عرضَ عليكِ ابن أختي الزواج؟»

- «لقد قلتي منذ قليل، أنَّ هذا الموضوع مستحيل، فلمَ تسألين؟»

- «صحيحُ هو موضوع مستحيلٌ حدوثه بالتأكيد، في حال كان ابن أختي منطقياً في تصرفاته واستعمل عقله، لكنَّ عقله هذا من الممكن أن يضيع، إن استعملتِ إغراءك وألاعيبك لتجذبيه وتسحريه، حينها سينسى ما يمليه عليه الواجب تجاه نفسه، وتجاه عائلته، وربما تكونين أنتِ قد أثّرت على عقله».

- «إذا كان كلامك هذا صحيحاً، فمن المستحيل طبعاً أن أعترف لك».

- «آنسة بينيت، هل تعلمين من أنا؟... أنا لستُ معتادةً على أن يكلّمني أحدٌ بهذه الطريقة. وكذلك يجب عليكِ أن تعلمي أنني أقربُ إنسانة له تقريبا في العالم، لأنّني خالته الوحيدة، ويهمني أن أعرف كل شيء عن أموره لا سيّما مستقبله».

- «لكن ليس لك الحق في معرفة تفاصيل أموري الخاصة، وهذا الأسلوب لن يساعدك أن تصلي إلى أهدافك لأنّك لا تخيفيني، ولن تحصلي على أي معلومات مني».

- «آنسة بينيت، سأكون صريحة معك أكثر، لا يمكن لهذا الموضوع أن يتم مطلقاً، لأنَّ دارسي وابنتي مخطوبان لبعضهما البعض منذ الطفولة، حيث أنني وأختي، والتي هي والدته، قرّرنا عندما ولدا، أن يتزوجا عندما يكبران،

والآن تريدين أنتِ الإنسانة التي هي من عائلة أقلّ مرتبة إجتماعية منه، وليس لها أي أهمية في العالم، ولا ترتبط معه بأي علاقة قرابة، أن تدمري كلّ ذلك وتتزوجيه، ألا تعلمين أنه خطيب ابنتي؟»

- «نعم سمعتُ عن هذه الخطوبة، لكن ما دخلي أنا بها، إنها لا تعنيني، لقد خطّطتِ مع والدته ليتزوّج ابنتك، منذ أن كان طفلاً، أمّا الآن فإن القرار بيده هو فقط ليتممَ ما خططتما له. ماذا لو أنّه لا يريد أن يتزوّج ابنتك، وأرادَ أن يتزوجَ فتاةً أخرى، واذا كان اختارني لذلك، فلمَ أرفضه أنا؟»

- «لأنَّ المنطق الاجتماعي، والعقل، والجميع يرفضون هذا الزواج، وإذا وافقتِ عليه رغم كل شيء، فإنَّ عائلته وأصدقاءه، وكل المقربين له سيقاطعونك وينبذونك».

- «هذه كلها أشياء مؤذية، ولكنَّ التي ستتزوج دارسي، لن تهمّها هذه الأشياء لأنّها ستكون سعيدة معه هو بشخصه فقط، ولن تحتاج لجميع الناس غيره».

- «كم أنت فتاة عنيدة، متشبثة برأيك، إنني أخجل من معرفتي بك، هل هكذا تكافئين معاملتي الجيدة لك في الربيع الفائت، والاهتمام الخاص الذي أوليته لك، أليس لذلك أي اعتبارٍ في داخلك؟ دعينا نجلس قليلاً ونتكلم بعقلانية، أنت تعرفين يا آنسة بينيت أنني قد جئت إلى هنا، وأنا مصممة على فعلِ ما أريد، لذلكَ فإنّ أي شيءٍ لن يقفَ في طريقي، ولن يجعلني أتراجع».

- «إصرارك هذا سيؤلمك أنت إذا لم تحققِي أهدافك، ولكنّه لن يؤثّر بي مطلقاً».

- «إسمعي في صمتٍ ودون تعليق يا آنسة بينيت، إن ابنتي وابن أختي، مقدران لبعضهما، وهما من دماء نبيلة من الأم والأب، وكل واحد منهما

يمتلك ثروة كبيرة، وعائلتهما، تعرفان أنهما مقدّران لبعضهما البعض، أما أنت فمن طبقة أخرى وعالم آخر غير عالمه، وحتى أنّك لن ترتاحي إذا قمتِ بترك جو عائلتك تزوجتيه».

- «إنني لا أعتبر أنني أترك جوَّ عائلتي عندما أتزوج ابن أختك، فهو سيدٌ نبيل، وأنا ابنة سيدٍ نبيل، أليس كذلك؟ وهكذا أنا وهو متعادلان».

- «صحيحٌ أنّك ابنة رجلٍ نبيل، لكن ما هو وضع أمك وعائلتها، إنه نسبٌ لايشرّفه، هل تعتقدين أنني جاهلة في أمور عائلتك ولا أعرف ما الذي يحصل معكم!»

- «مهما كان نسبُ عائلتي والذي تعتبرينَه غير جديرٍ به، لكنَّ دارسي حرٌ في اختياره لو تقبّله ورضي به».

- «والآن أخبريني بشكلٍ نهائي، هل انت مخطوبة له أم لا؟»

في البداية صمتت اليزابيث ، لأنها تكلّمها بطريقة لا تعبّر عن احترام، إلا انها في النهاية أجابتها بأنها ليست مخطوبة لدارسي».

- «اذاً هل تعدينني بأنك لن تورطي نفسَك بهذه الخطبة حال عرضت عليك مستقبلاً؟»

- «لن أعدكِ بشيءٍ أبداً».

- إنني مصدومة جراء عنادك وردودك يا آنسة بينيت، لكن لا تتصوري أنني سأستسلم، لن أغادر قبل أن أتأكد من ابتعادك عنه».

- «لنفترض أنني أعطيتك وعدي بالابتعاد عنه، هذا يعني أنّك ستجبرينه على الزواج من ابنتك؟ بالتأكيد أنت مخطئة في طلبك هذا وفي تدخلك في حياتي، حيث ليس لديك الحق في ذلك، ولا أدري إلى أي حدٍ يسمح لكِ ابن

أختك في التدخل في أموره، لذا أرجو منك عدم التكلم معي في هذا الموضوع مرةً ثانية».

- «لا تستعجلي إنهاء الموضوع، أنا لم أنتهي بعد من اعتراضاتي على زواجه منك، أتعتقدين أنني لا علم لي بما جرى مع أختك الصغرى، بعد هربها مع ويكهام، ومن ثم إجباره على الزواج منها، هل تظنّين أنني سأسكت على أن أختك السيئة هذه ستصبح أخت دارسي بعد زواجه منك، حتى إن زوجها الذي كان إبن موظفٍ عند أبيه، سوف يصبح أخوه، لن أسكت على ذلك».

أجابت اليزابيث باستياءٍ شديد: «ليس عندك ما تقولينه أكثر من ذلك، لقد ضايقتني وأهنتني بكل الطرق والوسائل الممكنة، وأنا أريد أن اذهب إلى البيت الآن». ونهضت اليزابيث بعد ذلك، فنهضت أيضا الليدي كاثرين، ومشيا باتجاه البيت.

وأثناء ذلك أخذت الليدي كاثرين تقول لها: «أنت فتاة أنانية ولا تفكرين إلا بنفسك، ألا يهمك أن سمعةَ دارسي سوف تتشوّه بحال تم ذلك الزواج؟»

- «قلتُ لكِ ليس عندي كلام آخر كي أضيفه على ما سبق».

- «إذاً أنتِ مصممة على أن تحصلي عليه؟»

- «لم أقل ذلك، ولكنني مصممة على أن أحصل على ما يحقق لي السعادة، بدون أن يهمني رأي اي احد في العالم، ما عدا أسرتي».

- «إذا كان هذا هو رأيك النهائي، ومصممة على فعل ما يحلو لك دون الاهتمام بسمعته ومصلحته، فلا تلوميني فيما سأفعل، لأنني لن أسكت أبداً على ذلك، وتحملي نتائج عنادك».

تكلما هكذا حتى وصلتا إلى باب عربتها، وهناك أدارت الليدي كاثرين وجهها لاليزابيث، وقالت لها: «لن اودّعك أو أودّع أمك، لأنك فتاة لا

تستحقينَ أي اهتمام».

لم تَرّد عليها اليزابيث، وواصلت سيرها لتدخل إلى المنزل، وسمعت صوت العربة تتحرك بينما كانت تصعد الدرج، ولحقتها أمها لتسألها عن السبب الذي دفع الليدي كاثرين أن تذهب دون أن تودع الأم. فأجابتها اليزابيث أن ذلك كان اختيارها وذهبت.

الفصل الخامس عشر

لم تستطع اليزابيث أن تتغلب على الأحاسيس السيئة والحالة النفسية الصعبة التي ألّمت بها، بعد زيارة الليدي كاثرين، والتهديدات التي هددتها بها. بقيت لساعات تفكر في الموضوع، كيف أن الليدي كاثرين جاءت كل الطريق من روسينغ لتوقف خطبتها المحتملة من دارسي. إضافة إلى أنها عرفت كيف وصل التقرير عن علاقتها بدارسي لها، حيث أن آل لوكاس هم من أوصلوا هذه الأخبار إلى الليدي.

كانت اليزابيث تفكر في مدى تأثير الليدي على ابن أختها، وهي لم تعرف بالضبط مدى قوة علاقة دارسي مع خالته، وهل ستستطيع إقناعه بالإبتعاد عنها.وفي قرارة نفسها كان الرهان على مدى تأثر دارسي بموقف خالته وكلامها منوط بعودته إلى نيثرفيلد كما وعد صديقه بينغلي، والإخلال بالوعد يعني عدم حضوره خطوبة بينغلي، عندها ستفقد اليزابيث كل أمل في أن تتزوج دارسي لأنّه سيكون منقاداً تماما إلى رأي وأفكار خالته البغيضة.

في صباح اليوم التالي، وفيما كانت الزابيث تنزل الدرج، رأت والدها أمامها خارجاً من مكتبته، وفي يده رسالة، وعندما رآها أخبرها أنه كان ذاهبا ليبحث عنها، لأنه يريدها، عندها دخلت اليزابيث وراءه إلى المكتبة.

تأكدت اليزابيث أن الموضوع يخص الرسالة التي في يده، وبينما كانت تفكر، تكلم والدها:

«هل تعرفين يا عزيزتي ممن هذه الرسالة، وماذا تقول؟ انها من ابن عمك كولينز من هانزفورد، وهو يهنئني بقرب زواج أختك جاين، وبحسب ما يبدو فإنه عرف بهذا الزواج من أقربائه آل لوكاس، كما أنه يهنئني أيضاً بقرب زواجك أنت يا اليزابيث بعد زواج أختك. هل تعرفين من هو العريس الذي يهنئني به كولينز؟ إنه حسب قوله: سيدٌ نبيل من عائلة كبيرة، ثريُ جداً ومتعلم ومثقف، هل عرفتي من هو؟

لكنّ كولينز يكمل في رسالته، بأنه يحذّرنا من قبول طلب زواج هذا الشاب النبيل، لأن مشاكل كبيرة سوف تحصل لنا، هو يقول أنه عرف أن خالة هذا الشاب، السيد دارسي، وهي الليدي كاثرين دو بيرغ، غير موافقة أبداً على هذا الارتباط.

المشكلة يا اليزابيث، أنني أعرف أن السيد دارسي، لم ينظر في حياته إلى أي سيدة، وربما حتى أنت يا اليزابيث، لم ينظر إليك من قبل، فكيف صدرت هذه الاشاعة؟»

- «أكمِل قراءة الرسالة يا أبي».

- «حسناً سأكمل، يقول كولينز، أن الليدي كاثرين، بمجرد أن عرفت بهذا الموضوع، أعلنت رفضها التام له وعدم موافقتها، على هذا الارتباط المخجل، حسب رأيها، ووجد كولينز، أنه من واجبه أن يوصل هذا الكلام لك يا اليزابيث، ولخطيبك النبيل، حتى لا تتسرعا في اتخاذ مثل هذا القرار الخطير، والذي له نتائج سيئة عليكما معا.

وأكمل كولينز بالحديث عن ليديا وزواجها، مفصحاً أنّه يشعر بالارتياح،

لأن الأمر وصل إلى نتائج مرضية بعد زواجها من ويكهام، وذلك بالطبّع يكفُّ ألسنة الناس عن الثرثرة المتفاقمة عن العائلة، إنما ثمة أمر آخر يقلقه، هو أن يثرثر الناس، عن الفترة التي عاشت ليديا فيها مع ويكهام، قبل أن يتزوجا، لما في ذلك من إخلال في العادات السائدة والشرف والأخلاق، وأي حديث سلبي يدور حول ابنة عمه يمسّه بالطبع، بالإضافة إلى استيائه منّا كوننا قد استقبلنا الزوجين في منزلنا، بعد زواجهما مباشرة، رغم الذنوب التي ارتكباها، لأن هذا تشجيع على الرذيلة. ويضيف كولينز أخيراً، لو أنه كان هو القسيس في لونغ بورن، فإنه لم يكن ليقبل بهذا التصرف. معللاً أنّه من المفروض أن أسامحهما كمسيحي مؤمن، لكن يجب أن لا أراهما أبداً، بل حتى أن لا أسمح بأن ينطق اسمهما أمامي.

هذا تقريبا كلُّ شيءٍ في رسالة كولينز لي يا اليزابيث، والباقي كلام عن شارلوت، وانتظارهما لغصن زيتون صغير قادم في الطريق، والآن ما رأيك يا اليزابيث في هذه الرسالة، لا تتظاهري أنك تفاجأت بها؟!».

- «أنا متضايقة منها يا أبي، إنها غريبة جداً».

- «أعلم أنها غريبة يا اليزابيث، ولذلك هي مسلّية ومرحة، والغريب فيها، أنهم اختاروا لهذه الإشاعة الرجل الوحيد الممكن استبعاده بسبب طبعه وأخلاقه، والآن اخبريني: ماذا قالت لك الليدي كاثرين؟ هل جاءت لتخبرك بأنها ترفض هذه الموافقة على الزواج ؟»

ضحكت ليزي من سؤال أبيها، ولم تهتم له لأنه كان يسأل وهو متأكد تماماً من الجواب، فيما هي حزينة من الداخل، لأنها مضطرة أن تخفي مشاعرها بهذا الضحك، بينما كان الأجدر بها أن تبكي لا أن تضحك. لقد آلمها تعليق أبيها، بأن دارسي غير مهتم بها ابداً، لكن خشيتها الحقيقية كانت فيما لو كان أبوها يرى الأمور بشكل حقيقي أكثر منها ، حينها سيكون دارسي غير مهتم بها حقاً.

الفصل السادس عشر

بعد زيارة الليدي كاثرين المفاجئة والقاسية، جاء دارسي مع السيد بينغلي من لندن، مخالفاً بذلك توقعات اليزابيث، بأنه سوف يرسل رسالة اعتذار لصديقه بينغلي، ولن يحضر إلى نيثرفيلد كما كان قد اتفق مع صديقه، بل على العكس من ذلك فقد حضر إلى البلدة قبل الموعد الذي كان حدده سابقا.

وصل بينغلي ودارسي إلى لونغ بورن باكراً، وأراد بينغلي أن ينفرد بجاين ويتكلم معها، لذلك اقترح أن يتمشى الجميع في الحديقة، وبما أن السيدة بينيت وماري لم يريدا ذلك فبقيتا في المنزل، وخرج البقيّة إلى الحديقة.

تلكأ بينغلي في مشيته ليبقى هو وجاين لوحدهما، وهكذا بقي دارسي مع كيتي واليزابيث، وهي كانت مترددة في حديثها مع دارسي. وظلّت واجمة صامتة حتى وصلا في سيرهما إلى منزل آل لوكاس، هناك قررت كيتي أن تزور ماريا، فانحرفت لتدخل إليهم مستأذنة، فيما أكملت اليزابيث المشي مع دارسي، بعد أن أزاحت خصلة الشعر عن وجهها الذي يلعب فيه الهواء أخذت نفساً عميقاً وقررت الحديث بشكل مباشر معه.

- «سيد دارسي، أنا أريد أن أشكرك من كل قلبي، على مافعلته لتنقذ أختي الصغيرة من مصيرٍ سيء، في الحقيقة أردت أن أشكرك منذ أن عرفت بذلك،

خصوصاً أن أحداً من الأسرة لم يشكرك، لأنهم لا يعلمون بالموضوع. لا تعرف كم أن هذا أثّر بي وأسعدني، أنا أشكرك حقاً لكل ما صنعته لتساعد أختي».

تكلم دارسي وهو مندهش من معرفتها بالموضوع: «آنسة اليزابيث، أنا آسف جداً، فعلاً أنا في غاية الأسف، لأنك عرفت بهذا الموضوع، لقد كنتُ واثقا من أن السيدة جاردنر موضع ثقة، ولن تخبرك كما وعَدَتني...»

- «أرجوك أن لا تضع اللوم على زوجة خالي في ذلك، في الحقيقة، فإن ليديا هي التي تكلمت أمامي بذلك وأفصحت عن وجودَك هناك يوم زواجها، وبالتالي فإنني أصررت على زوجة خالي، كي تخبرني حقيقة ما جرى، فاضطرت أن تشرح لي. أنا أريد أن أشكرك مرَّة ثانية بل شكراً موصولاً بالعرفان والجميل، باسمي واسم العائلة، لكل التعب والمضايقات التي تعرَّضْت لها لكي تستطيع أن تعرف مكانهما، وتحل المشكلة».

- «إذا كنت تريدين شكري، فأرجو أن يكون ذلك باسمك فقط، لأنني فعلت كل ذلك من أجلك، ومن أجل أن أسعدك، هل تعلمين يا إليزابيث ؟ لا أعتقد أنَ أهلك يدينون لي بشيء، هذا لا يعني أنّي لا أكنُّ لهم فائق الإحترام، إلا أنني فعلت كل ذلك من أجلك فقط».

أحسّت اليزابيث بالخجل والإحراج، وصمتت.

أكمل دارسي كلامه: «أنت انسانة رائعة، وكي أكون صريحاً معك هذا من جهة، ومن جهة ثانية أنا أعلم بأنّك لا ترغبين في إضاعة وقتك معي بلا طائل، لذا أريد أن أسألك سؤالا مهماً وحساساً، وأنتظر إجابتك لأتصرف على أساسها، هل ما زالت مشاعرك نحوي، هي نفسها التي كانت في أواخر أبريل الماضي؟ لأنها لو لم تتغير نحوي، فإنني سأختفي من حياتك ولن تريني مرة

أخرى أبداً، أمّا بالنسبة لي فإنني لا زلت أحمل لك نفس المشاعر والاهتمام، ولم أتغيّر البتة».

نظرت اليزابيث لبرهة إلى عينيه، وأنصتت إلى اللهجة الصادقة والجادة البادية في نبرة صوته، وشعرت أنَّ هذا الموقف لم يعد يجدي معه السكوت، فاضطرت إلى التحدث بسرعة وبوضوح، فقالت له أن مشاعرها نحوه قد تغيرت بشكل كبير منذ أبريل الماضي، وأنها أصبحت بالتالي، تهتم وتسعد بكلامه، وخصوصاً بعد تأكيده على أن مشاعره لم تتغير نحوها.

تأثّرت اليزابيث كثيراً بردة فعل دارسي المفاجئة والغير اعتيادية، حيث أنه عبّر عن ابتهاجه بفرح عارم و حماسة كبيرة، بطريقة لم تره فيها من قبل، طريقة رجلٍ قد سحبته حبال الغرام بجنون. ابتسمت بلطافة وزاد ذلك من حبّها له وجعلها تشعر بالسعادة العارمة.

تمشّيا بسرورٍ في كل الاتجاهات، دون أن يعرفا إلى أين يتجهان، كل الذي كان يهمّهما في هذه اللحظة أن يكونا مع بعضهما البعض، وأن يتبادلا كل مشاعر الحب والسعادة. لم يمنعهما هذا الشعور الغامر بالسعادة من أن يتناولا أطراف الحديث حول الأحداث المحيطة بهما ، لذا من خلال الدردشة معه علمت أن الليدي كاثرين، كانت قد ذهبت إلى لندن بعد مغادرتها منزلهم إثر الحديث الملتهب فيما بينهما، وقصدت لندن من أجل أن تلتقي دارسي، وأبلغته مجموعة اعتراضاتهاعلى زواجهما، وأعلمته أنّها طلبت من اليزابيث وعداً قاطعاً بالابتعاد عن دارسي، وبالتالي عدم الاقتران به أو الزواج منه، لكنّها أيضاً أخبرته أن اليزابيث، بكل وقاحة رفضت أن تعطيها ذلك الوعد، وبدون أن تعلم الليدي كاثرين وبحديثها هذا أفرحت دارسي كثيراً بموقف اليزابيث، فلولا تلك الأخبار التي وافتها بها خالته، لم يكن عنده أمل أن تقبل به اليزابيث، لكن حين سمع ذلك، تنامى أمله ليغدو كبحرٍ تتضارب أمواجه

كي تصل الى شاطئ الاطمئنان وتقديره لنفسه كونه غدا مقبولاً من حبيبته، وهو في قرارة نفسه يعرف أن اليزابيث صريحة جداً ولا يهمها شيء، لذا لو أنّها كانت لا تريد المضي قدماً في هذه العلاقة، فجوابها لخالته سيكون مخالفاً لما كشفت عنه خالته دون أن تدري.وأنهى دارسي حديثه بنظرةٍ تطلب تأكيداً أو رداً من إليزابيث يثلج به قلبه أكثر.

ضحكت اليزابيث باستحياء: «نعم، أعلم أنك تعرفني بشكل جيد، وأنت مصيب في كوني صريحة، كما أنّه لا يهمني شيء إذا أردت أن أقول رأيي، خصوصاً أنني بعد أن تكلمت معك بشكلٍ قد يسيء لك من قبل، وقد كان تصرّفي أيضاً مع خالتك بهذا الشكل أيضاً...».

- «وما الذي قلتِه وقتها ولم تكوني مصيبة به!، صحيحٌ أنَّ أسس اتهاماتك لي كان خاطئة ومبنية على اعتقادات غير صحيحة، لكنني أنا أيضاً تصرفتُ بشكل سيء، وردة فعلي كانت مبالغاً فيها وقتها، بحيث أن سلوكي لايغتفر، وكلما تذكرت ذلك اليوم في هانزفورد، إلا وشعرت بالكره الشديد لردة فعلي وكلامي».

- «دعنا لا نتجادل فيمن كان تصرفه أسوء من الثاني في ذلك اليوم، لأن لكلٍ منا أخطاؤه بذلك الخصوص، ولكن لقد تحسّنت أفعالنا وردودها منذ ذلك اليوم، كما آمل.ردّت بابتسامة لقلب صفحة جديدة من الحديث، بدلاً من جلد الذات».

- «أردتُ أن أسألكِ، هل تركَت الرسالة التي أعطيتُك إياها أثاراً إيجابية أدّت إلى ضمور تلك النظرة السلبية التي تنظرين بها في تقييمك لي؟ وأضاف موضحاً: صحيحٌ أنها كانت قاسية، وخصوصاً الجزء الأول منها، لكنها كانت ضرورية لكي تعرفي الحقائق».

- «هذا صحيح، وكلما أعدت قراءتها، كنتُ أصلُ الي النتيجة ذاتها. كنتُ مخطئةً بشأنك، بالطبع كان ذلك يخفف من حنقي عليك، ويصحح الأفكار التي تحاملت بها عليك».

- «أرجو أن تكوني قد تخلّصت من الرسالة يا اليزابيث، لأنني أعرف أنها مؤلمة».

- «إذا كنت تريد ذلك سأمزّقها وأحرقها وأنثر رمادها، بحال كنت تعتقد أن وجودها من الممكن أن يقلل من تقديري لك».

- «لقد تعلّمت على يديك يا اليزابيث درساً قاسياً عندما رفضتِ توددي إليكِ وتقرّبي منكِ، وأنا الذي لم يكن عندي شك أنك ستقبلي بي، فقد صوّر لي الغرور والكبرياء ذلك. لكنَّ الأيام أثبتت كم كنتِ مصيبة في كلامك وكانت نظرتك سليمة، فأنا ولدت في منزلٍ لأهل كنتُ أنا الصبي الوحيد عندهم، ولسنوات كنت أيضاً الطفل الوحيد المدلل محط اهتمامهم، فأفسدوني دونَ قصد، بالدلال والاهتمام الزائد، عبر تلبية كل طلباتي ورغباتي، حتى أصبحت مغروراً لا أرى إلا نفسي ورغباتي، والمقربين مني فقط، فأعماني الغرور والكبرياء عن كل شخصٍ آخر، وجئتِ انتِ لتوقظيني، وتجعليني أنتبه لأخطائي وسلوكي، فقررت أن أجعلك تغّيرين رأيك بي، بأن أحسّن من سلوكي وطريقة تعاملي مع الناس، لنصل في النهاية الى المسامحة التامة عمّا بدر مني اتجاهك».

ثم أضاف بسعادة وتفصيل، كيف أن جورجيانا أخته قد أحبتها، وأنها حزنت عندما ذهبت اليزابيث فجأة دون أن تحضر دعوة العشاء في منزلها.
وختم بوحه له مخبراً إياها أنه خطط للحاق بأختها في لندن والبحث عنها، منذ أن كان في الفندق ورآها منهارة، وقد صمَت وقتها، كان يفكر في التفاصيل التي ستساعده على عمل ذلك.

تمشيّا بسعادة، لعدة أميال دون أن يلتفتا لمرور الوقت، وفجأة حين نظرا إلى الساعة، عرفا أن الوقت قد تأخر، وأنه يجب عليهما العودة للمنزل.

تكلّما عن بينغلي وجاين، وعن سعادتهما بذلك، وهنا سألته اليزابيث: «هل كنت متفاجئاً بالخطوبة؟»

- «لا أبداً فقد توقعت ذلك، حين غادرت إلى لندن».

- «هل أفهم من ذلك أنّك قد أعطيت بينغلي موافقتك لان يخطب جاين؟»

دُهش دارسي من استخدام اليزابيث لذلك المصطلح -أعطيت موافقتك!، لكنّه عندما تذكّر الموقف السابق الذي حدث، وجدها محقّةً، فأخبرها أنه في الليلة التي سبقت سفره إلى لندن، أخبر بينغلي، أنه أخطأ في حق جاين حينما تحدّث سابقاً عنها بغرور وتكبّر، وقد اندهش بينغلي كثيراً من اعتراف دارسي، إذ لم يكن عنده أي شك في كلام دارسي في البداية، ثم أخبره دارسي، أنه كان مخطئاً في اعتقاده أن جاين غير مهتمةٍ به، خصوصاً أنه لاحظ أن حبّهما لم يتغير رغم كل شيءٍ، حينها لم يعد عنده أيّ شكٍ في أنهما سيعيشان بسعادة معاً.

إبتسمت اليزابيث، من قدرة دارسي الكبيرة على التأثير على صديقه، وسألته: «وهل غيّرت رأيك في جاين، بقرارة وتقييم آخر من نفسك، أم اعتمدتَ على كلامي، في أنها تحبُ بينغلي حقاً؟»

- «إعتمدتُ طبعاً على كلامك، إذ لم أستطع تقييمها جيداً عندما زرتكم تلك الزيارتين، وكان هناك اعتراف أخير كان يجب أن أخبر بينغلي به، وهو أنني كنت قد علمت في الشتاء الماضي أن جاين كانت في لندن، لكنني لم أخبره بذلك، فغضب مني، ثم سامحني، لأنه كان سعيداً حين عرف أن جاين تحبّه».

استمر الحديثُ بين اليزابيث ودارسي حتى وصلا إلى المنزل، وافترقا عند القاعة الخارجية.

الفصل السابع عشر

عندما وصلت اليزابيث لغرفتها، سألتها جاين: «أين كنت يا عزيزتي، لقد تأخرتِ كثيراً في نزهتك؟»

أجابتها اليزابيث: «كنا نتمشى، فلم نلاحظ أننا قد مشينا لمسافاتٍ طويلة، ولذلك تأخرنا في العودة».

على طاولة العشاء سألها الجميع ذلك السؤال، فردت عليهم بنفس الإجابة وهي تتلعثم، ولونها يتغيّر، دون أن يلاحظ أحد أنها لم تكن تقول الحقيقة.

مرّت الأمسيةُ في لونغ بورن بسلام، بينما كان الجميع يرحب بوجود الحبيبين المعلن عنهما جاين وبينغلي واللذين كانا يتكلمان ويضحكان، ولم يلاحظوا وجود الحبيبين الغير معلنٍ عنهما بعد، اليزابيث ودارسي، واللذين كانا صامتين، فتلك كانت طبيعة دارسي، بينما اليزابيث كانت تفكّر ومرتبكة ومحتارة في ردة فعل عائلتها حينما يعلمون بتطوّرِ علاقتها معه، وهم جميعاً لا يحبون دارسي، هذا إذا استثنينا جاين.

بعد انصراف الجميع، وأثناء الليل تكلمت اليزابيث مع جاين، وأخبرتها أن دارسي يريد أن يخطبها، فاندهشت كثيراً وقالت لها: «أرجو أن لا تسخري مني يا اليزابيث، ولا تخدعيني».

- «كنت أعتمد عليك أنت من دون الجميع لتصدّقيني وتقفي معي، وها أنتِ لا تصدّقين، لك الحرية في أن تصدقي أم لا، ولكن هذه هي الحقيقة يا جاين، دارسي لا زال يحبني، ونحن الآن مخطوبان».

نظرت إليها جاين باندهاش وقالت لها: «ولكن يا ليزي، كيف أصدّق وأنا أعرف كم تكرهينه؟»

- «نعم، معك حق في البداية كان هذا صحيحاً ، أتذكّر جيداً أنني لم أكن أحبه، لكنّما حدثت أشياءُ كثيرةٍ غيّرتني، وأصبحتُ أحبّه الآن جداً. نظرت إليها جاين باستغراب مرة أخرى، لكنَّ اليزابيث أكدت لها مرة بعد أخرى أن كل شيءٍ قد تغيّر، وأن تلك هي الحقيقة».

صاحت جاين بفرح : «يا إلهي، هل هذه هي الحقيقة؟ لكن يبدو أنني يجب أن أصدّقك يا ليزي، ولذلك يجب أيضاً أن أهنئكِ، لكن أعذريني لسؤالي لمرة أخيرة، هل هذا الكلام حقيقي، وهل تعتقدين أنك ستكونين سعيدةً معه؟»

- «أنا متأكدة من ذلك، سأكونُ سعيدةً معه، فأنا أحبه، ولقد حللّنا كلَّ القضايا العالقة بيننا، وسوف نغدو أسعدَ زوجين في العالم، وأريد أن اسألك يا جاين، هل يعجبك أن يكون دارسي زوجي، هل ستتقبلينه كأخٍ جديدٍ في أسرتنا؟»

حضنتها جاين بكل محبة وقالت : «بالتأكيد يا حبيبتي، فلن يكون أحدٌ أسعد منّي في الدنيا. حتى بينغلي سيكون سعيداً إذا تزوّجتما، ونحن نحبّه جداً، لكن ليزي حبيبتي، سأسألك لآخر مرة، هل أنت متأكدةٌ أنك تحبّينه، لأنه شيء سيءٌ جداً أن تتزوجي من شخص بدون وجود الحب بينكما».

- «حبيبتي جاين، إذا علمت بكل خفايا قصّتنا، سوف تتفهمي لماذا أحببته، بعد كل المشاكل التي كانت بيننا».

ابتعدت عنها ممسكة بكتفيها قائلة: «ماذا تقصدين بذلك يا ليزي، أرجوك أخبريني ما الموضوع دون تأجيل، ومتى أحسست أنك بدأت تحبينه؟»

- «لقد بدأ الموضوع بالتدريج، ولكن أول مرةٍ أحسست بشعور غريب نحوه، كان حين رأيت أراضيه في بيمبرلي».

حينها جلسا على طرف السرير وبدأت ليزي تحكي لجاين كل المواقف الجميلة التي قام بها دارسي، وجعلتها تنجذب له أكثر فأكثر، مما جعل جاين في النهاية تصدّقها، وتمنت لها كل السعادة، وأخبرتها أنها تحترم دارسي وتقدّره منذ البداية، ولكنها أخبرت ليزي، أنها متضايقة منها، لأنها أخفت عنها كل هذه الحقائق منذ زمن. فاضطرت اليزابيث لأن تشرح لجاين، أنها خافت أن تذكر أمامها إسم بينغلي، وهي كانت مجروحةً منه، وبالتالي خشيت أن تذكر اسم صديقه أيضاً، فتتذكّر جاين حبيبها، وأخبرتها أنه بما أنها الآن سعيدةً مع بينغلي، بالتالي لم تعد تخشى أن تخبرها كل التفاصيل السابقة، ثم أخبرتها عن دور دارسي في ايجاد ليديا وحمايتها إبان هربها مع ويكهام. وقضت الأختين أغلب الليل في الكلام والحديث عن الحب والزواج وأمور العائلة.

في صباح اليوم التالي، بينما كانت السيدة بينيت تقف في النافذة، رأت أمامها دارسي قادما مع بينغلي، باتجاه البيت، فصرخت لاليزابيث كي تأتي وتأخذ هذا الرجل المتفاخر، ليتمشّى في الخارج، حتى لايكون عائقاً أمام بينغلي وجاين إذا بقي في الداخل.

وعندما دخل الرجلان، قالت اقتراحها بصوتٍ مسموع، أن على كيتي واليزابيث أن تأخذا السيد دارسي ليشاهد المنظر الجميل من الجبل، وبالرغم من أن المسافةَ طويلةٌ إلى هناك، إلا أنه يستحق أن يشاهده.

وتدخل بينغلي غامزاً وقال: «إن المسافة طويلة وسوف تتعب كيتي، لذا

عليها أن تبقى في البيت لترتاح. ونظر إلى اليزابيث بطريقة ليُفهمها أنه يعرف بقصة خطوبتها مع دارسي، وهو بذلك كان يُخلي لها الجو معه».

سار دارسي مع اليزابيث بسعادةٍ وسرور، وتحدّثا بكلِ شيءٍ، واتفقا على أن دارسي سوف يكلّم أبيها هذا المساء ويخطبها رسمياً منه.

في المساء بعد أن أنهوا جميعاً العشاء، نهض السيد بينيت وذهب إلى مكتبته، فنهض دارسي وذهب وراءه إلى المكتبة، فرحت اليزابيث بذلك واضطربت أيضاً، لأنها كانت تخشى أن يكلمه والدها بطريقة صعبة، لأن ليزي هي ابنته المفضلة، ومن الممكن أنه سيتعامل بشكلٍ سيءٍ مع من سيخطبها، ويأخذها منه. وبينما هي غارقة في أفكارها رجع السيد دارسي وهو مبتسم، مما طمأنها ذلك قليلاً، ثم اقترب منها حيث كانت تجلس مع كيتي، وهمس لها بأن والدها يريدها أن تذهب إليه في المكتبة.

حين وصلت ليزي للمكتبة، رأت أباها يمشي هناك جيئةً وذهاباً وهو مهمومٌ وحزين، وعندما دخلت، قال لها: «ليزي، ما الذي تفعلينه؟ هل جننت حتى تقبلين بالزواج به، أليس هو من كنتِ تكرهينه ولا تطيقين وجودَه؟»

حاولت اليزابيث أن تخبر والدها، أنّ شعورها تغيّر نحوه وأنها تحبه الآن. لكنّه سألها: «هل أنت مصممةٌ على الزواج به؟ صحيحٌ أنّه غنيٌ وسيحضرُ لك ملابسَ وعرباتٍ فاخرة، أكثر حتى من جاين، لكن هل سيسعدك ذلك حقاً؟»

- «أبي هل لديك اعتراض آخر عليه، ما عدا أنني كنتُ لا أحبه من قبل؟»

- «لا أبداً ليس عندي أي اعتراض، صحيحٌ أننا نعرفُ جميعَ أنّه متفاخرٌ بنفسه، وأنه لا أحد يحبه، لكن كل هذ الأشياء غير مهمة ولا تعني لي البتة، إذا كنت تحبينه».

أجابت اليزابيث والدموع في عينيها: «أحبه يا أبي، نعم أحبه، أريد الزواج

منه، إنّه ليس متفاخراً كما ترونه، إنّه شخص طيبٌ جداً ولطيف».

أجاب والدها بتعجّب: «في الحقيقة، أنا لم أمنحه موافقتي، مع أنَّ شخصاً مثله ذو مكانةٍ لا يمكن لأحدٍ أن يتجرأ ويرفض طلبه، لكن سأترك الموضوع لك يا اليزابيث، ولكن دعيني أنصحك بأن تتريثي، ولا تتسرعي في ردك، لأنني أعرفك جيداً يا حبيبتي، فأنتِ لن ترتاحي أو تعيشي بسعادةٍ مع شخصٍ لا يوجد بينك وبينه توافقٌ فكري واجتماعي، وسوف يكون زواجاً غير متكافئ، وسوف تشعرين بالتعاسة وعدم الاحترام لنفسك».

بهدوءٍ ووقارٍ تكلّمت اليزابيث، في محاولة منها لإقناع أبيها، بأنَّ اختيارها وحبّها لدارسي جاء عن وعي وتصميم، وأنها قد اختبرت مشاعرها نحوه ومشاعره نحوها في عدة اختبارات، ومواقفَ صعبة مختلفةٍ مرّا بها معاً، وتأكدت من أنّه انسانٌ جيدٌ ولطيفٌ وقادر على تغيير نفسه من أجلها، وأخذت تُعدّد لأبيها صفاته الرائعة وكرمَه وحنانه مع أخته ومع المحيطين به وأنها تحبه ومتأكدة من أنها ستكون سعيدة معه.

بعد كلام اليزابيث، لم يكن لدى السيد بينيت إلا الموافقة على زواجها من السيد دارسي، وأخبرها أنه مع شخص مثله، وبكل تلك الصفات الرائعة فهو يأتمنه على ابنته الحبيبة ويوافق عليه.

وحتى تؤكدَ لأبيها من أنه اختار الأفضل لها بموافقته على دارسي، أخبرته بكل ما فعله دارسي لإيجاد ليديا، والضغط على ويكهام للزواج بها ومساعدته في كل شيء.

هنا أجاب الأب في دهشة كبيرة بعدما سمع: «إنها في الحقيقة أمسية العجائب، إذاً دارسي قام بكل شيءٍ في مساعدتنا في تلك الأزمة، ودفع ديون ويكهام وأعطاه نقوداً ودبّر له وظيفته الجديدة في الشمال، وهو بذلك قد خفّف

عني أعباءً نفسية ومالية كبيرة لأنّه لو كان خالك هو الفاعل، كنت سأدفع له كل الذي صرفه من نقود. ولكن بالرغم من ذلك سأقول للسيد دارسي غداً أنني أريد أن أدفع له جميع المبالغ التي دفعها لويكهام، وهو بحبه المجنون لك سوف يرفض، وبذلك نكون قد أنهينا هذا الموضوع للأبد».

ثم بعد أن انتهيا من كل شيء في الموضوع ضحك وقال لاليزابيث: «لو جاء شبان لخطبة ماري وكيتي، أدخليهم لي هنا، فأنا انتظرهم بسعادة، هه هههه هههه!».

صُدمت السيدة بينيت عندما علمت بموضوع السيد دارسي وذهبت إلى غرفة ليزي، وأخبرتها كم هي فرحة من أجلها، لأن زوجها سوف يكون غنياً ويشتري لها كلَّ شيءٍ من مجوهراتٍ وملابس فاخرة وعربات، وستعيش في بحبوحة حتى أكثر من أختها جاين، وأخبرت ليزي أنها متأسفةٌ لكل الوقت الذي كانت تعامله فيه بطريقة سيئة.

أما السيد بينيت فقد فرح كثيراً، خصوصاً انّه أصبح عنده ثلاث أزواج لبناته، يحبهم جميعاً، لأنهم شبانٌ رائعون.

الفصل الثامن عشر

كانت معنويات اليزابيث مرتفعة جداً، مما جعلها في غاية السعادة والمرح، وطلبت من دارسي أن يخبرها متى وقع في غرامها بالضبط.

أجابها دارسي: «لا أذكر بالضبط الموقف، أو الساعة، أو الكلمة التي أثّرت بي لأحبك، لأنني لم ألاحظ نفسي، إلا عندما كنتُ واقعاً في غرامك».

- «كنتُ دوما أتعامل معك بطريقة غير مهذبة، وأردُّ عليك بلامبالاة، وكنت أحبُّ جداً أن أغيظك».

- «والآن كن صادقاً معي، هل أحببتني لأنني كنت وقحة معك؟»

- «لقد أحببتك لأن عقلك كان دوماً متحفزاً وحاضراً».

- «تقصد أنني تعاملت معك بوقاحة، في الحقيقة أنت كنتَ قد سئمتَ من التعامل معكَ بتهذيبٍ مطلقٍ وتملّقٍ من الذين هم حولك، وسئِمتَ من كل الذين يحاولونَ التأثير عليك بشكل إيجابي، كي تُعجَب بهم، مللتَ من الرسميات والمجاملات المهذبة والعادت والتقاليد، فيما أنا أثرتُ اهتمامك فأحببتَ أنني كنتُ مختلفةً عن كل الاخريات التي قابلتنَّ سابقاً، فكنتُ غير مهتمةٍ بوضعك او بثروتك، ولو أنك لم تكن شخصاً محترماً ولطيفاً، لكنتَ قد كرهتني على الطريقة التي عاملتكَ بها، أنت لم ترَ أي جانبٍ جيد من

شخصيتي، ومع ذلك أحببتني، ربما كان ذلك لأن الحب لا ينتظر الجانب الجيد من الآخر».

- «ليزي، ألم أرَ الجانب الجيد والرائع فيك، عندما كانت أختك جاين مريضة في نيثرفيلد؟»

قالت وهي تحدّق بوجهه الجميل:«غاليتي وعزيزتي جاين... ومن يستطيع أن لا يهتم بها ويحبها؟ فهذا شيء طبيعي جداً، لكن لك مطلق الحرية يا دارسي، في أن تضّخم صفاتي الجيدة، لكنني أريد أن أضايقك الآن وأسألك، لماذا لم تتكلم معي في المرتين اللتين حضرت فيهما إلى هنا مع بينغلي؟ »

- «لأنك لم تشجعيني، وكنت محرجاً جداً، ولماذا لم تكلّميني أنت؟»

- «كنتُ أيضاً محرجةً ومضطربة، وأي شخصٍ كان وضعه يشبه وضعك كان سيتكلم بشكل عادي».

- «صحيح، إنما لا يوجد أي شخص يحمل في قلبه كل هذا الحب الذي كنت أحمله لك لذا كان حرجي على قدرِ محبتي».

- «إذاً يا دارسي لولا أنني لم أكن مصممةً على أن أكلمك وأشكرك على الذي فعلته مع ليديا، فإنك لم تكن لتتحدث معي، ولم نكن معا الآن».

- «أبداً نحن معاً الآن، لأن خالتي الليدي كاثرين قد جمعتنا معاً دون أن تدري، فهي عندما أخبرتني بإصرارك على عدم إعطائها وعداً بالابتعاد عني، أعطتني الأمل بأنك تحبينني، بعد أن كنتُ قد فقدتُ الأمل، لذا نحن معاً بسببها».

- «إذاً يا دارسي، هل عندك الشجاعة لتكتب رسالة لخالتك الليدي كاثرين وتخبرها عن خطوبتنا؟»

- «الموضوع يحتاج لوقت وليس لشجاعة، ثم لو أنني عندي ورق الآن لكتبت لها رسالة».

- «حسنا سأعطيك الورق لتكتب لخالتك، ولو لم يكن عندي رسالة خاصة يجب أن أكتبها بنفسي، لكنتُ جلست بقربك وغازلتُ جمالَ خطِّك، كما فعَلت أنثى معكَ ذات يومٍ، ولكن أنا أيضاً عندي خالة ويجب أن أكتب لها رسالة وأخبرها عن حالي».

جلست اليزابيث لتكتب الرسالة للسيدة جاردنر زوجة خالها وتشكرها على وقوفها معهم في كل شيء ولإخبارها عن دارسي. ثمَّ تذكّرت أنّها لم ترسل جواباً على رسالة السيدة جاردنر الطويلة، وأحسّت اليزابيث بالذنب لتأخرها في إرسال الأخبار الجميلة عن خطوبتها لخالها وخالتها.

وكتبت اليزابيث الآتي في رسالتها:

{ عزيزتي السيدة جاردنر،

كان يجب أن أشكرك من قبل على رسالتك الطويلة المفصّلة عن موضوع ليديا، لكنني تأخرت لأنني في الحقيقة كنت غاضبة، ولم أستطع أن اكتب.

بالنسبة لدارسي لقد مدحتِه كثيراً في رسالتك، وأنا اقول لك بأنه يمكنك أن تمدحيه أكثر لو ترغبين في ذلك، فهو يستحق كل ذلك.

أشكرك جدا لأننا لم نذهب إلى منطقة البحيرات وذهبنا إلى ديربي شاير، إنني في غاية السعادة، وهذا ليس كلاما، بل حقيقة.

أنا أسعد انسانة في العالم، وحتى أنني أسعد من اختي جاين، فهي تبتسم كل الوقت، بينما أنا اضحك. دارسي يرسل لكم تحياته وأشواقه، وسوف أنتظركم مع دارسي في بيمبرلي على أن تأتوا جميعاً، في عيد الميلاد القادم.

إبنة اختك المحبة: اليزابيث }

أما رسالة دارسي إلى خالته الليدي كاثرين فكانت مختلفة جداً عن ذلك.

وأخيرا فقد أرسل السيد بينيت رسالة إلى ابن عمه كولينز يقول فيها:

{ عزيزي السيد كولينز،

سوف نتعبكم قليلا، في طلب التهنئة منكم لأبنتي اليزابيث، حيث أنها ستتزوج السيد دارسي قريبا. حاول أن تعزّي الليدي كاثرين، لأنها ستحتاج ذلك.

وأنصحك أن تهتم بابن أختها، حيث أنها يستطيع أن يمنح أكثر منها بكثير.

ابن عمك المخلص }

لم يستطع السيد كولينز أن يرسل رد تلك الرسالة لابن عمه، لأنه جاء هو بنفسه إلى هيرتفورد شاير بعد يومين مع زوجته شارلوت إلى منزل اهلها آل لوكاس، لأن الليدي كاثرين غضِبت جداً من محتوى رسالة ابن أختها التي وصلتها، فخافت شارلوت من غضبها، وقرت أن تسافر عند أهلها لبضعة أيام حتى تهدأ الأمور.

ذهبت اليزابيث مع دارسي لزيارة الجميع، وكانت تشفق عليه من كلام كولينز الذي لا ينتهي وتأنّقه وتهذيبه المبالغ فيه، وكلام خالتها السيدة فيليبس التي اعتبرت أن بينغلي لطيف أكثر من دارسي.

وتمنّت اليزابيث لو تستطيع أن تبقيه لنفسها بعيداً عن كل الناس، لكنها صبّرت نفسها، بأنها قريباً ستكون معه في بيتهما في قصر بيمبرلي.

الفصل التاسع عشر

فرحت السيدة بينيت بأنها تخلصت من اثنتين من بناتها معاً، بعد أن زوّجتهما من شابينِ وسيمينِ وذوي مال وأملاك، وكانت تذهب لزيارتهما غالباً، مما كان يريح السيد بينيت الذي لم يعتاد على هذا الهناء المنزلي، بعيداً عن الضجة والأعصاب المتوترة.

كانت السيدة بينيت تتفاخر أمام جيرانها، بأنها ذهبت لتزور السيدة بينغلي ابنتها، وأرسلت رسالة للسيدة دارسي، وأحست بالأمان لبقية حياتها، كما قالت لجميع جيرانها.

أمّا السيد بينيت كان يفتقد اليزابيث كثيراً، فيذهب لزيارتها في بيمبرلي، دوماً بدون سابقِ إنذار.

أمّا بالنسبة لجاين وبينغلي، فقد بقيا لمدة سنة كاملة في نيثرفيلد، وأحسّا بعدها بعدم قدرتهما على تحمل الزيارات التي لا تنتهي من أمها وخالتها وجيرانهم، فانتقلا إلى بلدة قرب ديربي شاير، حيث اشترى بينغلي أخيراً منزلاً بإسمه، وكانت البلدة تبعد عن بيمبرلي مسافة ٣٠ ميلاً، ففرحت اليزابيث بقرب أختها منها كثيراً.

بالنسبة لكيتي، أصبحت تقضي أغلب وقتها مع أختيها الكبيرتين،

وأصبحت تختلط مع مجتمعات راقية، فتحسّنت أخلاقها كثيراً، خصوصاً أن أختها ليديا ذات التأثير السيء قد ابتعدت عنها. وقد كان السيد بينيت يرفض رفضاً قاطعاً زيارة كيتي إلى أختها ليديا في الشمال، لأنه كان يخشى عليها منها.

ماري كانت هي البنت الوحيدة التي بقيت في البيت، لذلك كانت أمها تشّد عليها أن لا تتركها لوحدها، فقللت ماري من وقت قراءتها وانعزالها، وبدأت تختلط مع الناس أكثر من الأول.

أمّا ويكهام، فقد استسلم إلى أن اليزابيث الآن تعيش في بيمبرلي، فلا بد أنّها اكتشفت أنه كذّب عليها في أمورٍ كثيرة، لاسيّما عندما كان يشتكي من دارسي. ثمّ جعل زوجته ليديا ترسل لها رسالة تهنئة، على أمل أن يحصل على شيءٍ من دارسي، ولّمحت لها في الرسالة إلى ذلك، فحاولت اليزابيث أن تساعدها، بأن تقتصد من مصروفها الخاص لترسل المبلغ لها، وأصبحت هي وجاين تساعدانها شهرياً، وأحيانا تأتي ليديا لوحدها لتزور اليزابيث في بيمبرلي، وفي أحيان أخرى كانت ليديا تذهب لزيارة جاين مع زوجها ويكهام.

أما الآنسة بينغلي ، فقد حاولت أن تبقى على علاقةٍ طيبةٍ باليزابيث، بالرغم أنها غضبت كثيراً لأنها تزوجت دارسي، ذلك حتى تستطيع أن تزور بيمبرلي.

الليدي كاثرين، أرسلت رسالةً شديدة جداً لدارسي بعد استلامها رسالته التي يعلن فيها زواجه، وقاطعته بعدها، لكن اليزابيث حاولت بعد مدة أن تصلح بينهما، حتى اقتنع دارسي وتصالح مع خالته.

وبالنسبة لآل جاردنر فقد أصبحا ضيوفاً دائمين على بيمبرلي لأنهما كانا يحبان دارسي واليزابيث كثيراً، ولأن الزوجين كانا يسعدان جداً بزياراتهما.

وكانت اليزابيث تشعر بالشكر والعرفان نحو خالها وزوجته، لأنهما كانا السبب في احضارها إلى بيمبرلي، وزواجها لاحقاً من حبيبها دارسي.

النهاية

نظرة في ملخص الرواية

يتمحور النص حول العلاقة المتقلّبة بين البطلة اليزابيث بينيت، والبطل الثري السيد دارسي. تبدأ الرواية بالأخبار التي تتناقل حول انتقال السيد بينغلي الشاب الثري الوسيم للإستقرار في البلدة، مما يدفع السيدة بينيت، والدة اليزابيث، لأن تغتنم الفرصة لتزوجه لإحدى بناتها الخمس. يقيم السيد بينغلي حفلاً راقصاً، حيث يلتقي فيه بجاين بينيت، الأخت الكبرى لاليزابيث، ويُفتن بها وهي الفتاة الجميلة اللطيفة الطيّبة.

يظهر السيد دارسي في هذا الحفل، ويتعامل بغرور وتكبّر وفوقية مع جميع من فيه تقريباً، وخصوصاً اليزابيث، حيث يقوم بإهانتها هناك. ويصبح هذا اللقاء الأول والإحتكاك بين اليزابيث والسيد دارسي في الحفل محور لسلسلة من الأحداث اللاحقة، والعلاقة دائمة التقلّب بينهما في الرواية. حتى أن هذه العلاقة تصبح واحدة من أشهر العلاقات العاطفية التي لا تنسى في الأدب الأنجليزي.

قامت أوستن في هذه الرواية بصقل عالمٍ حقيقي ساحرٍ من الشخصيات المتميزة والجذابة والتي تتفاعل فيما بينها بشكل واقعي وحيّ، مما أضاف الكثير لنص الراوية ولأحداثها، وساعد في خلق رواية متميزة تتسم بالبصيرة النفاذة وعمق الإدراك، بالإضافة إلى بعض من حسّ الفكاهة.

تتّسم اليزابيث بينيت، «الشخصية الرئيسية في الرواية» بالحيوية والجاذبية

والذكاء الكبير، لكنها في نفس الوقت مندفعة ومتسرّعة في حكمها على الأشخاص. في المقابل فإن السيد دارسي كان قليل الكلام، غير إجتماعي ويتصف ببعض الغرابة في تصرفاته، بالرغم من أنه كان ذكياً، مهذباً وخلوقاً.

من خلال تلك الشخصيات الغنية إنسانياً، قامت جاين أوستن في روايتها (كبرياء وهوى) بسبر أغوارمفاهيم الزواج، الثروة، والفوارق الطبقية، ملقية الضوء على العوائق والعقبات الإجتماعية التي مرّت بها تلك المفاهيم في انجلترا في أوائل القرن التاسع عشر. في هذه الرواية تفضح أوستن المعايير الإقتصادية الماديّة الفجّة التي كان يتعامل بها المجتمع وقتها، فيما يخص مهمة الزواج في المجتمع. حيث كان على الفتاة في ذلك الوقت أن تجد زوجاً بأيّة وسيلة لكي تؤمّن مستقبلها وتحمي نفسها من الفقر. ويتّضح ذلك جيداً في طريقة تناول أوستن لأحداث الزواج بين شارلوت والسيد كولينز الأحمق المغرور، حيث لم يكن هناك أيّ حب يربطهما، وكان هناك فقط قرار من شارلوت بتحمّل السيد كولينز مهما كانت أخطاؤه، لأن ذلك كان في رأيها أفضل لها من أن تبقى عبئاً مادياً على أهلها، أو أن تتعرَّض للفقر بقية حياتها بعد موت الأهل.

كبرياء وهوى

كيف يمكن للسيّد دارسي أن يتنكّر للشمس التي أشرقت في روحه، والتي أوقعته بين براثن العشق؟ لقد أُعجب بها فعلاً، ينهش ذاك الذئب المفترس قلبه بأنياب الحب.

تكمن المعضلة أمامه في كيفية تظهير تلك الحالة التي انتابته. اليزابيث بدورها، وقعت في تلك الشباك كعصفورة ستعود إلى عش غرامها، مهما حاولت الطيران بعيداً.

الأحداث الدرامية التي تنسجها هذه الرواية، تُحاكُ من حريرِ ألوانه مشبعة برائحة الكبرياء والتحامل، فقد أبدعت جاين أوستن حين وصّفت وعالجت ذلك السلوك الإنساني في قالبٍ رائعٍ ومشوّقٍ من الأحداث والتي ستضعنا على سرج حصان السؤال الجامح. هل ينتصر الحب في النهاية؟

لا عجبَ أنّ هذه الرواية تتصدّر الروايات الأكثر قراءة ومبيعاً على مستوى العالم، لا سيما بين القراء العرب الذين يهرعون لامتلاك نسخةٍ منها. وكيف لا؟! وهي تتحدّث عن الحب!

كبرياء وهوى | جين أوستن

ISBN: 9786148020704





www.darsoual.com

dar_soual@outlook.com

darsoual2014@

Dar Soual



+961 71 504466 | +961 71 504466

bookoutlet.leb@gmail.com

bookoutlet.lb